



893.7AR54

T1

45-39141



مكتبة  
لسان العرب

www.lisanarb.com

COLUMBIA  
UNIVERSITY  
LIBRARY

## تقديم

أحمد بن يوسف مؤلف هذا الكتاب كان أحد كتّاب الدولة الطولونية التي حكمت مصر من (٥٢٥٤-٥٢٩٢هـ) بعد أن اقتطعتها من الدولة العباسية. وكان مؤسسها أحمد بن طولون ذا عقل جبار، ورأى مستد، وضع لها نظمها المالية والسياسية على أساس متين، ورتب نجاجها، ونظم ريتها، وحدد ضرائبها، ولم تحف عليه محاولة العباسيين استرجاعها، ودسّ الدسائس في إثارة أهلها. فكان يأخذ بالظنة، ويعاقب بالريبة، ويخشى من لهم اتصال برجال الدولة العباسية، ويعمل على الفتك بهم ومصادرة أموالهم.

وكان أصل أحمد بن يوسف من العراق. رحل أبوه إلى مصر بعد أن خدم مولاة إبراهيم بن المهدي، ولازمه حتى مات، فانتقل إلى مصر، واشتغل فيها بالعلم والأدب والمال. ولكن اتصاله القديم بالبيت العباسي جعل ابن طولون لا يركن إليه، ولا يأمن شره. لذلك نرى في تاريخه، أن أحمد بن طولون قد حبسه وكاد يقتله لولا شفاعة

أتباعه<sup>(١)</sup> . ولما مات يوسف أمر ابن طولون أعوانه فهاجموا على داره، وحملوا صندوقين من أوراقه، مقدّرين أن يجدوا فيها شيئاً يدلّ على صلة له بمن ببغداد<sup>(٢)</sup> .

ونشأ ابن مؤلف هذا الكتاب على نمط أبيه : فهو مثقف ثقافة واسعة ، وهو كاتب كما يدلّ عليه كتابه هذا ، وهو شاعر يُنقل ديوان شعره إلى العراق<sup>(٣)</sup> ، وهو عالم بالحساب والهندسة والفلك ، كما تدلّ عليه ترجمة "ياقوت" له ، وهو آخذ بحظّ من الفلسفة كما يظهر ذلك في ثنايا كتبه .

ولم يكن أحمد بن يوسف من هؤلاء الأدباء والعلماء الذين ينقطعون لأدبهم وعلمهم ، ويعتمدون في ذلك على ما يمنحهم الولاة والأمراء من منح ، أو يتزهدون فيكتفون بما لهم من عقار يُغلّ عليهم بعض المال . إنما كان كأبيه ، ينغمس في الدنيا وفي الحياة الواقعة ، ويصرف جزءاً من وقته في تدبير المال والقيام عليه وإتمامه ،

(١) انظر القصة الثالثة عشرة .

(٢) انظر القصة الخامسة .

(٣) انظر القصة الثالثة والعشرين .

كان أبوه يدبر أموال إبراهيم بن المهدي ويقوم على أراضيه ،  
 فاكسب بذلك خبرة مالية كبيرة، فلها جاء إلى مصر استخدم مقدرته  
 المالية، فاستغل بعض الأراضي المصرية من الدولة الطولونية: ويتقبل  
 الأرض ( يلتزمها ) ويستأجرها . وأحيانا يملكها ويزرعها ويتاجر  
 في محصولاتها . ونحا ابنه ( مؤلف كتابنا ) منحاه، فكان أديبا عالما ماليا  
 معا ، يؤلف الكتب ، ويقول الشعر ، ويستغل الأرض .

والمهارة المالية التي من هذا القبيل كان لها مزايا وكان لها مضار ،  
 فأهم مزاياها : أن صاحبها ينغمس في غمار الناس فيعرف حياتهم ،  
 وتفصيل سلوكهم ، ونوع عقليتهم ، ويخبر الدنيا خبرة تامة . وأهم  
 مضارها: أنها كانت تعرض صاحبها في كثير من الأحيان إلى الأهوال  
 والأخطار، فلم تكن الحكومات في ذلك العصر قائمة على ما نعرف من  
 العدل وحفظ الأمن على المال والنفس ، بل كانت المعاملات  
 وخاصة ما اتصل منها بالحكومات عرضة للظلم والفساد . فكثر  
 المصادرات ، وكثر قتل الأنفس للاستيلاء على الأموال إلى غير ذلك  
 من ضروب العسف . وتقرأ تاريخ مصر وتاريخ العراق في ذلك العصر ،  
 ترى اضطرابا وفسادا من هذه الناحية لا حد له، وقلها تقرأ سنة من سني  
 التاريخ في تلك الأيام من غير أن يسجل فيها ظلم بين وشره بين .

وكلا الأمرين يُجَلِّي في حياة أحمد بن يوسف: عارفٌ بالدنيا خبير  
 بشئونها ، معرّض من حين لآخر لمصادرة أمواله ، وضياع ثروته ،  
 لولا احتماء بوالٍ أو أمير ، أو مكافأة على جميل .

في وسط هذه المظالم الفتاكة والمفاسد المنتشرة ، كانت تصدر من  
 بعض أشخاص نبلاء أعمال نبيلة تلعب في هذا الجو الحالك ، وتخفف  
 على الناس ويلاّتهم ومصائبهم ، وعلى قدر هذه الشدائد، تكون  
 الإشادة بالمحامد. فقفر العرب في الجاهلية، وبؤس أهلها، جعل الكرم  
 يحلُّ أسمى مكان بين الفضائل، فامتلاً أديهم بالتمدح بالكرم، وإطعام  
 الطعام ، ونحر الجزر ، وقرى الضيفان وما إلى ذلك .

جمع هـ روه لبقاة

وفي عصر مؤلفنا هذا ، كانوا يتشوفون في ظلام الظلم إلى الأنوار  
 القليلة المضيئة من أعمال النبل: كإغاثة ملهوف، ونجدة بئس، وإعزاز  
 كريم ذلّ ، وإمداد غني افتقر .

وقد كان أحمد بن يوسف وأبوه يوسف بن إبراهيم ممتازين من  
 هذه الناحية، كلاهما مع غناه وثورته ذو مروءة ونجدة، يشعر أن المال  
 غادٍ ورائحٌ ، وأن المرء عرضة في كل وقت للفقر ، فلا بد من أن  
 يتسلّح بالمروءة ، ينقذ بها البئس من بؤسه، لعلّه يكون يوماً في مثل

حالته ، فيجد من يجده . فيحدثنا "ياقوت" عن يوسف بن إبراهيم أنه "كان ذا مروءة تامة" وتدل بعض القصص في هذا الكتاب على أنه كان له أتباع يتعصبون له ويفدونهم بأنفسهم ، لما يسديه إليهم من خير ، ويقدم لهم من معروف ، وابنه أحمد بن يوسف نفسه كان كذلك كريما نبيلاً . يحدث - مثلاً - أنه رأى تاجراً كسر مركبته وغرق فيها ما يملكه ، فيواسيه أحمد بن يوسف ويبت من يغوص على مركبه ليستخرجوا ما فيه ، ثم يعوضه عما فقدته بنفسه وبرجاله .<sup>(١)</sup> ومثل هذا في الكتاب كثير .

رجل مثل هذا جدير بأن ينمو عنده الشعور بالإحسان ، وأن يرهف حسه لأعمال المروءة ، وأن يدعو ذلك لأن يفكر في قصص النبيل وحسن المكافأة .

وقد علل ذلك تعليلاً بديعاً في أول كتابه ، فذكر أن الناس سلكوا لاستدرار المال من الممدوحين سبيل التنويه بذكر الكرماء وما منحوا ، والعطاء وما أعطوا ، وحثوهم من طريق خفي على أن يعملوا عملهم ويعطوا عطاءهم . ولم يستحسن أحمد بن يوسف ذلك . ورأى أن خيراً منه ، أن يشاد بذكر من أحسن إليهم ، فكافئوا بالإحسان إحساناً فإن

(١) انظر القصة الثالثة عشرة .

هذا أدعى إلى الكرم . وأبعث على المحاكاة . ولا شك أن هذا في مسالك النفس أفعل ، لأنه يُفهم الكرم من طريق خفي كذلك — أن في ذلك نفعه الشخصي فإنه سيلقى جزاء ما يقدمه من خير مهما كان قويا ، ومهما كان المحسن إليه ضعيفا . بل طلب في خاتمة الكتاب أن يبلغ المكافئ مبلغا من السمو لا ينتظر معه مكافأة ولا جزاء ، فيكفيه شعوره الجميل بأن له ديونا يُحمّلها خيار الناس ولو لم يؤدوها .

وقد قص علينا في هذا الباب إحدى وثلاثين قصة ، وقع بعضها في مصر في عهد المؤلف ، وبعضها في غير عهده ، وبعضها في الشام ، وبعضها في العراق ، إلى غير ذلك . وقد جمعها كلها حول محور واحد : هو حسن الصنيع بالمكافأة على الجميل بالجميل .

ثم أتبع ذلك بقسم آخر عنوانه "المكافأة على القبيح" وهو يتضمن إحدى وعشرين قصة تدور حول مكافأة القبيح بالقبيح . وهو مكمّل للقسم الأول . فإذا كان القسم الأول يستحث الإنسان على فعل الخير توقعا للمجازاة بالخير ، فالقسم الثاني يحذّر من فعل الشر خوفا من سوء المجازاة بالشر .



أما القسم الثالث فاسمه "حسن العقبي" ويشتمل على تسع عشرة قصة . وهي كالمكملة للقسمين الأولين . فانها تدور حول من وقع في شدة ثم خلص منها ، وكان عرضة لضياح ماله أو فقدان نفسه فرد إليه ماله ، ووهبت له نفسه ، كما كان أو خيرا مما كان .

هذه إحدى وسبعون قصة في هذا الكتاب موزعة على ثلاثة أبواب ، كلها تدعو إلى الخير وتنفر من الشر .

ولهذا الكتاب قيمة كبيرة أدبية وأخلاقية وتاريخية .

فأما الأدبية ففي أسلوب المؤلف في عرض القصة . فهو أسلوب جزل رصين ، يحكم التعبير عن المعنى في أوجز عبارة وأمنها وأقواها ، تجدد في كل قصة جملا تستوقف النظر ، سواء من ناحية جزالة لفظها أو قوة معناها . حتى لو شاء معبر أن يؤدي غرضها لاستوجب منه ذلك أضعاف ألفاظها ، أنظر مثلا إلى قوله في القصة الثالثة : "أيحسن بشيخ مثلي أن يترج في المعروف ؟" وقوله : "إن عارا ونقيصة على الكريم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف" . وقوله في القصة الثانية والعشرين : "استصفي ماله بالسوط وعظيم الإخافة" وفي القصة السادسة والعشرين : "تسلمت منه قوما تشهد لهم القلوب

بالفضل فأنست وحشتهم ، وفسحت رجاءهم “ وهكذا في كل قصة نجد بدائع يحسن الوقوف عندها وتذوقها وترديد الإعجاب بها . لم يقصد فيه مؤلفه إلى سجع ولا إلى توشية بأنواع من البديع ، وإنما قصد أن يؤدي المعنى من أوجز طريق وأيسره ، فكان ذلك محمداً الكتاب ، إذ لم يصرف الناظر عن المعنى الجميل باللفظ المزوق .

قد يؤخذ عليه أنه إذا عرض للقصص أوضح في أسلوبه وأبان . وأما إذا نرجع عن القصص غمض واعتراه شيء من الخفاء ، كما ترى في مقدمة الكتاب وخاتمته وآخر القسم الأول منه . ولعل عذره في ذلك ، أنه يعتمد إلى معان فلسفية وشرح حالات نفسية يعالجها على نمط الفلاسفة إذ كان متأثراً بهم ، مثقفاً ثقافتهم ، فهو إذا تفلسف غمض ، وإذا تأدب وضع .

وأما ناحيته الأخلاقية ، فقد التزم في الكتاب عرض قصص تدل على النبيل والمروءة ، وعلى مجازاة الحسن بالحسن ، والقيح بالقيح . والحث على الصبر عند الشدائد ، فإنها ستفرج لآماله . وهذا ضرب من ضروب التعليم بالمثل ، جرى عليه كثير من مؤلفي العرب والفرنج ، كما ترى في هذا الكتاب وكتاب “ المستجاد من فعل الأجواد ” وكتب سميلز بالانجليزية ونحوها .

(ك)

ومزية هذا الكتاب أنّ موضوعه خلق معروض العرض الأدبيّ ،  
فهو رائع في شكله ، رائع في جوهره . تُعجّب عند قراءة كلّ  
قصة بمغزاها ومبناها معا .

وأما الناحية التاريخية للكتاب، فقيمة من ناحية أنّ فيه قصصا  
تاريخية توضّح بعض ما جاء في كتب التاريخ . وقصصا مصرية  
طولونية، تدلّ على نواح كثيرة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية  
في مصر في ذلك العصر، هذا إلى ماله من قيمة في تاريخ الأدب  
فالكتاب عظيم القيمة من ناحية دلالاته على الأسلوب الأدبيّ في العصر  
الطولونيّ ، وعلى ما كان يستعمل من عبارات مصرية أدبية هجر  
بعضها وبقي بعضها، فأنت ترى فيه كثرة شيوع الاستفهام من غير  
أدوات الاستفهام ، كما هو الشائع في مصر الآن . وواجد فيه التعبير  
ببراءة الساحة كما نعبر اليوم ، كما أنّه يعبر تعبيرات غير مألوفة  
في أسلوبنا اليوم كقوله ” واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب  
الطولونية“ يريد عمّالها. وهكذا في الكتاب مجال فسيح لهذا النوع من  
البحث في التاريخ الأدبيّ .

(ك)

وكان الكتاب — مع الأسف — قد وصل إلينا مملوءا بالتحريف  
والأخطاء، فبذل بعض من تقدمونا الجهد في تصحيح بعضها، وبذلنا  
نحن جهدنا في تصحيح بعضها، وأعنا القارئ بتفسير غامضه  
والتعريف برجاله . والله المستول أن ينفع به .

أحمد أمين      على الجارم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغاني . قراءة مني عليه . قال : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب <sup>(١)</sup> ، قراءة مني عليه . قال :

سَدَّدَ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَّفَكَ مُهَمَّكَ . إِنَّ أَشَدَّ  
عَلَى الْمُتَحَنِّ مِنَ مِحْنَتِهِ ، عَدْوَلُهُ فِي سَعْيِهِ عَنِ مَصْلَحَتِهِ ، وَتَنَكُّبُهُ  
الصَّوَابَ فِي بُغْيَتِهِ ، وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَدْوَى مَائِيٌّ يُسْتَنْزَلُ بِهِ  
عَوَانُهَا <sup>(٢)</sup> ، وَيَقْرُبُ مَعَهُ مَا اسْتُصْعِبَ مِنْهَا ، يُسْتَثِيرُهُ حَسَنُ الرَّوْيَةِ ،  
[ وَيَقْرُبُ إِلَيْهِ ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ .

<sup>(١)</sup> هو أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم . كان يلقب بابن الداية لأن أباه كان ولد داية ابن المهدي .

وقد عرف أحمد بالأدب والطب والحساب ، وألف سيرة أحمد بن طولون وسيرة ابنه عمارويه .

ومات بعيد سنة ٣٣٠ هـ .

<sup>(٢)</sup> العوائد . جمع مائدة : المنفعة .

وقد رأيتك لا تزيد من رَغِبْتِ<sup>(١)</sup> إليه فيما تحدوه على برك ، وتحثه  
لما أغفل من أمرك ، على نص مكارم من سلف . وترى أنه  
يَهْشُ<sup>(٢)</sup> إلى مساجلتهم<sup>(٣)</sup> ، فلا تبلغ في هذا أكثر من إحراز  
الفضيلة للمرغوب إليه ، ولا توجد في الراغب<sup>(٤)</sup> فضيلة تحثه<sup>(٥)</sup> على شفيح  
قصده<sup>(٦)</sup> . ولو عدلت عن مكارم من رغب إليه ، إلى حسن  
مكافأة من أنعم عليه ، لكانت لك ذرائع يمت بها الراغب ، ويوجد  
المرغوب إليه سبيلاً<sup>(٧)</sup> إلى الإنعام ، ويفسح أمله في موارة<sup>(٨)</sup>  
الإحسان . ولم يؤت الجود من مائة هو أغمض من مغادرة حسن  
المكافأة . ولو أنعمت النظر فيها<sup>(٩)</sup> لوجدتها أقوى الأسباب في منع

(١) من رغبت إليه : من توجهت إليه نفسك طمعا في إحسانه ومعرفه .

(٢) هَشَّ : (من بابي ضرب وفتح) نشط وخف وارتاح .

(٣) المساجلة : المباراة والمفارقة .

(٤) الراغب : طالب البر والمعروف .

(٥) تحثه : ضمير المفعول يعود إلى المرغوب إليه .

(٦) على شفيح قصده : على حق المرغوب إليه في المكافأة الذي يشفع لما

يقصد إليه من الإحسان والبر .

(٧) أوجد فلانا الشيء : أظفره به .

(٨) موارة : متابعة .

(٩) فيها : الضمير يعود على مغادرة حسن المكافأة .

القاصد<sup>(١)</sup>، وحيرة الطالب. ولو كانت توجد<sup>(٢)</sup> مع كل فعل استحققتها،  
لاثر الناس قاصديهم على أنفسهم، ولجروا على السنن الماثورة عنهم.

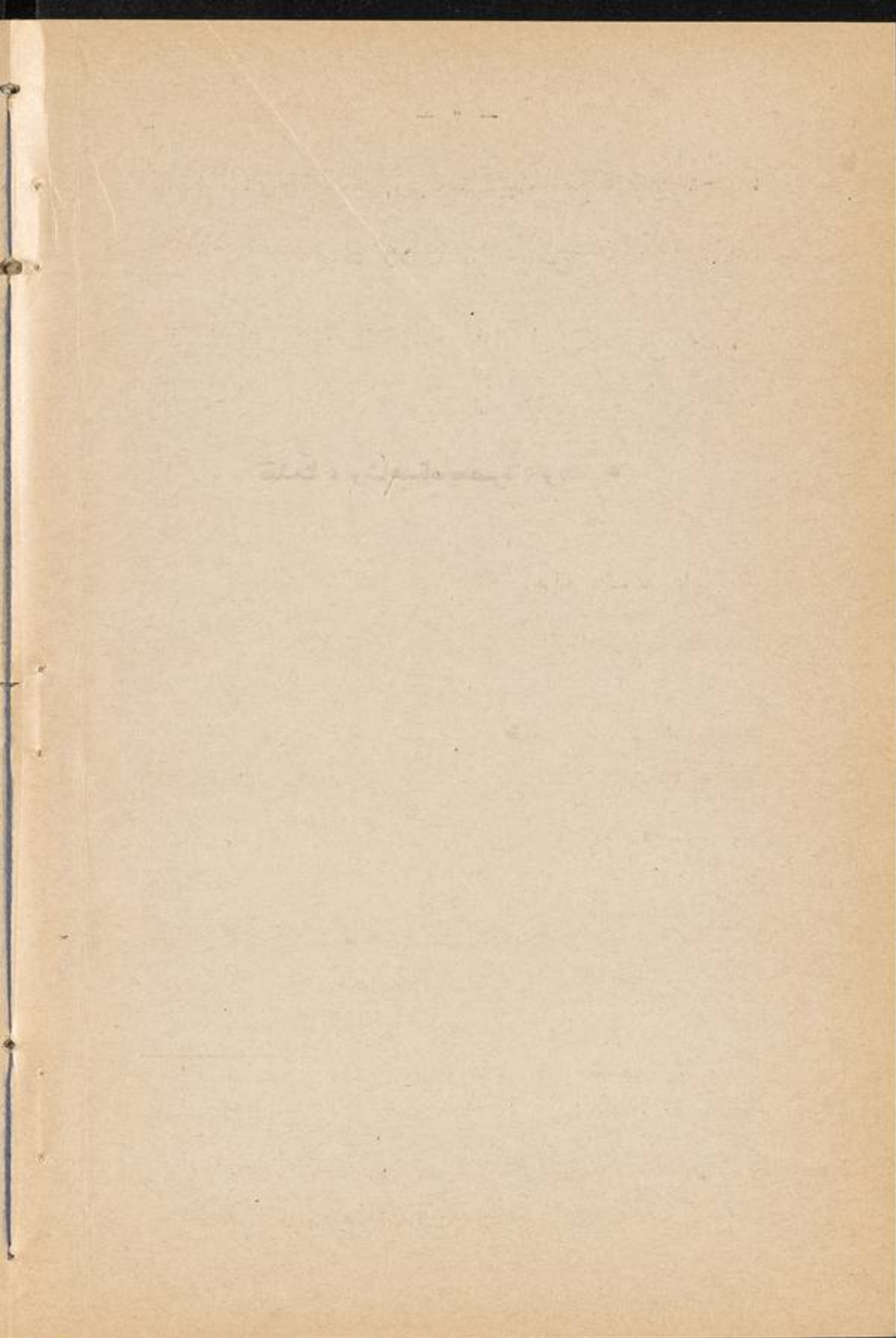
[ وإني أثبت ] في هذه الرسالة أخباراً في المكافأة على الحسن  
والقبیح تُنعم<sup>(٣)</sup> الخاطر، وتُقربُ بغيّةَ الراغب، مما سمعناه ممن  
تقدمنا، وشاهدناه بعصرنا، وبالله التوفيق .

---

(١) القاصد : قاصد البر ومريده ، ومنعه : رفض إعطائه .

(٢) توجد : أى المكافأة .

(٣) تنعم الخاطر : تريح النفس وتمتعها .





## المكافأة على الحسن

حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، عن عبد العزيز بن خالد الأموي ،  
عن أبيه خالد . قال :

أخبرني محارب بن سلمة . كاتب خالد القسري<sup>(١)</sup> :  
أن ديوانبان<sup>(٢)</sup> خالد أخرج من ديوانه وثيقة على بعض  
المتضمنين<sup>(٣)</sup> ، فدفعها إليه ببر تعجله منه<sup>(٤)</sup> ، فدعا به خالد وأمر

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسيد القسري ، نسبة إلى قسر بن عقر ،  
بطن من بجيلة . ولى خالد العراقيين لهشام بن عبد الملك . وكانت أمه نصرانية .  
وكان معدودا من خطباء العرب وأجوادهم . مات مقتولا سنة ست وعشرين  
وإائة بالهيرة .

(٢) ديوانبان : الفائم بشئون الديوان . وكلمة "بان" بالفارسية معناها : القائم  
على الشيء المشرف عليه . ومن أمثال الديوانبان : الدربان للبواب ، والديديبان  
للحارس . وفي الأصل "الديوانيان" بالياء .

(٣) المتضمنين : تضمن المال عن فلان : التزم دفعه عنه ، فالتضمن :  
الضامن .

(٤) دفع الديواني للضامن الوثيقة التي تثبت الضمان ، لأن الضامن كان  
قد عجل إلى الديواني برا وأسدى إليه معروفا .

بقطع يده بين يديه . فقال له : استبِقْنِي (أصلح الله الأمير<sup>(١)</sup>) .  
فقال : وما يكونُ من مثلك؟ فقال له : إن لم يُقدَّرْ في الزمان رفعتي إلى  
منزلةِكَ فلا تأمنه على حطِّكَ إلى منزلتِي ، فيكونَ مِنِّي ما تمجده . فقال  
خالد : أطلقوه ففيه عظيم<sup>(٢)</sup> !

فلم يمضِ حَوْلٌ حتى ورد العراقَ يوسف<sup>(٣)</sup> بنُ عمر متولياً  
لعمله ، فحبسه في حُجْرَةٍ من ديوانه ، ووَكَّلَ ببابِ الحجرة جماعةً ،  
فتدسَّسَ الديوانبانُ حتى دخل في جملتهم ، وتلطف للجماعة حتى  
رأسها<sup>(٤)</sup> بالخبرة وحسنِ المداخلة . وتحزَّم<sup>(٥)</sup> خالدٌ طعامَ يوسفَ

---

(١) تتضمن العبارة ما يعود على الأمير من الخير إذا استبقاه ولم يماقه ،  
بدليل سؤال خالد التالي .

(٢) ففيه : أى في مسكه خلق عظيم أو روح عظيم .

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود  
الثقفى . ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ، ثم تولَّى العراق سنة ١٢٠ بعد  
خالد بن عبد الله القسرى ، ومات في السجن سنة ١٢٦

(٤) رأسها . عظم شأنه فيها .

(٥) تحزَّم من الشيء بجرمة : تمتع ، وقد ضمن الفعل معنى تجنَّب .

ابن عمر ، خوفاً من أن يكون مسموماً فطوى<sup>(١)</sup> ، وتأمل<sup>(٢)</sup> في ذلك الديوانبان ، فجعل في منديل نظيف ما يكف جوعته من طعام قد تأتق فيه ، ودخل إليه كالمتجسس عن حاله ، فقال له : أنا الديوانبان الذي عفوت عنه ، وهذا طعام تأمن فيه ما تخافه في غرة . فأقام أياماً يأتيه من طرائف الأطعمة والفواكه ما ينسى به وحشته ، ويكف فاقته ، ثم دخل إليه فقال : ليس هذا الذي أفعله مقدار ما يقتضيه إحسانك إلي ، وقد استأجرت الدار التي في هذه الحجرة<sup>(٣)</sup> ، وأحضرت قوماً أثق بهم من حذاق النقاين حتى نقبت سرباً<sup>(٤)</sup> إلى موضعك ، ولم يبق إلا أن تركض<sup>(٥)</sup> بعض بلاط هذا المجلس ركضة فتفضي إلى السرب . وقد أعددت في الدار نجيين ، أحدهما لك والآخر لي . فلما صلى الديوانبان العصر أغلق الباب ومضى إلى الموضع المكترى . وركض خالد الموضع وخرج من

(١) طوى ( كرضى ) وأطوى فهو طاو وطيوطيان ، فان تمدد ذلك فطوى ( كرمى ) وهى طياً وطاوية .

(٢) تأمل : ففكر ملياً . وفي الأصل : تأمل من .

(٣) الحجرة : الناحية .

(٤) السرب : الحفير تحت الأرض .

(٥) الركض : الدفع بالرجل .

السَّرب ، وربكنا نجيبيهما ، وحنًا المسير ، فما فُظِنَ بخالد إلا في غد ذلك  
اليوم ، فطلبته الخيل والتَّجُّبُ ففاتها . ولم يزل يُوضَعُ<sup>(١)</sup> في البلاد  
حتى لحقَ مَسْلَمَةَ بنَ عبد الملك<sup>(٢)</sup> ، فشفَع له إلى هشام<sup>(٣)</sup> وردّه إلى عمله .

\*  
\* \*

وحدّثني هارونُ بنُ مَلُولٍ<sup>(٤)</sup> قال :

كنت عند أحمد بن خالد الصَّرينيِّ ( وهو يتولّى الخراج بمصر )  
ووجوهها عنده . وقد أكبَّ على حاصل ما أستخرج في أمسه ، وهو

(١) أوضع : أسرع في السير .

(٢) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، يكنى بأبي شاذان ، حارب  
يزيد بن المهلب ، وولى العراق بعد قتل يزيد سنة ١٠٢ هـ ، ثم عزله أخوه عنها بإغراء  
حاسده . وقد تمت على يديه فتوح كثيرة . ومات في عهد الوليد بن يزيد .

(٣) هو هشام بن عبد الملك . برع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك  
في شوال سنة ١٠٥ هـ . وكان هشام شديدًا قاسيًا وسياسيًا ماهرًا ، يجمع الأموال  
ويستجيد الخيل ، وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف  
فرس . وكان أحد سواس بني أمية الثلاثة وهم : معاوية وعبد الملك وهشام .  
توفي بالرصافة سنة ١٢٥ هـ . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

(٤) كان من كبار التجار وأصحاب الأموال في عهد أحمد بن طولون . روى  
عنه المؤلف في هذا الكتاب عدة أخبار .

يُقابل به ثَبَّتَ<sup>(١)</sup> المصادرة<sup>(٢)</sup> . فقال لصاحب حمالته<sup>(٣)</sup> : ما أرى  
اسمَ فلانٍ المتضمّنِ في هذا الحاصل<sup>(٤)</sup> ، وقد صادَرنا<sup>(٥)</sup> بالأمس على  
تحمسائة دينار ! فقال : ما صحّ له شيء<sup>(٦)</sup> . فقال : أبعث إليه من  
يسجبه صاغراً حتى يجمّله على خُطّة المطالبة<sup>(٧)</sup> . فقال له رجل من  
المتضمّنين يُعرف بما شاء الله بنِ مرزوق : الحَمَسُائَة (أيدك الله) تصحّ  
لهذا الرجل في هذه العشيّة (إن شاء الله) إن أعني مما قد أمرت به  
فيه . فقال<sup>(٨)</sup> : هي عليك ؟ فقال : نعم . فتقدّم إلى صاحب الحمالة  
ألا يعرض له . فالتفت إلى<sup>(٩)</sup> ما شاء الله فقال : تعرف هذا  
الرجل ؟ فقلتُ : نعم ، ومن العجَبِ ألا نعرفه . فقال : يا أحمى !

(١) الثبت : في اصطلاح كتاب ذلك المعهد : الدقتر .

(٢) المصادرة ، صادره على كذا : طالبه به .

(٣) الحمالة بالفتح : الكفالة ، وصاحب الحمالة هو الذي تكفل بجمع الخراج .

(٤) في هذا الحاصل : أي في القائمة التي يقرؤها ، وقد جمعت أسماء من

دفعوا الخراج ومقدار ما دفع .

(٥) صادَرنا : فارقنا متفقاً معنا .

(٦) ما صحّ له شيء : لم يتيسر له الحصول على شيء من المال .

(٧) يقول : حتى يحشمه مشقة طريقة المطالبة من العنف والإذلال .

(٨) فقال : أي أحمد بن خالد .

(٩) إلى : إلى هارون بن ملول .

أمر<sup>(١)</sup> في رجلٍ يجرى مجرانا في معاشنا بما لم أطق والله احتمالَه ،  
وعندي ضعفٌ ما طُوب به ، وكانت صيانتُه أحبَّ إليَّ مما حويتهُ .  
فإذا لقيتهُ فعرفه أني أوردُ المالَ عنه لثلاثِ يورِدَ المالَ مُضعفاً .  
وانصرفتُ<sup>(٢)</sup> من مجلسِ أحمدَ بنِ خالدٍ ؛ فلقيتُ الرجلَ في طريقٍ ،  
وهو محدود<sup>(٣)</sup> ، فسألته عن خبره وأخبرته الخبرَ . فقال :  
يا أخي ! وما في هذا من الفرج ؟ إنما انتقلتُ من غمٍّ إلى رِقٍّ !! ومتى  
أقضى إلى هذا الرجلِ إحسانه إليَّ ؟ والله لوددتُ أن أمرَ السلطانِ  
نقدَ فيَّ ، ولم أتحملَ هذه العارفةَ منه .

قال أحمدُ بنُ يوسف : فقال لي هارون : وحضرتُ [ بيتَ ]  
ما شاء اللهُ بنِ مرزوقٍ بعد هذا بأربعِ سنينِ في الوقتِ الذي تُوقى  
فيه ، فاتفق أن كان إلى جانبي رجلٌ قد ألقى بعضَ رِدائه على وجهه  
وهو يعجُّ<sup>(٤)</sup> بالبكاء والشهيق . ثم كشف وجهه فكان الرجلُ الذي  
أورد ما شاء اللهُ عنه الخَمْسَ مائةَ دينارٍ . فقال : من الوصيُّ من

(١) أمر : أي أحمد بن خالد ، ويصح أن تقرأ بالبناء للفعول .

(٢) وانصرفت : المتحدث هارون بن ملول .

(٣) المحدود : من سد عنه الرزق ومنع الخير . وفي الأصل محدود .

(٤) يعج : عجز من بابي ضرب وفتح : رفع صوته .

جماعتكم؟ فقال له الوصيُّ : هاأذا . فقال : عندي لهذا الرجلِ  
( رحمه الله ) ألفا دينارٍ ومِئتين دينار . فقلت له : حدثت بينكما  
معاملةً بعدى <sup>(١)</sup> ؟ فقال : لا والله ! ولكنها المِئتان دينار  
صرتُ بها إليه عند تبسُّرها ، فقال : وما [ أعمل بها ] ؟ تكونُ  
عندك إلى أوانِ حاجتي إليها . فسألته في شغلها <sup>(٢)</sup> . فقال :  
هو مالك أعملُ به ما شئت . فلم تزل تنمي وتزيد حتى بلغت هذا  
المقدار . فقال هارون : ووجدتُ ما خلقه ما شاء الله لِبَنَاتِ كُنَّ  
معه يَشِينَا نَزْرًا ، فخيرهنَّ الله بذلك المالِ .

\* \* \*

وحدثني أحمدُ بنُ دُعَيْمٍ <sup>(٣)</sup> ( وكان من خاصَّة قواد أحمد  
ابنِ طولون ) بعد أن ترك الديوانَ وحسُنَ انقطاعه إلى الله ، قال :  
قلدني أحمدُ بنُ طولون الصعيديُّ الأوسطَ <sup>(٤)</sup> ، وخرج عليه

---

(١) بعدى : بعد الحادثة التي أعرفها وهي أنه أذى عنك مِئتين دينار .

(٢) في شغلها : في الاتجار بها .

(٣) قائد من قواد أحمد بن طولون — كان أحد من روى عنهم ابن الداية  
سيرة ابن طولون . وقد ترك الديوان بعد موت ابن طولون وتزهد .

(٤) الصعيديُّ الأوسط — يطلق على الجزء من الصعيد الذي يقع بين أنحيم والبهنسا  
( عن معجم البلدان ) .

سَوَارٌ<sup>(١)</sup> أبو عبد الرحمن العُمَرِيُّ ، فكتب إلىَّ يستخبرني عن حاله ، فأعلمته ضَعْفَ يده وانتشارَ أمره بقلّة المال . وقبضتُ على رئيس من الأعرابِ اتَّهَمْتُهُ بمكاتبتِهِ ، وأنهيت خبرَهُ إليهِ . فكتب إلىَّ أحمدُ بنُ طولون يأمرني بحمل الأعرابيِّ ( وقيادة ) ما قدّرت عليه من النُجْبِ ، والشخوصِ إليه ليقف من مشافهتي على ما لا تبلغُهُ المكاتبَةُ ، فامتثلت أمره فاسيرتُ مرَّحَلَةً<sup>(٢)</sup> حتّى لحق بي وجوهُ

(١) ورد اسمه في سيرة أحمد بن طولون للبلويّ مرّة : عبد الحميد بن عبد الله ابن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ويكنى أبا عبد الرحمن ، ومرّة عبد الرحمن العمري ، وجاء اسمه في اليعقوبي هكذا : عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وفي خطط المقرزي هكذا : أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري ، وذكر في مكان آخر من هذا الكتاب خاليا من اسم ( سوار ) . وكان سبب نروجه أن البجة كانوا قد هجموا على المسلمين في مصلاهم يوم عيد لهم فقتلوا ونهبوا ثم رجعوا ، فكان لهذا العمري معهم معارك ثار للمسلمين منهم فيها ودخل بلاد البجة ولما علم ابن طولون بأمره خاف ازدياد شوكته فبعث إليه أحد قواده لإخضاعه . وحاول العمري إفهام القائد أنه غير خارج فلم يسمع منه ، ووقعت بينهم معركة انتصر فيها العمري . ثم أهمل ابن طولون أمر العمري مئة . حتّى حضر إليه أعرابيان يحملان رأس العمري وكانا من جنود العمري . فلم يرض ابن طولون بفعلتهما وقتلهما . هذا ، وأول بلاد البجة من قرية تعرف بالخرية بينها وبين قوص ثلاث مراحل . وآخرها أول بلاد الحبشة .

(٢) في الأصل : رحلة ويصعب توجيهها ، وفي سيرة ابن طولون للبلوي فما مرت إلا مرحلة .



تُجَارِ الْعَمَلَ<sup>(١)</sup> ، وَمَعَهُمْ شَابُّ أَعْرَابِيٍّ . وَقَالُوا لِي : جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ  
هَذَا الْأَعْرَابِيُّ الْمَحْمُولِ ، فَإِنَّ مَعَنَا مِنْ يَبْذُلُ فِي إِطْلَاقِهِ نَحْمَسَانَةَ  
دِينَارٍ . فَقُلْتُ لَهُمْ : قَدْ أَنْهَيْتُ أَمْرَهُ إِلَى الْأَمِيرِ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ  
الَّذِي مَعَهُمْ : نَخِذِ النَّحْمَسَانَةَ عَلَى أَنْ تَجْعَلَنِي مَكَانَهُ . قُلْتُ : أَفْعَلُ .  
فَأَحْضَرْتُ الْأَعْرَابِيَّ ، وَكَانَ مِنْ عَشِيرَتِي ، فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَقَدْ  
كُنْتُ مَغْمُومًا بِكَ حَتَّى سَرَّنِي خِلَاصُكَ . قَالَ : بِمَاذَا تَخَلَّصْتُ ؟  
فَقُلْتُ : بَدَلَ لِي رَجُلٌ نَحْمَسَانَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ بِمَكَانِكَ  
وَأُطْلِقَكَ . فَقَالَ : وَمَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَأَحْضَرْتُهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ  
قَالَ امْضِ لِشَأْنِكَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي  
أَنْ يَتَرَبَّجَ فِي الْمَعْرُوفِ<sup>(٢)</sup> ؟ هَذَا رَجُلٌ لِقَيْتُهُ وَقَدْ أَكْبَتَ عَلَيْهِ خَيْلٌ  
لِتَسْلُبَهُ ثِيَابَهُ وَمَا كَانَ مَعَهُ ، فَفَرَّقْتُهَا عَنْهُ حَتَّى تَخَلَّصَ ، فَرَامَ أَنْ  
يُخَلِّصَنِي بِمَحْصُولِهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ أُخْرَى<sup>(٣)</sup> اللَّيَالِي ، وَغُرْمٍ<sup>(٤)</sup>

(١) الْعَمَلَ هُنَا : جِزَاءٌ مِنَ الْمَمْلُوكَةِ أَوْ الْوَالِيَةِ يَحْكُمُهُ حَاكِمٌ مِنْ قَبْلِ الْخَلِيفَةِ أَوْ  
الْأَمِيرِ ، يُسَمَّى مَامَلًا .

(٢) يَتَرَبَّجُ الْخ : يَطْلُبُ الرِّيحَ مِنْ وَرَاءِ مَا يَبْذُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ .

(٣) أُخْرَى اللَّيَالِي : أَبَدَ الدَّهْرِ .

(٤) وَغُرْمٍ : مَعْطُوفٌ عَلَى مَحْصُولِهِ .

ثَقِيلٌ عَلَى مِثْلِهِ ، وَهَذَا <sup>(١)</sup> مِمَّا لَا أَقْبَلُهُ وَلَا أُرَكِّنُ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ لَهُ :  
انصِرْفْ فِي حِفْظِ اللَّهِ فَقَدْ رَضِيَ الرَّجُلُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ  
أَمْضَيْتَ هَذَا لِأَلْحَقَنَّكَ وَأُخْبِرَنَّ الْأَمِيرَ بِصَنِيعِكَ ! فَتَوَقَّفْتُ ؛  
وَبَكَى الْأَعْرَابِيُّ <sup>(٢)</sup> فَقَالَ : إِذَا كَانَ مُحْبَسِ الْأَمِيرِ عَلَى مَا تَصِفُ وَلَيْسَ  
تَرْجُو خَلَاصًا مِنْهُ ، فَمَا أَعْمَلُ فِي عَارِفَتِكَ عِنْدِي ؟ وَأَنَا أُنْسُدُّكَ اللَّهَ  
لَمَّا <sup>(٣)</sup> قِيلَتْ مِنِّي مَا بَدَلْتُهُ وَأَعْظَمَ مِنْهُ ، وَأَزَلَّتْ هَذِهِ الْعَارِفَةُ عَنِّي  
عَنِّي ! فَإِنَّ عَارًا وَنَقِيصَةً عَلَى الْكَرِيمِ أَنْ يَمُوتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مِنْ دِيُونِ  
الْمَعْرُوفِ . فَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا أَحَاطَتْ بِهِ خَيْلٌ تُرَيْغُ <sup>(٤)</sup> سَلْبَهُ  
فَدَدَتْهَا عَنْهُ فَقَدْ كَفَأَتْ عَارِفَتِي ، أَنْصِرْفْ مُصَاحِبًا <sup>(٥)</sup> .

فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَامِعَهُ مِنَ الْمَالِ . فَقَالَ : مَا بِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَأُكَبِّ  
عَلَى رَأْسِهِ وَرَجُلِيهِ يَقْبَلُهَا وَيَبْكِي . فَأَبْكِي جَمَاعَتَنَا .

(١) فِي الْأَصْلِ : وَلَيْسَ هَذَا ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْأَعْرَابِيُّ : الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يَفْتَدِيَ الْأَعْرَابِيَّ الْآخَرَ بِنَفْسِهِ .

(٣) لَمَّا : إِلَّا . قَالَ تَعَالَى إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ .

(٤) تُرَيْغُ : تَرِيدُ وَتَطْلُبُ .

(٥) أَنْصِرْفْ مُصَاحِبًا : تَعْبِيرٌ شَائِعٌ فِي هَذَا الْعَهْدِ وَمَا قَبْلَهُ يَرَادُ بِهِ مُصَاحِبًا بِالْخَيْرِ  
وَالْبَرَكَةِ ، أَوْ بِمَعُونَةِ اللَّهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

فلما دخلتُ على أحمد بن طولون ، شافهته من خبر العمري بما  
سرّه . وعرضتُ عليه النُجْب ، فقال : حسنةٌ والله ! فقلتُ معي أيها  
الأميرُ ما هو أحسنُ من هذا ، وحدثته الحديث ، فأحضر الأعرابيَّ  
وخلع عليه ، وأثبتته في ديوانه <sup>(١)</sup> ، وأمرني بإنفذ رسولي معه  
في [ حمل ] <sup>(٢)</sup> الأعرابي الآخِر . فلما وافى خلع عليه وأثبتته ، فلم  
يزالا في خاصته إلى وفاته .

\*  
\*  
\*

وحدثني موسى بن مُصلح المعروف بأبي مُصلح <sup>(٣)</sup> ( وكان هذا  
من الثقات عند أحمد بن طولون ) :

---

<sup>(١)</sup> وأثبتته في ديوانه : أى أثبت اسمه في دفتر خاص بمن يجرى عليهم رزق  
الأمير ، أو الذين يمنحون عطاء في المواسم والأعياد ونحوها .

<sup>(٢)</sup> الزيادة التي بين القوسين من البلوى .

<sup>(٣)</sup> سماه البلوى في سيرة أحمد بن طولون : موسى بن صالح ، ثم روى هذه  
القصة مع كثير من التغير والتصريف .

أَنَّ أَحْمَدَ كَانَ يُرَاعِي أَمْرَ الْمَجْبُوسِ حَتَّى يَمِضِيَ لَهُ حَوْلٌ ، فَإِذَا  
جَازَهُ لَمْ يَذْكُرْهُ . وَكَانَ يَقُولُ لِي سِرًّا : إِذَا تَبَيَّنْتَ مِنْ رَجُلٍ بَرَاءَةً  
سَاحَةً فَسَهِّلْ عَلَيْهِ وَاسْتَأْمِرْنِي ، فَإِنِّي أَسْتَعْمَلُ التَّشَدُّدَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِ .  
قَالَ مُوسَى بْنُ مُصَلِحٍ : وَكَانَ فِي الْحَبْسِ رَجُلٌ قَدْ زَادَ عَلَى سِنَتَيْنِ ،  
مَنْقُطَعًا إِلَى اللَّهِ بِرَغْبَتِهِ ، لَا يُسْأَلُنَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ ، وَهُوَ يُكَبُّ عَلَى  
الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ .

فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : النَّاسُ يَضْطَرُّونَ فِي أُمُورِهِمْ ، وَيَسْأَلُونَنِي إِطْلَاقَ  
الرُّقْعَةِ إِلَى ذَوِي عَنَايَاتِهِمْ <sup>(١)</sup> ، وَأَنْتَ خَارِجٌ عَنْ جُمَّلَتِهِمْ <sup>(٢)</sup> ! بِخَزَانِي <sup>(٣)</sup>  
خَيْرًا . وَرَقٌّ قَلْبِي عَلَيْهِ ، وَكُفْرٌ فِي نَفْسِي مَحَلُّهُ ، نَخَلْتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :  
لَوْ اسْتَجَزْتُ إِطْلَاقَكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ اسْتَعْنِ بِي فِي أَمْرِكَ .  
فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ فِي هَذَا الْبَلَدِ غَيْرَ أَبِي طَالِبِ الْخَلِيجِ ( وَكَانَ

(١) عَنَايَاتِهِمْ : يَرِيدُ الْعَنَايَةَ بِهِمْ . وَفِي سِيرَةِ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ لِلْبَلْبُوتِيِّ . وَيَسْأَلُونَ  
الْخِلَاصَ مِمَّا يَقَاسُونَهُ بِكُتُبِ رُقْعَةٍ بِشَفَاعَةٍ مِنْ يَعْنِي بِأَمْرِهِمْ .

(٢) خَارِجٌ عَنْ جُمَّلَتِهِمْ : لَا تُشَبِّهُهُمْ وَلَا تَفْعَلْ فَعْلَهُمْ .

(٣) لَمْ نَجِدْ هَذَا الْفِعْلَ فِي الْمَجْمُوعَاتِ ، وَإِنَّمَا قَسَنَاهُ عَلَى فِتْنَاهُ : قَالَ لَهُ :  
جَعَلْتُ فِدَاكَ .

هذا الرجل يتولى شُرطَتِي<sup>(١)</sup> أحمد بن طولون بمصر) . ولو وصلت  
إليه سرّاً أو برسالة ممن يفهم لرجوت سهيلَ امرى . فقلت له :  
والله لا تَينَبُ في أمرك ما أخطر به نفسى<sup>(٢)</sup> . أنا أطيقك سرّاً  
على أن تُوثقنى بأيمانٍ مُخرِجة<sup>(٣)</sup> أنك لا تهربُ عني ، ولا تُخفِرُنِي<sup>(٤)</sup> .

(١) كان لأحمد بن طولون شرطتان هما : الشرطة السفلانية ، ويظهر أنها  
كانت خاصة بإقامة العدل وتوطيد الأمن بين العامة وأوساط الناس . والشرطة  
الفوقانية ، ويظهر أنها كانت خاصة بأحوال الطبقة العليا من القواد والجنود والعلماء  
وعظاء رجال المملكة . وفي سيرة ابن طولون للبلوى : وحدثت نسيماً الخادم قال : لقد  
مولأى الشرطة السفلانية قائداً من قواده ، وقال له : ارفق بالرية وانشر العدل  
عليهم واقض حوائجهم وأظهر إكرامهم وصياتهم وتفقد مصالحهم فإني أسير بالليل  
في محالهم ، وكل موضع أمرت به لا يخلو من قارئ أو متعجد أوداع أو ذا كراته  
عز وجل ، فوفر علينا دعاءهم لنا واحرسنا من أن يكون دعاؤهم علينا .

ويقول لمن يقلده الشرطة الفوقانية : تشدد عليهم وأرهبهم منك ولا تكن فم  
واغلظ عليهم فإني أسير في محالهم فما أمرت بموضع فأسمع فيه إلا غناء أو سكران معربدا  
قد أخرجته عربدته إلى الوثوب والكفر .

وكان لا يقبلد شرطة أسفل إلا الثقات من وجوه قواده — وأما تشدده على قواده  
وغلمانته فمشهور .

(٢) في الأصل : ما أخطر به على نفسى . وأخطر نفسه جعلها خطراً ،  
والخطر ما يتراهن عليه وقد يخسر صاحبه . وعبارة البلوى : والله لأخاطرن  
فيك بنفسى .

(٣) مخرجة : موقعة في الحرج وهو الإجم ، أى عند الحنث فيها . أو مخرجة  
بتشديد الراء المكسورة أى مضيقه على الخالف السبل للتخلص من يمينه .

(٤) أخفرت الرجل : نقضت عهده وذمامه ، وخفرتة أجزته وحفظته .

فقال : إذا كنتُ عندك بمنزلةٍ مَنْ يُسَكُّ فيه ، فلا حاجةَ لي بإخراجك  
إيَّاي . فوافقته من غير يمين ارتهنته بها على أن يُقيم ثلاثة أيام ،  
فأطلقته ليلة الجمعة ، وفارقتُه على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين . فلما كان  
سَحَرُ يوم السبت وافاني كما <sup>(١)</sup> فتحتُ بابَ السجن . فلما دخل سجد  
وحمد الله . وقال لي : بعثتُ إلى أبي طالب الخليج امرأةً من أهلنا ،  
وطويتُ عنه إطلاقي ، وسألته أن يُلطفَ في أمرى ، فوعد بذلك ،  
وخلفَ المرأةَ حتى ترجعَ إلى بالجواب ، وركب إلى الأمير عشيَّةَ  
الجمعة ، فأقام إلى قريبٍ من العتمة ، ثم انصرفت إلى المرأة فقالت :  
وافي أبو طالب الأمير ، وهو مغموم <sup>(٢)</sup> ، فقال لي : كلمته ، فقال :  
والله لقد أذكرتني رجلا يحتاج إلى عقوبة ! ثم تقدّم إلى رجل  
يصيرُ بك إليه عند جلوسه في يوم السبت ، ووجه إلى <sup>(٣)</sup> أن أُرَجِّعُ

(١) يستعمل المؤلف في هذا الكتاب "كما" بمعنى حينما ، وفي سيرة ابن طولون  
للبلوى : لما فتحت باب السجن .

(٢) وافى أبو طالب الخ : المراد قابل أبو طالب الأمير وعاد إلى وهو مغموم ،  
والأولى حذف كلمة "الأمير" ، وعبارة البلوى : وافى أبو طالب وهو مغموم .  
فقال لي . وهي واضحة .

(٣) ووجه : أى أبو طالب الخليج .

إلى الله عز وجل في أمرك ، فليتني لم أتكلم فيك ! فسحرت<sup>(١)</sup> مع ما تيقنته في أمري ، خوفا ان يأتيك رسوله فلا يجذني فيلحقك مكروه منه ، ورأيت كل ما يوعدني به اسهل علي من ان أخصر ظنك بي ، وتقديرك في . فما ترجل النهار<sup>(٢)</sup> حتى وافى الرجل ، فسلمه مني . وحضرت الدار<sup>(٣)</sup> ، وقد أحضره أحمد بن طولون ، ومجلسه بين الخاص والعام ، فلما رآه بكتته بالإجلاب<sup>(٤)</sup> عليه في الثغر<sup>(٥)</sup> . فاعتذر بعذر قبيله ولقيه بالرأفة بضد ما خفته عليه ، وأطلقه . فكان من آثار إخواني عندي إلى أن فرقت الأيام بيني وبينه .

\*  
\*  
\*

---

(١) سحرت : بكرت في وقت السحر .

(٢) نرجل النهار : ارتفع .

(٣) الدار : دار الملك حيث يجلس أحمد بن طولون .

(٤) أجلب عليه : جمع الجموع لقتاله وكاد له وتوعده .

(٥) الثغر : ثغر المملكة : المكان الذي منه يخاف هجوم أعدائها .

وحدثني عمي إسحاق بن إبراهيم<sup>(١)</sup> . قال :

انتظرت أبا عبد الله الواسطي<sup>(٢)</sup> . كاتب أحمد بن طولون في داره حتى رجعت من عند أحمد بن طولون ، فأوصل إليه بعض الحجاب ثبت من وقف بالباب<sup>(٣)</sup> ، فرأى فيه إسماعيل بن أسباط ، فسأل عنه . فقبل له : وقف بالباب طويلا وانصرف . فقال : إن هذا الرجل ممن عمده<sup>(٤)</sup> هذه المنزلة<sup>(٥)</sup> مدة طويلة ، ولست أشك أن مجيئه

(١) كان من رجال ابن طولون وكبار خاصته . روى عنه البلوي طرفا من أحوال ابن طولون .

(٢) هو أحمد بن محمد الواسطي - أبو عبد الله كاتب أحمد بن طولون ، أحد من روى عنهم ابن الداية تاريخ ابن طولون . ولما تنكر الأتراك للاستعين وخاعوه ونفوه إلى واسط ، وقع اختيارهم على ابن طولون ليصحبه في متفاه ، فعهد بذلك ابن طولون إلى الواسطي .

ولما حضر ابن طولون إلى مصر نائبا عن باكك حضر معه الواسطي . وكان متصلا به جدا . ولما وشى ماجور بابن طولون عند الخليفة وكتب الخليفة إليه بطابه ، أرسل ابن طولون في هذه المهمة الواسطي - بهدايا كثيرة فبلغ ما أراد مولاه وثبت أمره . ولم يكن في كتاب أحمد بن طولون أحد أعرف بخدمته ولا أصبر عليها من الواسطي .

(٣) ثبت من الخ : قائمة بأسماء من يطلبون مقابلته .

(٤) عمد : ساد ورأس ، ومنه عميد القوم سيدهم : ورئيسهم ، ولم نجد هذا الفعل في المعجمات بهذا المعنى ، ولكن استعماله صحيح كما رأيت .

(٥) هذه المنزلة : أي المنزلة التي يشغلها الواسطي ، وهي شدة اتصاله بابن طولون وما يتبع ذلك من النفوذ والسيطرة .



لحاجة له ، ومن الجميل أن أركبَ إليه فأقتضيه حوائجه ، وأبلغَ فيها محبتهُ . ثم ركبَ وسرتُ معه حتى دخلنا دارَ إسماعيلَ بنِ أسباط (وهي التي ملكها الشيرُ بعده) فرأينا داراً عارية من الستور والفرش ، وتأملنا من فيها من الحشم على حالٍ سيئة ، فاستقبله إسماعيلُ بالشكر والدعاء له . فقال له الواسطيُّ : إنه لا فرقَ بينك الساعةَ عندي في المرتبة التي كنتَ فيها <sup>(١)</sup> . ومن جَمالنا فيما أُفضيَ إلينا أن نُحسنَ خلافةً من تقدّمنا ، وأن نراهم كالأباء المستحقين البرّ من أولادهم . وسأله عن حاجته . فقال : أخبرك بها بعد أن أُحدّثك بشيءٍ يدلُّ على أن المعروفَ ينفعُ عند مُستحقّه وغيرِ المستوجبين له .

كانت لي (أيديك الله) دارُ خيلٍ نحو المنظر <sup>(٢)</sup> ، وكنتُ أركبُ إليها في غداة الليلة التي أعاقرُ فيها إخواني <sup>(٣)</sup> ، فركبتُ إليها يوماً فألفيتُ

---

(١) إنه لا فرق الخ : الأسلوب السائغ الواضح أن يقال : إنه لا فرق بينك عندي في الحال التي أنت بها ، والمرتبة التي كنتَ فيها . أي إن فقره لا يقلل مما كان يكتفه له الواسطيُّ من الإجلال في أيام عظمته .

(٢) المنظر : بناء نغم أقامه ابن طولون أمام ميدان سباق الخيل ليشاهد منه السباق ، قال القضاعي : وكان عرض الخيل بمصر من عجائب الإسلام .

(٣) أعاقر فيها إخواني : ألازمهم ، والمراد ملازمتهم في مجلس الشراب .

في الصحراء جمعاً من العامة ، وقد ضاقت بهم ، ومعهم عاملُ  
المعونة<sup>(١)</sup> . واستقبلتني امرأةٌ قد هتكت سِتْرَهَا ، وكشفت شعرها .  
فقلت : يا سيدي ! أحمى وواحدى وكافلي يُعْرَضُ على القتل الساعة .  
فعدلتُ إلى صاحب المعونة ، وسألته عن حال الناس<sup>(٢)</sup> . فقال :  
اجتمعنا لضرب خَنَاقٍ بالسَّوْطِ . فقلت له بحضرة الناس : ما حقُّ  
هذا إلا الإحراق بالنار ! وأنا أكتبُ فيه إلى السلطان<sup>(٣)</sup> . فأعلن  
الجميعُ بالدعاء لي<sup>(٤)</sup> ، وانصرفوا . فسألته البعثة بالخَنَاقِ إلى ، فوعدني  
بذلك في المساء .

فلما صليتُ العشاء الآخرة<sup>(٥)</sup> أنفذ إلى منه شاباً مكفهرً  
الوجه ، لا تخفى قسوته . فقلت له : أما تستحي من الله

(١) المعونة هنا : حفظ الأمن .

(٢) حال الناس : سبب اجتماع الناس .

(٣) أراد بذلك إسماعيل بن أسباط أن يرضى العامة بإيهاهم أنه سيشدد عليه  
العقوبة ، وأن يؤجل ضربه بالسياط لينظر في أمر خلاصه إرضاء للمرأة التي  
استنجدت به .

(٤) يقال : أعلن الأمر وأعلن به .

(٥) في الأصل : عشاء الآخرة . ويقال لصلاتي المغرب والعشاء : العشاءان  
فاذا قيل : العشاء الآخرة تعينت صلاة العشاء .

وتخافه في طُعْمَتِكَ (١)؟ فقال: ياسيدي! أنا أشهدُ الله أني لأأعُودُ  
هذا الفعلَ أبداً. فأوصيتهُ بخير، وأضفتُ إليه من أخرجهُ عن البلد  
في حالٍ مَنُتَرٍ، وأقمنا بعد ذلك سنين. وتقاصرتُ أمورنا وتغيَّرت  
أحوالنا بتقليدِ إسحاق بن تميم علينا.

فلما بلَّحنا (٢) بما نطلبُ به أئمتنا وأخي أحمدَ إلى الحضرة (٣)  
فطالبنا الوزيرُ بما لفقهُ ابنُ تميم علينا، فشكونا إليه شِدَّةَ اختلالنا.  
فقال: فلان! فوافاه رجلٌ بمنزلةٍ أثيرة (٤) عنده، غليظُ الطبع،  
كراهيةُ الوجه، تتأملُ الشرَّ في سجاياه. فقال: استخرج من هذين  
مائة ألفِ دينارٍ اليوم. فانتزعنا من بين يديه بفضاظة، أيقنتنا بالهلكة،  
ثم صار بنا إلى جُجْرة له في دار الوزير. فسألنا عن بلدنا ونسبتنا،  
فلما سمع "أسباط" سَكَنَ فورهُ (٥) ورقَّ قلبه. وقال: مَنْ

(١) الطعمة: الرزق.

(٢) بلح الرجل: كنع. بلوحا: أعياء وكل.

(٣) الحضرة: دار الخلافة بالعراق.

(٤) أثيرة: مقربة مختارة.

(٥) فورهُ: ثورانه، غضبه.

تكونون من إسماعيل ؟ فقلتُ : أنا إسماعيلُ ! فبكى وأنكبَّ على رأسى ورجلى . وقال لى : ياسيدى ! أتعرفنى ؟ قلت لا . قال : أنا الخنّاق الذى أطلقتنى بمصر . ووالله ما خنّقت أحداً بحمد الله بعد إطلاقى ، ولكنَّ شراسةً طبعى عدلت بى عن الزهادة إلى مادون الخنّاق ، وهو استخراجى للوزير الاموال بالتعذيب ، وقد وجد عندى فيه <sup>(١)</sup> ما لم يجده عند غيرى . ثم طعن فى تلك الحجرة <sup>(٢)</sup> فأخرج إلى صندوقا يحملهُ غلامان <sup>(٣)</sup> . فقال : فى هذا من المال والحلى ما نكتفى به ، فقوموا بنا حتى نهربَ لثلاثا يقع بكم بأس . فأعلمته أنا نخاف فى الهرب تتبع الولد والأهل . فرجع إلى الوزير يبكى بين يديه ، ويحدثه محلّنا كان <sup>(٤)</sup> ، وما أولّيناه . فعجب الوزير من رفته علينا لما وقف عليه من فظاظته . وكان - شهد الله - أقوى الأسباب فى دفع المطالبة عنا .

(١) فيه : فى استخراج الاموال بالتعذيب .

(٢) فى تلك الحجرة : فى أحد مخابى تلك الحجرة .

(٣) يريد صندوقا ثقيلًا لا يقوم غلام واحد بحمله .

(٤) محلّنا كان : تعبير شائع فى هذا العهد ، أى ويحدثه خبر ما كان لنا من عظيم

المحلّ ورفع المنزلة .

ثم سأل أبا عبد الله الواسطيَّ بعد هذا الحديث حوائجَ وقعَ بها  
في مجلِّسه ، ووكلَ بها متنجزاً من خاصَّته<sup>(١)</sup> ، ولم تزلْ أُلطافُه تعنادهُ  
إلى أن تُوفِّي .

\*  
\*  
\*

وحدَّثني يوسفُ بنُ إبراهيمَ والدي<sup>(٢)</sup> . قال : حدَّثني  
إبراهيمُ بنُ المهديِّ<sup>(٣)</sup> عن إسحاقَ بنِ عيسى بنِ عليِّ بنِ عبد الله  
ابنِ العباس<sup>(٤)</sup> عن أبيه :

(١) أي ووكل بهذه الحوائج بعض خاصته لإنجازها وقضاها .

(٢) هو يوسف بن إبراهيم أبو الحسن ، وكان من جِلَّةِ الكُتَّابِ بمصر وكان له  
مروعة تامَّة ، وكان في خدمة إبراهيم بن المهدي ثم رحل إلى دمشق سنة ٥٢٥ هـ ،  
ونزل فيها على عيسى بن حكم الدمشقي الطبيب النسطوري ، وروى عنه وعن غيره  
مثل إسماعيل بن سهل بن نوبخت وجرائيل بن بختيشوع . وقد غضب عليه  
ابن طولون وسجنه ثم أفرج عنه . (معجم الأدباء) .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور ، أخو هارون الرشيد .  
برع في الغناء والموسيقا وكان أسود اللون ، لأن أمه كانت جارية سوداء واسمها  
شكلة (بفتح الشين المعجمة وكسر ها) . بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين ،  
وأقام خليفة نحو ستين ثم خلع . وكانت ولادته سنة اثنتين وستين ومائة . وتوفِّي  
سنة أربع وعشرين ومائتين (ابن خلكان) .

(٤) إسحاق بن عيسى بن علي : من ولادة المدينة أيام هارون الرشيد . ولمَّا خرج  
الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ودعا إلى المأمون . كان إسحاق من المحرضين  
على المأمون (النجوم الزاهرة) .

أنه كان مع أبي عبد الله محمد بن علي<sup>(١)</sup> أبي الخلفاء برصافة هشام<sup>(٢)</sup>، بعد وفاة أبي محمد علي بن عبد الله، وأنه أقام ثلاثة أشهر برصافة هشام لا يأذن له هشام عليه، إلى أن بلغ أبا عبد الله إجماع مسئلة القدوم على هشام، فتلقاه على أميال من الرصافة، وشكا إليه جفوة هشام وتأخيره الإذن عليه. فقال له مسئلة: أرجو أن يزول هذا بقدمي، وأمره أن يقيم بباب هشام إذا دخل عليه مسئلة، ولا يريم<sup>(٣)</sup> ما أقام مسئلة عنده، فأقام أبو عبد الله إلى وقت زوال الشمس.

قال عيسى بن علي: نخرج مسئلة إليه. فقال له: قوض رحلك<sup>(٤)</sup> أبا عبد الله! فما لك عند الرجل من خير، لأتني خاطبته في أمرك

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. كان من أجهل الناس وأعظمهم قدرا. وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة، ومات سنة ١٢٢ هـ وقيل سنة ١٢٥ بالشرارة من أرض الشام، وهو ابن ستين سنة. والخلفاء العباسيون من ولده (المعارف لابن قتيبة).

(٢) رصافة هشام: في غربي الرقة، بينهما أربعة فراسخ، على طرف البرية. بناها هشام لما وقع الطاهون بالشام. وكان يتزها في الصيف. وقيل لأنها كانت قبل الإسلام بزمن ليس بالقصير، وإن هشاما إنما عمرها وبني بها أبنية لسكناه. (معجم البلدان).

(٣) لا يريم: لا يبرح.

(٤) قوض رحلك: الرجل المسكن. يريد ارحل فلا فائدة ترجى من هشام.

بعد ما تقضى سلامي عليه : محمد<sup>(١)</sup> بن علي بن عبد الله على شابكة<sup>(٢)</sup>  
رحمه برسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقيم ثلاثة أشهر  
ببابك فلا يؤذن له عليك؟ فقال : آله عنه ، أبا سعيد . فأمسكتُ  
حتى حضر الطعام ، فأعلمته أني لا أستعيزُ الأكل ، وإنه قائمٌ على  
الباب . فغضب غضباً زاد به حوله . وقال : يُسمى أبنيه عبد الله  
وعبد الله ويرجو بهذا أن يابيا الخلافة ثم يطمع في خيرٍ مني ؟ والله  
لولا ماسةٌ رحمه برسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لقطعتُ  
من وسطه شبراً .

ثم عاتق أبا عبد الله . وقال : رسولي إليك صائرٌ ، فرجع أبو عبد الله  
إلى رحله فقوضه وبقي في حيرةٍ لعجزه عما ينهضه<sup>(٣)</sup> ، ووافاه رسولُ  
مسلمةً يقول : لم أقدر في سفري هذا طول اللبث . وأشهد الله أني  
ما حملتُ معي إلا ألفاً وثلثمائة دينار ، وقد وجهتُ إليك بالألف  
وخلقتُ الثلثمائة لنفقتي .

(١) محمد بن علي الخ أي قائلاً : محمد بن علي بن عبد الله الخ .

(٢) شابكة رحمه : اتصال قرابته .

(٣) ينهضه : يكفي مؤنة سفره ورحيله .

قال إبراهيم بن المهدي : حَدَّثَ بهذا الحديث الرشيد <sup>(١)</sup>  
في حديثه الموصول <sup>(٢)</sup> فبكي . وقال : وَصَلْتُ أبا سعيدٍ رَحِمَهُ !  
والله لا دخلت الرقة <sup>(٤)</sup> حتى أَقْضَى عارفته عندنا . فلها وافينا حِصْنَ  
مَسْئَلَةِ أَحْصَى مَنْ فِيهِ مِنْ وَكْدِهِ الذَّكُورِ وَالْإِنَاثِ فوجدهم أربعين ،  
فأمر لهم بأربعين ألف دينار .

\*  
\* \*

---

(١) الرشيد : أحد عظماء الخلفاء العباسيين ، بويع في ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ ،  
ومات بطوس في جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ . وكان عمره أربعاً وأربعين سنة  
وأربعة أشهر (مروج الذهب) .

(٢) حديثه الموصول : مدينة على طرف دجلة . وكان مروان بن محمد آخر ملوك  
بني أمية أول من ألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديواناً ونصب عليها جسراً وهياً  
طرقاتها وبني عليها سورا (معجم البلدان) .

(٣) وصلت أبا سعيد الخ : يقول : يجب أن تصل أبا سعيد القرابات وتعطف  
عليه كما وصل رحم أبي عبد الله .

(٤) الرقة : مدينة على الفرات من الجانب الشرقي بينها وبين حران ثلاثة  
أيام . ويقال لها الرقة البيضاء . وكان بالجانب الغربي مدينة أخرى تعرف برقة  
واسط ، كان بها قصران لهشام بن عبد الملك كانا على طريق رصافة هشام .

وهناك أيضا الرقة السوداء : وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . (معجم  
البلدان) .



وحدثني أحمد بن وليد . قال :

ودعتُ إسحاق بن نصير العبادي<sup>(١)</sup> في بعض نحرجاتي إلى بغداد ،  
فأخرج إلى ثلاثة آلاف دينار وقال : إذا دخلت بغداد<sup>(٢)</sup> ، فادفع  
ألف دينار إلى ثعلب<sup>(٣)</sup> وألف دينار إلى المبرد<sup>(٤)</sup> وصِرْ إلى قصر وضاح<sup>(٥)</sup>

(١) هو إسحاق بن نصير النصراني . كان من كتاب الخراج في عهد ولاية  
عيسى النوشري على مصر سنة ٢٩٢ هـ . وكان رئيس ديوان الخراج حينئذ  
الحسين بن أحمد الماذراني . (النجوم الزاهرة) .

(٢) وتسمى مدينة السلام ، وأول من أنشأها ومصرها أبو جعفر المنصور ،  
وهي إلى الآن عاصمة العراق .

(٣) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني البغدادي أبو العباس ثعلب ، إمام  
الكوفيين في النحو واللغة — ولد سنة ٢٠٠ وله من التصانيف : المصون في النحو  
ومعاني القرآن ، ومعاني الشعر ، وغيرها .

وثقل مسمعه بآخرة ثم صم . وقد دهمته دواب من خلفه وهو لا يسمع فوق  
على الأرض ، ثم حمل إلى منزله فمات . وكانت وفاته سنة ٢٩١ هجرية .

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكر الأزدى البصرى ، أبو العباس المبرد  
إمام العربية ببغداد . كان فصيحاً مقوفاً أخبارياً صاحب نوادر وطرافة ، وله من  
التصانيف : الكامل ، والاشتقاق ، وإعراب القرآن ، وغيرها ، وكان مولده  
سنة ٢١٠ ، ومات سنة ٢٨٥ ( بغية الوعاة) .

(٥) قصر بُني للمهدى قرب رصافة بغداد . وقد تولى النفقة عليه رجل من أهل  
الأنبار يقال له : وضاح ، فنسب إليه ، وقيل : الوضاح مولى من موالى المنصور ،  
ويقال إن قصر وضاح بالكرخ ، وإنه منسوب إلى الوضاح بن شبا الذي كلفه  
المنصور ببناءه . قال علي بن الجهم :

سقى الله باب الكرخ من منزته إلى قصر وضاح فبركة زلزل

فانظر إلى أول دُكَّانٍ للوراقين <sup>(١)</sup> فإنك تجدُ صاحبها (إن كان حياً لم يمُت) قد شاخ ، فاجلس إليه وقل له : إسحاقُ بنُ نصيرٍ يقرأُ عليك السلام ، وهو الغلام الذي كان يقصدُك كلَّ عَشِيَّةٍ راجلاً من دار الروميين بِدِرَاعَةٍ <sup>(٢)</sup> وعمامة ونعل رقيقة ، فيستعيرُ منك الكتابَ بعد الكتاب ، فاذا اقتضيتَه كراءً ما نَسَخَ منه ، قال : اصبرِ عليَّ إلى الصنع <sup>(٣)</sup> ، فاذا استقرتْ معرفتي في نفسه دفعتُ إليه هذه الألفَ الدينارِ وقلتُ له : هذه ثمرةُ صبرك عليّ .

قال لي أحمد بن وليد : فلما دخلتُ بغدادَ ودفعتُ الألفَ دينارٍ إلى ثعلبٍ والمبرد ، مضيتُ <sup>(٤)</sup> إلى قصر وضاح فألقيتُ الدكانَ التي وصفتُ لي قفراً ليس فيه <sup>(٥)</sup> كتاب . ورأيتُ فيها الشيخَ الذي وصفه لي في حال رثَّة . وثيابٍ خَلَقَةٍ <sup>(٦)</sup> ، وقد أفضى به الأمرُ إلى التوريق

(١) للوراقين : لباعة الكتب . أو من يسمحون للناس بنسخها بأجر .

(٢) الدراعة : ثوب الى نهاية الظهر من صوف .

(٣) الصنع : الفرج وتيسر أسباب الرزق .

(٤) في الأصل : ومضيت .

(٥) فيه : الضمير يعود إلى " قفراً " .

(٦) خلق الثوب : كنصر وكرم وسمع خلوقة وخلقاً ( محركة ) بلي ، والخلق

( محركة ) : البالي يوصف به المذكر والمؤنث .

للناس<sup>(١)</sup> بجلستُ إليه وسألته عن حاله . فقال : يا أحمى ! ما ظنك  
بجال ما تتأملهُ في أحسن ما فيها ؟

ثم خرجنا من<sup>(٢)</sup> المسألة إلى أشياء كان فيها خبر إسماعق بن نصير .  
فقال : قد كان يجيئني من دار الروميين غلامٌ ( ووصفه ) فأسمح له  
بالنسخة بعد النسخة ، يقال له : إسماعق ، وكان يعدني في كل شيء  
يأخذه إلى الصنع ، وأخبرت أنه وقع بنواحي مصر ، وما حصل لي منه  
شيء ! فأخرجت الألف الدينار وقلت له ، يقول لك : " هذه ثمرة صبرك " .  
فكاد والله يموت فرحاً . فقلت له : ليست دراهم وهي دنانير ، وانصرفت  
عنه وهو أحسن من في سوقه حالاً .

قال لي أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دكانه معمورة  
وهو متصدر فيها على أحسن حال وأوفاها

\* \* \*

---

(١) التوريق للناس : نسخ الكتب لهم بأجر .

(٢) من : في الأصل " إلى " .

وكان بنحو دار العنقود شيخ يتنخس<sup>(١)</sup> في الدواب ، يعرف  
بابن الزنق قد لحق بمصر أكابرها ، ورأيتُه في أيام أحمد بن طولون  
قد علّت سنّه ، وضعف عن التصرف ، وكان له ابن أخت خفيف  
الروح مقبول الصورة ، حلوا الألفاظ ، يتنخس في الدواب . نحف  
على قلب القاسم بن شعبة . ( وكان شعبة من أكابر أصحاب أحمد  
ابن طولون ، ومات في طاعته ، فردّ إلى القاسم ابنه إحدى الشرطتين  
بمصر<sup>(٢)</sup> ) فانصرف ابن أخت ابن الزنق من عند القاسم ، وقد خلّع  
عليه درّاعة نحر من تحتها جبة ملحم<sup>(٣)</sup> . فنظر إليها خاله ابن الزنق .  
فقال : ماهذه الخلعة الرائعة ؟ فقال : خلّعها على القائد ( يريد القاسم  
ابن شعبة ) . فقال : يا بني إن كنت تصبر على التدي<sup>(٤)</sup> معه في محبته ،  
كما تدي<sup>(٥)</sup> في نعيمه ، وإلا فاعتزله ولا تفضحننا بالقعود عنه

(١) النخاس بياع الدواب والريق ، من نخس الدابة ( كنصر وجعل ) والاسم  
النخاسة ( بالكسر والفتح ) ولم نجد " يتنخس " فيما بأيدينا من المعجمات .

(٢) انظر صفحة ١٧ .

(٣) ملحم : نوع ثمين من الثياب .

(٤) التدي معه : الهبوط معه .

(٥) كما تدي : أى تتدي ، حذف منه تاء المضارعة ، والتدي هنا :

التدل وإظهار العظمة .

في نوابه . فقال : أرجو أن يصونه الله وما أنعمَ عليه به من نائبة  
تلحقه ، أو مكروهٍ يَقَعُ به . فقال : وأنا أرجو هذا أيضاً له ، ولكن  
ينبغي ألا تنسى نصيبه <sup>(١)</sup> منك في الشدة ، كما غني بك في النعمة .  
واتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن شعبة شيء أنكره ، فخبسه ووكل  
بداره جماعة ، وأختفى النخاس في دار خاله ، فسأله بعد يومين عن  
سبب ملازمته المنزل . فقال : وجدت علة . إلى أن أتصل الخبر  
بالشيخ ، فدخل إلى ابن أخته فقال : قبحك الله ! سرقت معروف  
هذا القائد ، وخليته يقارع شجوه مجنته ! وأسرج حماراً له وركبه ،  
وجيرانه يناشدونه الله ألا يفعل . فقال : والله القتل أحسن مما أتى  
به هذا الوغد ! ثم قصد دار القاسم بن شعبة وعليها جماعة من المؤكلين  
وأصحاب الأخبار <sup>(٢)</sup> . فوقف على الباب فقال : كيف حال القائد  
أبي محمد أيده الله ؟ فقالوا : أمض يا شيخ . فقال : ما أمضى حتى  
أبلى <sup>(٣)</sup> عذراً ، هذا رجل قد لزممتي له عارفةً ، وهذا أوان قضائها .

(١) الا تنسى نصيبه منك . أى فضل القاسم عليك .

(٢) أصحاب الأخبار : الجواسيس ، وقد كثروا جدا في عهد ابن طولون  
لشدة رغبته في معرفة أحوال الناس وتعقب أعدائه .

(٣) أبلى الرجل عذرا : أدى ما عليه من الواجب فارتفع عنه اللوم .

فوقع خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره ، وقال : ما كنت تعمله  
للقاسم بن شعبة ؟ قال : أولاني في بعض أقاربي جميلاً ، فانتصبتُ  
الساعة لما يحتاج إليه . وما أحقَّ الأمير أن يفضّلني بحسن المكافأة  
عن طاعة والده له ، فقد كان مشهوراً بها !

فحدّثني أبو العباس الطرسوسي . أن أحمد بن طولون قال له في هذا  
المجلس : ما أحسن ما أهدى هذا الشيخ إلى إذكاري بحق قاسم  
وعطفي عليه ! . ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خِلاعة رضاء ،  
وصرفه إلى منزله .

وعدّل الشيخ ولم يدخل معه داره ، وانصرف إلى بيته وقد قام بما  
قعد عنه ابنُ أخته .

\*\*\*

وحدّثني هارون بن مئول . قال :

لما مات أبي ورثتُ منه مالاً جمّاً ، ومُسْتَغَلَّاتٍ نفيسةً ،  
وكان يقصُرني على زِيِّ التُّجَّار ، ويمنعني من التخرُّق <sup>(١)</sup>

(١) التخرق : كثرة البذل والتوسع في الإنفاق .

والسرف في الهيئة ، فعمدت إلى أثوابٍ وشيٍ سعیدی<sup>(١)</sup> كانت في المتاجر التي خلفها والدى فقطعتها . وقطعت لخدمٍ أرتبطهم<sup>(٢)</sup> للتجارة من الملحَم<sup>(٣)</sup> والديباج<sup>(٤)</sup> مالا يتسمَحُ به أحد من أبناء الترفه . وجلست في الوشي ، وقام الغلمان بين يدي فيما قطعته لهم .

ووافانا إسحاق بن إبراهيم مُفتقداً ، فتأملني فقال : لقد سرتني بعد قيمتك<sup>(٥)</sup> ، وحسن زيك ، بارك الله عليك ، وأحسن إليك . ثم وافاني جماعة من إخوان أبي وأصفيائه ، فوالله ما أنكرتني واحد منهم ماخرجت إليه<sup>(٦)</sup> من زى أسلافي . فلما كان في عشي ذلك اليوم وافاني رسول إسحاق بن إبراهيم بن تميم :

(١) الوشي السعیدی : نوع من الوشي ثمين يصنع باليمن .

(٢) أرتبطهم : أحتجزهم وأخصصهم .

(٣) الملحَم : انظر الصفحة ٢٨

(٤) الديباج : ضرب من الحرير منقوش .

(٥) بعد قيمتك : ارتفاع منزلتك ، وفي الأصل كتب هكذا "تيمتك"

فاستظهرنا أن رأس القاف قد محى .

(٦) ما خرجت إليه : المعروف : نخرج على كذا : عاداه وحاربه :

عندي<sup>(١)</sup> من لاحتشمه فتونس جماعتنا بحضورك ، فقد أعجبنى اليوم  
حسن زيّك . فزدت في الخلعة وركبت . فلما دخلت إليه لم أفقد  
عنده أحداً من إخوان والدي<sup>(٢)</sup> ، فلما توسّطت الصحن ابتدرني  
الغلبان ، وصاح بي إسحاق : ”توهّم يا جاهل أن أباك مضى  
واسترحت ! ولا تعلم أن أباك خلف لك هؤلاء الآباء<sup>(٣)</sup> بأسرهم  
يردّونك عن الخطأ بأليم العقوبة ، ولا يشفعون في مصلحتك من  
عظيم ما كان أبوك يرقّ عنه فيك<sup>(٤)</sup> ! “ . ثم بطخت في وسط  
الدار ، فصحت بهم : يا ساداتي ! والله ما قرّعت قط بمقرعة !  
فقال إسحاق : ولا أتيت بمثل هذا الفعل ! وضربت ضرباً مبرحاً ،  
ولم ترفع المقرعة عني حتى حلفت لهم ألا أزيد على معرض والدي  
واقنصاده . فأقمت على هذا إلى اليوم .

وما زال عنه إلى أن توفّي .

\*  
\* \*

(١) عندي الخ : أى قائلا عندي الخ ، وقد سبق للؤلؤف مثل هذا الأسلوب .

(٢) لم أفقد الخ : أى إنه رأى عنده إخوان والده جميعا .

(٣) هؤلاء الآباء : يقصد إخوان أبيه وأصفياه .

(٤) ولا يشفعون الخ : أى ولا يتسامحون لأجل مصلحتك في ذنب عظيم لم يكن  
أبوك ليتجاوز عنه في سبيل إصلاحك .



ولما استفحل أمر ابن الخليفة (١) انحاز عنه جيش مصر إلى الإسكندرية ، وخلا الفسطاط (٢) منهم ، وكنت بمدينة أهناس (٣) ، واضطربت النواحي ، واحتجت إلى مشاهدة الفسطاط . فتخفرت بأربعة نفر من القيسية (٤) ، دفعت إليهم عشرين ديناراً ، وخرجت معهم فأحسنوا العشرة وأجملوا الصُحبة . وكان لا نجتاز بحى ولا جماعة

(١) هو محمد بن علي ، يسميه بعض المؤرخين مرة بالخلنجي ، ومرة بالخليجي ، وثالثة بالخليج . كان من جنود مصر نخطر له ، بعد زوال الدولة الطولونية ، أن يظهر النصر لهم ، فقبه جماعة ، وحارب والى مصر عيسى النوشري ، فانتقل عيسى إلى برالجزيرة ، فبقيت مصر بلا وال ، وأصبحت مأكلة للغوغاء يهجمون على البيوت وينهبون الأموال . ودخل مصر سنة ٢٩٢ ثم فتح الاسكندرية ثم جاء جيش من العراق فأدبر أمره وانهمز وقبض عليه في رجب سنة ٢٩٣

(٢) كان عمرو بن العاص عند غزوه مصر قد نصب له فسطاطا قبل الحصن ، فلما تم له فتح مصر واستأذن عمر بن الخطاب في السكنى ، قال له عمر : لا تنزل بالمسلمين منزلاً يحول بيني وبينهم فيه نهر ولا بحر ، فاستشار عمرو أصحابه . فقالوا : نرجع إلى فسطاطك فنكون على ماء وفسطاط . فرجعوا فسميت البقعة بالفسطاط وهي حول مسجد عمرو بالمكان المعروف بمصر العتيقة .

(٣) مدينة أهناس " بالفتح " : مدينة قديمة على الشاطئ الغربي من النيل قريبة من الفسطاط .

(٤) أعراب القيسية : كان بمصر صنفان من العرب : يمنية ، وأكثر القادمين على مصر لفتحها كانوا من اليمنية . وقد ورد على مصر بعد ذلك قوم من القيسية من مضر في خلافة هشام بن عبد الملك ، ثم تتابع وفودهم إلى مصر .

إِلَّا كَفَوْنَا مُؤَنَّةَ كَلَامِهِمْ ، وَصَدَفُوا <sup>(١)</sup> عَنَا بِأَسْهَمٍ . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ  
دَابُّنَا حَتَّى بَلَّغْنَا قَصْرَ الْجِيْزَةِ . فَأَقْبَلْتُ رَعْلَةً <sup>(٢)</sup> مِنْ الْأَعْرَابِ قَدَرْتُهَا  
بِرَأْيِ الْعَيْنِ نَحْمِسِينَ فَارِسًا ، كَانَتْ مِنْ غَيْرِ حَيْبِهِمْ . فَصَمَّمْتُ نَحْوَنَا  
بِرَمَاحِهَا ، وَعَمِلْتُ عَلَى نَهْبِنَا وَقَتْلَانَا ، وَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِي أَسْتَيْهِمْ .  
وَأَحْسَنَ الْأَرْبَعَةَ الَّذِينَ تَخَفَّرْنَا بِهِمْ لِقَاءَهَا وَالتَّضَرَّعَ إِلَيْهِمْ ،  
وَنَاشَدُوهُمْ إِلَّا يُخْفِرُوا ذِمَّتَهُمْ <sup>(٣)</sup> ، وَأَجْمَلُوا التَّائِيَّ <sup>(٤)</sup> حَتَّى انْصَرَفُوا .  
وَجَدَدْنَا فِي السَّيْرِ حَتَّى اتَّهَيْنَا إِلَى حَيِّ الْمُخَفَّرِينَ <sup>(٥)</sup> لَنَا . فَقَالَ الْمُخَفَّرُونَ :  
قَدْ بَلَّغْتَ إِلَى مَنْ تَأْمَنُهُ فُحْطَ رَحْلُكَ ، فَمَا تَسْتَقِلُّ <sup>(٦)</sup> دَوَابُّكَ الزِّيَادَةَ عَلَى  
هَذَا السَّيْرِ . فَزَلْتُ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْغُلَبَانِ فِي إِطْعَامِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ

(١) صدفوا : صرفوا .

(٢) رعلة : قطعة قليلة من الخيل كالرعيل ، أو مقدمة الخيل ، أو قدر العشرين  
أو الخمسة والعشرين ؛ جمعها رعال وأرعال وأراعيل .

(٣) يخفروا ذمتهم : يكونوا سببا في تقض عهدهم .

(٤) التائي : في الأصل : التاني .

(٥) المخفرين : خفره بالتشديد : خفره .

(٦) تستقل : تطيق .

للطعام مَسَاغًا من فَرَطٍ ما لِحِقْنِي من الرَّوْعِ . وَعَمِلت في المُخْفَرِينَ هذه  
الآبيات :

بِزَيِّ اللّهِ خَيْرًا مَعَشَرًا حَقَنُوا دَمِي      وقد شُرِعَتْ نَحْوِي المُنْقَفَةُ السُّمَرُ  
دَرَاهِمُهُمْ مَبْذُولَةٌ لضعيفِهِمْ      وأَعْرَاضُهُمْ من دُونِهَا الغَفْرُ (١) والسُّتْرُ  
إِذَا ما أَغَارُوا وَأَسْتَبَاحُوا غَنِيمَةً      أَغَارَ عَلَيْهِمْ في رِحَالِهِمْ (٢) الشُّكْرُ  
وَإِنْ نَزَلُوا قَطْرًا من الأَرْضِ شَاسِعًا      فَمَا ضَرَّهُ إِلاَّ يَكُونُ بِهِ (٣) قَطْرُ

فاحفظني واحد منهم، وأنا أكتبها، فظن أني أكتب إلى السلطان،  
فأشتكي ما كان من الفُرسان الذين لقونا بقصر الجيزة . فقال :  
قد سلمك الله من أولئك القوم ، وقد أحسنوا إلينا في حُسن الإجابة  
لنا، فلا تكتب فيهم بشيء . فقلت والله ما كتبت فيهم ولا في غيرهم  
إلى السلطان بشيء ! فقال لي شيخ من المُخْفَرِينَ (وقد قُرب مني) :  
فما تكتب ؟ قلت : أكتب أبياتا مدحتكم فيها . فقال : وإنك

(١) الغفر : الستر . وأغاب الظن أنه يريد بالأعراض هنا النساء .

(٢) أغار عليهم الخ : أي هجم عليهم شكر الناس من كل مكان لأنهم يبذلون  
ما نالوه من غنائم .

(٣) به : في الأصل بها ، ويمكن توجيهه .

لتقرض الشعر؟ قلت: نعم. قال: أنشدني على اسم الله. فأنشدته  
إياها. فقال: برك الله ووصلك! ثم صاح بالثلاثة، فلما اجتمعوا  
أنشدهم إياها فما حرم - شهد الله - حرفاً واحداً، فعجبت من حفظه  
لها، ولم أجد عليه حرفاً منها. وتبينت الفرح في سائرهم، وحفظوها  
بأجمعهم. ثم صاح بهم الشيخ: ما تنتظرون؟ ارحضوا <sup>(١)</sup> السوأة  
عنكم! فأدخلوا أيديهم في جيوبهم، وجمعوا شيئاً أخذه الشيخ منهم.  
ثم قال لي: قد شكرنا صنيعتك، والله لا نجمع بين شعرك ووفرك!  
ووضع العشرين الدينار بين يديه، فأكبرت ذلك وأعظمته.  
فقالوا لي: الصواب ألا يعلم بها عشيرتنا فيرجع عليك منها أكثر مما  
حفتة ممن لقيك بقصر الحيزة <sup>(٢)</sup>، وركبت فسرت مع جمع كثير منهم،  
وهم ينشدون تلك الأبيات. فالتست أن يقبلوا مني براً فلم أصل  
إلى ذلك، ورأوا أن الشعر أحسن موقعا مما ملكته.

\* \*

(١) ارحضوا: رحض القدر كنع: غسله وأزاله. كارحضه، والكلام على  
الحجاز، يقول: أزيلوا عنكم العار وهو أن تحرسوا. إلي شاعرا قال في مديحك شعرا.  
(٢) الصواب ألا يعلم الخ. نصحوه بالأل يبيع أنه عرض عليهم مالا لحراسته  
وإلا آذته عشيرتهم لوعاموا بذلك بعد أن شاع مدحه لهم فان مجرد عرض المال  
عليهم بعد مدحهم يعد أكبر مذمة لهم.

ونزل في حارتنا غلاماً أمردٌ تأخذه العين<sup>(١)</sup> ، وكنت أسلم<sup>٢</sup>  
عليه إذا اجترتُ به كما أفعلُ هذا بغيره من جيرتي . فانصرفتُ  
يوماً إلى منزلي ، فوجدته قائماً على بابه ، فدفع إلى رُقعةٍ يذكُر فيها  
أنه عباسي من ولد المأمون ، ويسألني فيها بره . ودخل من كان معي  
بدخولي ، فقضيتُ شغلي بالجماعة حتى انصرفوا ، ووَضعتُ المائدةُ  
بيني وبين العباسي فأكلنا ، وهو يتأملني فلا يجد في شيئاً قدره . فلما  
غسل يده دفعتُ إليه ثلاثةً دنائير ، واعتذرتُ إليه من تقصيري  
في حقّه وانصرف ، وقد رأيتُ تجيلى في حمالق<sup>(٢)</sup> عينيه .

فلما كان بعد ذلك بسنّيات<sup>(٣)</sup> ، وأنا في ضياعٍ تقبّلتُ<sup>(٤)</sup>  
بها ، ولي فيها غلّةٌ بمالٍ جسيم ، نفختُ أن أدخلَ الفسْطاطَ

---

(١) تأخذه العين : تجبه إليه في إعجاب أشدّه جماله .

(٢) حمالق العين بالكسر والضم : له معان منها بياض المقلة .

(٣) سنّيات : سنوات قليلة .

(٤) قبل العامل بالعمل كنصر وسمع وضرب قبالة ( بالفتح ) تكفل به وضمن  
إنجازه ، وقبّلت العامل العمل فتقبّله طلبت إليه أن يكفل إتمامه . فقبل الكفالة  
وتعبير المؤلف ( تقبل به ) والقبالة في هذا العهد كانت أن يأخذ الرجل أرضاً من  
السلطان أو غيره على أن يؤدي كل سنة كذا فنطاراً أو كذا إردبا .

فَتَحَرَّبَ الضِّيَاعَ وَتَتَعَطَّلَ عِمَارَتَهَا ، فَكَنتُ أَكْمُنُ نَهَاراً فِي بَعْضِ  
مَنَازِلِ الْفَلَاحِينَ ، وَأَظْهَرُ لَيْلاً فَأَعْقُدُ <sup>(١)</sup> مِنْهَا مَا تَهَيَّأُ لِي عَقْدُهُ .

فَإِنِّي لَكُمْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حَتَّى سَمِعْتُ رَجَّةً شَدِيدَةً ، فَدَخَلْتُ  
إِلَى بَعْضِ غِلْمَانِي . فَقَالَ : دَخَلَ أَصْحَابُ دَمِيانَةَ <sup>(٢)</sup> الضَّيِّعَةَ وَعَمِلُوا  
عَلَى تَقْلِ الْغَلَّاتِ . وَأَيَقِنْتُ بِتَلْفِ أَكْثَرِ مَا أَمْلِكُهُ ، ثُمَّ سَكَنْتُ  
أَصْوَاتَهُمْ ، وَدَخَلْتُ إِلَى غَلَامٍ لِي . فَقَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ ! كَانَتْ هَذِهِ  
الضَّيِّاعُ قَدْ أَشْفَتْ <sup>(٣)</sup> عَلَى نَقْلِ مَا فِيهَا ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْعَبَّاسِيِّ الَّذِي  
كَانَ فِي جِوَارِنَا . فَقَالَ لِي : أَلَسْتَ غَلَامَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ؟  
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَذِهِ ضَيَّاعُهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَصَاحَ بِالْجَمَاعَةِ  
الَّتِي دَخَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ دَمِيانَةَ : ” ائْخُرْجُوا بِأَسْرِكُمْ عَنْهَا ” فَخَرَجُوا

(١) أعقد : أجمع من حاصلها .

(٢) هو دميانة البحري ، غلام يازمان . كان من القواد البحريين استدعاه  
محمد بن سليمان الكاتب أن يقفل بمراكبه إلى مصر في ولاية شيبان بن أحمد بن طولون .  
فوصل إليها في ثمانية عشر مراكباً حربية مشحوناً بالرجال والسلاح ، وذلك في صفر  
سنة ٢٩٢ و بعد أن دمر كثيراً من قراها ونهب كثيراً من أموالها أمره عيسى  
النوشري بالانصراف والرحيل عنها (النجوم الزاهرة) .

(٣) أشفت : أشرفت وأوشكت . يقول : كاد أصحاب دميانة يتهنون من نقل  
كل ما في الضياع من الغلة .

ثم قال لي : قل لمولاك يا سيدي محلي عند الأمير دميانة محل الأخ ،  
فاظهر واركب إليه فقد آمنك الله على نفسك ومالك .

فسألت الغلام ما كان زيه؟ فقال : كان عليه كساء صوف مما يُنام فيه ،  
وتحتة خفتان<sup>(١)</sup> فأحضرت بعض مشايخ الضيعة ، وحملت إليه دُرَاعَة  
نَخْرٌ حُلِيَّةٌ وَمُطْرَفٌ<sup>(٢)</sup> نَخْرٌ وخمسين ديناراً ، وسألته أن يقبل ما يحتاج إليه  
من ناحيتي . فقبل الدُرَاعَة النَخْرَ ورَدَّ المُطْرَفَ والدنانير . وقال لرسولي :  
والله لثلاثة الدنانير التي وهبها لي لِشَرَفِي لا لشيء مما ظننته به  
أحسن موقِعاً عندي مما رددته إليه ! فكثرت الله في الناس مثله !  
فلم يزل عَضُدًا لي وسِتْرًا عليّ حتى أنصرف دميانة عن الناحية .

\* \*

وحدثني يحيى بن الفضيل<sup>(٣)</sup> عن يحيى بن نجة ( وكان هذا الرجل  
حسن الكتابة ) . قال :

(١) خفتان : ثوب كانت تلبسه الجنود عادة . جاء في سيرة البلوي : وعليهم  
الخفتان والمناطق .

(٢) المطرف بصيغة اسم المفعول : رداء من نخمر بع ذو أعلام .

(٣) شاعر مصري قال في هجاء عنبسة بن إسحاق الذي ولي مصر سنة ٢٣٨ :  
خارجيًا يدين بالسيف فينا ويرى قتلنا جميعا صوابا

ترددتُ إلى عمر بن فرج الرُّحَجيِّ<sup>(١)</sup> مدةً ، فدخلت عليه في يوم  
من الأيام . فقال : قد أنضيتك<sup>(٢)</sup> ! قد استتمت في هذا  
اليوم سنةً ! ووقع لي بتقليدِ عملي سنيٌّ . واضطربتُ فيما أحتاج إلى  
التجهيز به . فلما لم يبقَ عليَّ إلا نصُّ رِكابي<sup>(٣)</sup> برزتُ ظهري<sup>(٤)</sup>

---

(١) هو عمر بن فرج بن زياد الرُّحَجي ، والرُّحَجي : نسبة إلى رنج ، كورة  
ومدينة من نواحي كابل بأفغانستان . وكان زياد جد عمر من سبي معن بن زائدة  
في غزوة رنج ، كما كان أبوه فرج مملوكاً لجدونة بنت الرشيد ولحق ولاؤه بالرشيد  
فولاه الأهواز ثم عزله عنها وكان عمر وأبوه فرج من أعيان الكُتاب أيام المأمون  
إلى أيام المتوكل ، وكان عمر واليا على دمشق للعتصم بن الرشيد . ولما توفى الواثق  
وتولى المتوكل أمر بحبس عمر هذا سنة ٢٣٣ . وفي هذه السنة توفى عمر  
(الوزراء - معجم البلدان) .

(٢) أنضيتك : سببتك الهزال من طول ما سعت وترددت علينا في طلب  
عمل لك .

(٣) نص رِكابي : نص الرجل ناقته : استخرج أسرع ما عندها من السير .  
والركاب : الإبل واحدها راحلة : يقول إنه تجهز ولم يبق إلا الإسراع بالسفر  
إلى مكان عمله .

(٤) الظهر : الإبل .



وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصِرِ <sup>(٢)</sup> أَنْتَظِرُ  
تَوْدِيْعَ عُمَرَ وَالْخُرُوجَ إِلَى عَمَلِي ، فَرَأَيْتُ غِلْمَانَ عُمَرَ يَتَسَلَّلُونَ ،  
فَسَأَلْتُ عَنِ السَّبَبِ فَقِيلَ لِي : سَخِطَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عُمَرَ ، فَحَرَّتْ  
وِخْفَتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِي فَأَخْسَرَ جَمِيعَ مَا أَنْفَقْتُهُ ، فَأَتَى لَنِي تِلْكَ  
الْحَيْزَةَ حَتَّى نَخْرُجَ عُمَرُ بْنُ فَرَجٍ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ .  
فَقَالَ لِي : <sup>(٣)</sup> أَيْنَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعِيَ ؟ فَقُلْتُ : تَسَلَّلُوا لِلْحَادِثِ !  
فَقَالَ : وَقَدْ وَكَّلْتُ بِهَذَا الشِّيعِيُّ عَلَى أَنْ يَنْفِئَنِي إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ،  
وَلَمْ أَعِدْ شَيْئًا وَلَا أَجِدُ مَنْ يُعِدُّهُ لِي . قُلْتُ : هَذِهِ قُبَّةٌ <sup>(٤)</sup> وَظَهَرَ <sup>(٥)</sup>

(١) النقل : متاع المسافر وحشمه .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جعفر المنتصر . بويغ له بالخلافة بعد قتل المتوكل  
في شوال سنة ٢٤٧ وكان عمره إذ ذاك خمسا وعشرين سنة . ومات سنة ٢٤٨ .  
وكانت خلافته ستة أشهر . ومما يؤثر عنه أنه تقدم بالكف عن آل أبي طالب بعد  
أن كانوا يضطهدون وترك البحث عن أخبارهم وأمر ألا يمنع أحد من زيارة  
الحيرة حيث قبر الحسين رضي الله عنه ( مروج الذهب ) .

(٣) فقال لي : أي عمر بن فرج .

(٤) القبة : هنا رحل له عيدان تنصب وتغطي بالثياب ونحوها لمنع الحر والبرد

(٥) ظهر : ناقة .

تُفَكِّكُ ، وأنا أَضْحِكُ شُكْرًا على ما أسلفتني من التقليد . فركب القُبَّةَ  
وأحضر الشيعي قُبَّةً ، وركبنا وأنا أعادله .<sup>(١)</sup> ، واتَّهَى المسير بنا إلى  
نُراسان<sup>(٢)</sup> ، وكنا لا نُفْضِي من بلدان نُراسان إلى بلد إلا وجدناه  
أغلظ طبعًا من البلد الذي فارقناه ، حتى بلغنا بُجَارَى<sup>(٣)</sup> ؛ فرأينا قومًا  
في نهاية من غلظ الطباع . فقال لي مُذْ رَأَى أتَعْجَبُ منهم : كيف  
لو رأيتَ التركَ وبلدانهم ؟ يقتلون المستجير بهم ويُغير بعضهم على  
بعض فيهلكُ النازعُ إليهم بينهم . فرادني هذا القولُ تهيئًا للسير معه .  
ثم ملكتُ ما استغرب<sup>(٤)</sup> مني وتماسكتُ ، وجدَّ بنا السيرُ عن بُجَارَى  
إلى أرض الترك ، وإني معه في القُبَّةِ وهو يحدثني بشيء قد شغلني عن  
تبيينه ما يُقلِّقني من ركوب ما أقدمتُ عليه من الخطر ، حتى سمعنا

(١) أعادله : أجلس في الجانب المعادل له .

(٢) نراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق ، وآخر حدودها  
مما يلي الهند ، وتشتمل على أمهات من البلاد ، منها نيسابور وهرات ومرغاب وغيرها .  
وكانت مرو وقصبتها (معجم البلدان) .

(٣) من أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام ، نبغ منها  
عدد عظيم من رجال الاسلام في كل علم وفن .

(٤) ملكت ما استغرب مني : قدرت على كبح دمي . يقال : استغرب الدمع :

حَلَقَ الْبَرِيدَ ، فَتَشَوَّفْنَا لَهَا<sup>(١)</sup> ، وَوَأَقَى بِهَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَتَابَهُ  
بِمَا أَمَرَهُ<sup>(٢)</sup> بِالْحَضْرَةِ مِنَ الرِّضَا عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ ، وَيَأْمُرُهُ  
فِيهِ بِكَشْفِ مَدَنِ نَحْرَاسَانَ وَتَجْرِيدِ عُقُودِهَا<sup>(٣)</sup> عَلَى أَصُوبٍ مَا اسْتَقَرَّتْ  
عَلَيْهِ ، وَاسْتِثْنَاءِ التَّوْفِيرِ بِهَا وَالزِّيَادَةِ فِيهَا .

فَلَمَّا اسْتَمَّتْ قِرَاءَتُهُ ، حَمِدَ اللَّهُ وَأَلْقَى الْكِتَابَ إِلَى . وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ  
فِي الْخِلَاصِ وَهَذَاكَ الْمَزِيدَ ! وَرَدَّ إِلَى تَأْمَلِ<sup>(٤)</sup> مَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
مِنْ كَشْفِ عُقُودِ النَّوَاحِي .

فَانصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، مَعَ آرْتِهَانِ شُكْرِ الْمُعَامِلِينَ<sup>(٥)</sup>  
وَإِحْمَادِ السُّلْطَانِ .

\* \* \*

(١) لها : أعاد الضمير مؤنثا على البريد لأنه يريد خيل البريد .

(٢) أمره : المعروف : أمر به .

(٣) بكشف مدن الخ : المراد بكشف المدن هنا : التحقق من مقدار مساحة  
الأراضي التي يؤدي عنها الزرع خراجا للخليفة ، والمراد بتجريد العقود : تخليص عقود  
القبالات التي التزم الزرع فيها أداء مقدار معين من غلتها إلى الخليفة ، من كل  
غش وتدليس .

(٤) ورد إلى تأمل الخ : وكلفني النظر فيما أمر به الخليفة من التحقق من صحة  
عقود الزرع ومقدار مالهيم من الأراضي .

(٥) المعاملين : يراد بهذه الكلمة : من يحملون في أرض الدولة على أن يؤديوا  
إلى السلطان في كل سنة مقدارا معيناً من غلتها .

وحدّثنا أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup> . قال :

حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم والذي في بعض داره .  
(وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه ) فكاد ستره  
ينهتك لحوف شمله .

وكان له جماعة من أبناء الستر<sup>(٢)</sup> يحمّل مؤنّها مقيمةً عليه لا تنقطع إلى  
غيره . فاجتمعوا وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً<sup>(٣)</sup> ، فركبوا إلى دار أحمد

---

(١) حدّثنا الخ : يراد بضمير المتكلم : راوى الكتاب وهو عبد الله الفرغانى ،  
وأحمد بن يوسف : هو المؤلف .

(٢) أبناء الستر : يراد بأبناء الستر والمستورين : الفقراء الذين يظهرون التجمّل  
تعقفاً ويمنعهم شمعهم من السؤال . جاء في كتاب سيرة أحمد بن طولون للبلوى :  
وحدّث إبراهيم بن قراطفان ، وكان على صدقات أحمد بن طولون ، قال : قلت للأمر :  
أيّد الله الأمير ! إنا نقف في المواضع التي جرت العادة بصدقة الأمير على من فيها من  
المستورين والمستورات فتخرج إلينا الكف الناعمة المنضوبة نقشا أو نظاريف  
والمعصم الرائع وفي الأصبع الخاتم الذهب . فقال لى : يا هذا ! كل من مدّ إليك يده  
فأعطه ، فهذه هي الطبقة المستورة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال : "يحسبهم  
الجاهل أغنياء من التّقف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً" .

(٣) ثلاثين رجلاً ، في السيرة للبلوى : وكانوا نحو مائة رجل .

ابن طولون ، فوقفوا بباب له يُعرف بباب الجبل <sup>(١)</sup> ، واستأذنا  
عليه ، فأذن لهم فدخلوا إليه ، وعنده محمد بن عبد الله بن عبد الحكم <sup>(٢)</sup>  
وجماعة من أعلام مستورى مصر ، فابتدروا كلامه بأن قالوا :  
قد اتفق لنا (أيّد الله الأمير) من حضور هذه الجماعة مجاسه مارجونا  
أن يكون ذريعة إلى ما نأمله . ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألنا  
عنا ليقف على منازلنا . فسألهم عنهم ، فقالوا : قد عرّضت العدالة <sup>(٣)</sup>  
على أكثرهم فامتنع منها . فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس ، وسألهم  
تعريفه ما قصدوا له . فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر  
به في يوسف بن إبراهيم ، لأنه أهدى إلى الصواب فيه ، ونحن  
نسأله أن يقدمنا إلى ما اعتزم عليه فيه : إن آثر قتله أن يقتلنا ، وإن

---

<sup>(١)</sup> باب الجبل : باب من أبواب قصر ابن طولون . وكان لكل باب اسم فنها  
باب الميدان ، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وسمى باب الصوالة .  
وباب الخاصة ، وكان لا يدخل منه إلا خاصته . وأما ما كان مما يلي المقطم فسمى  
باب الجبل .

<sup>(٢)</sup> صحب الإمام الشافعى بمصر وتفقه عليه ، وحمل إلى بغداد في محنة خلق  
القرآن ، وانهت إليه الرياسة بمصر . توفي سنة ٢٦٨

<sup>(٣)</sup> العدالة هنا : عمل كانت تقوم به طائفة تشتهر بالصلاح والتقوى وحسن  
السيرة ، وهذا العمل هو الشهادة عند القاضى وتركية الشهود ونحو ذلك .

آثَرٌ غَيْرَ ذَلِكَ أَنْ يُسَلِّفَ<sup>(١)</sup> بِنَا ، وَهُوَ فِي حِلِّ وَسَعَةٍ مِنْهُ . قَالَ :  
وَلِمَ ذَلِكَ ؟ فَقَالُوا : لَنَا ثَلَاثُونَ سَنَةً مَا فَكَّرْنَا فِي ابْتِيَاعِ شَيْءٍ مِمَّا احْتَجْنَا  
إِلَيْهِ ، وَلَا وَقَفْنَا بَبَابِ غَيْرِهِ . وَنَحْنُ وَاللَّهِ أَيْهَا الْأَمِيرِ نَرْتَمِضُ<sup>(٢)</sup> الْبَقَاءَ  
بَعْدَهُ مَعَ السَّلَامَةِ<sup>(٣)</sup> مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَقَعَ فِيهِ . وَعَجَّوْا بِالْبُكَاءِ بَيْنَ  
يَدَيْهِ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَقَدْ كَافَأْتُمْ إِحْسَانَهُ ،  
وَجَازَيْتُمْ إِنْعَامَهُ ! ثُمَّ قَالَ : يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٤)</sup> . فَأَحْضِرْ . فَقَالَ :  
خَذُوا بِيَدِ صَاحِبِكُمْ وَانصَرِفُوا . نَفَرَجُوا مَعَهُ وَانصَرَفَ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلِهِ .

\* \* \*

قَالَ : وَطَالِبِنِي بَعْضُ عُمَّالِ الْخُرَاجِ بِمِصْرَ بِمَالٍ زَادَ عَلَيَّ  
مَا فِي حَاصِلِي ، فَاحْتَجَجْتُ إِلَى مَعَامِلَةِ بَعْضِ التُّجَّارِ عَلَيْهِ ، فَدَلَّتْ عَلَيَّ  
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَعَامَلُ بِرُهُونٍ ، فَصَارَ إِلَيَّ ، وَأَنَا فِي بَيْتِ الْمَالِ

(١) يسلف بنا : يقدم بنا .

(٢) نرتمض البقاء ، ارتمض فلان من كذا : اشتد عليه وأقلقه ، فالفعل متعد  
بحرف الجر . ونظن المؤلف ضمته معنى : نكره .

(٣) مع السلامة : في الأصل : من السلامة ، وهو تحريف .

(٤) يوسف بن إبراهيم : أي أحضروا يوسف بن إبراهيم .

منه <sup>(١)</sup> شَيْخٌ حَسَنُ الصُّورَةِ ، جَمِيلُ اللَّقَاءِ . فَقَالَ : إِلَى كَمْ تَحْتَاجُ ؟  
قُلْتُ إِلَى مَائَتِي دِينَارٍ . فَأَخْرَجَ مِنْ كُمَّهُ مَالًا فَوَزَنَهُ ، وَاسْتَزَادَ مِنْ  
غُلَامٍ كَانَ مَعَهُ دَنَانِيرٌ حَتَّى أَكَلَ الْمَائَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَهَا إِلَيَّ وَاقْتَضَانِي  
خَطًّا بِهَا . وَقَالَ : قَدْ كَفَيْتَ مَوْوَنَةَ الرَّهْنِ . فَقُلْتُ : فَكَيْفَ أَكْتُبُ  
الْخَطَّ ؟ قَالَ : بِمَائَتِي دِينَارٍ ، كَمَا أُعْطَيْتُكَ . فَقُلْتُ لَهُ : سَبِيلُ الْمَعَامَلَةِ  
غَيْرُ هَذَا <sup>(٢)</sup> . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَبْلَتُ مِنْكَ فِيهَا رِبْحًا ، وَلَوْ وَهَبْتُهَا لَكَ  
لَكَانَ مِنْ أَصْغَرِ حَقُوقِكَ عَلَيَّ . ثُمَّ قَالَ لِي : تَعْرِفْنِي ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ :

رَكِبْتُ مَرْجَبًا أُرِيدُ الْفُسْطَاطَ مِنْ تَنِيْسَ <sup>(٣)</sup> ، وَحَمَلْتُ فِيهِ تِجَارَةَ لِي  
مَا كُنْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا . حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْمَحَلَّةَ ، وَوَازَيْتَ ضِيَاعًا كَانَتْ

---

(١) فصار إلى الخ. في قوله فصار إلى منه تجريد. ولؤلؤف ولع بهذا الأسلوب  
واستعمله في هذا الكتاب مرات .

(٢) سبيل المعاملة الخ. يقصد أن الطريق في القرض عند أمثال هذا الرجل  
أن يزداد عليه شيء من الربح .

(٣) تنيس ( بكسرتين وتشديد النون ) : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر  
ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقها . وينسب إليها خاق كثير من أهل  
العلم . وقد اشتهرت قديما بصناعة النسيج (معجم البلدان) .

في يدك ، كُسر بنا ، وغرق جميع ما أمليكه ، وسلمتُ بحُشاشة نفسي .  
بفلسيت على الشَّطِّ أبكي وأنحُبُ ، فأقبلت في جماعة معك ، فسألتنى  
عن حالى فأخبرتكَ بها ، فبئثت في حشد من يغوص على المرگب  
وما فيه ، وحططت<sup>(١)</sup> على الشَّطِّ . فأخرجوا بزاً كان لى وتلف  
ما سواه ، واستحلفتنى على ما ذهب لى فأخبرتكَ به ، وكانت قيمته  
سبعين ديناراً ، فقسمتها لى على وكلائك وكتابك . فلها حصلت لى  
أعطيتنى دنائير من عندك ، وقلت لى : هذا أرش<sup>(٢)</sup> ما لحقك  
فى الثياب . وأمرت أن يُكترى [لى] إلى تَنيسَ ، وكتبت لى إلى  
جماعة مُعامليك بتَنيسَ بما لحقنى ، وبمعونتى على أمرى . فرجع بك  
إلى ما أمالك واكتسبتُ جاها بتَنيسَ تضاعف مالى به ، وحسنت  
معه حالى .

وأخذ خَطِّي بالمال وانصرف .

\*  
\*

(١) وحططت : يريد أقتت حتى يتوا عملهم .

(٢) الأرش : التعويض .



وسمعتُ أبا العباسِ أحمدَ بنَ إسْطام . يُحدِّثُ أبا الطَّيِّبِ  
أحمدَ بنَ علي . قال :

لَمَّا سَخِطَ الْمُوقَّقُ <sup>(١)</sup> عَلَى صَاعِدٍ <sup>(٢)</sup> وَكَلَّ بِهِ مَنْ يَطَالِبُهُ ،  
وَأَقْرَنِي وَالطَّائِيَّ <sup>(٣)</sup> عَلَى مَا كُنَّا نَتَقَلَّدُهُ لَهُ . وَكَانَ صَاعِدٌ مُحْسِنًا  
إِلَيْنَا ، جَمِيلَ الْعَشْرَةِ لَنَا ، فَلَمْ تَتْرِكْ شَيْئًا نَصِلُ إِلَيْهِ مِمَّا خَفَّفَ عَنْهُ  
إِلَّا بَلَّغْنَاهُ . وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّائِيَّ إِحْنَةً ، فَدَعَانِي الْمُوقَّقُ فِي يَوْمٍ  
مِنَ الْأَيَّامِ ، وَنَحْنُ بِوَأَسْطِ <sup>(٤)</sup> . وَقَدْ بَلَغَ <sup>(٥)</sup> صَاعِدٌ ، وَاسْتَنْزَلَ الْمُسْتَخْرِجُ <sup>(٦)</sup>  
جَمِيعَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ . فَقَالَ لِي : أَحْمَدُ ! ادْخُلْ إِلَى صَاعِدٍ فَقُلْ لَهُ  
أَظُنُّكَ أَرْضَيْتَ الْمُسْتَخْرِجَ حَتَّى فَتَرَ فِي مَطَالِبَتِكَ ، وَتَالَلَّهِ لَئِنْ لَمْ تُخْرِجْ  
مُحْتَجِّبِكَ ، لَا تَتَوَلَّيَنَّ تَعْذِيبَكَ بِنَفْسِي ! فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَأَدَيْتُ الرِّسَالَةَ .

(١) هو أبو أحمد طلحة بن الخليفة المتوكل على الله . كان من أجل ملوك بني  
العباس رأيا وأسمحهم نفسا وأحسنهم تديرا . توفي سنة ٢٧٨ هجرية .

(٢) هو صاعد بن مخلد ذو الوزارتين كاتب الموفق ، انتقلت إليه الوزارة أيام  
المعتمد بعد سليمان بن وهب ، ثم غضب عليه الموفق وعلى جميع أهله وأصحابه  
ونهب منازلهم . وتوفي صاعد بعد هذا بأيام سنة ٢٧٠ هجرية .

(٣) هو أحمد بن محمد الطائي ، كان يلي للموفق الكوفة وسوادها وطريق خراسان  
وسامرا والشرطة ببغداد . (الطبري) .

(٤) مدينة بالعراق ، اختطها المجاح بن يوسف في سنتين بين الكوفة والبصرة .

(٥) بلغ : أدركه الإعياء والجهد .

(٦) المستخرج : من كلِّف مصادرة أمواله واستخراجها منه .

فقال لي: يا أحمد! والله ما بقي لي شيء وما ملكت قط ما هو أحب إلي من نفسي! فتقول له: ياسيدي! والله ما أملك على الأرض ولا فيها ديناراً ولا درهماً ولا جَوْهراً! وأنت أولى بالتطوُّل على خادمك. فانصرفت من عنده، وأنا أخاف أن يُغريه<sup>(١)</sup> ذلك الجواب. ودخلت إليه، وقلت له: يقول لك ياسيدي ما أملك على وجه الأرض ولا بطنها غير مائة ألف دينارٍ عند الطائي فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه. قال له: المائة الألف الدينار التي لصاعد عندك، قد بعث إلى يحلف أنه لا يملك غيرها. فقال له: هي بمدينة السلام، فيُنظرني الأمير مسافة الطريق، وأنا أستسلف<sup>(٢)</sup> له ما تيسر منها من الثجَّارها هنا. فقال له: اكتب خطك بها. فكتبه وسلّمه إلى الموق، فسلمه إلى غلام من خاصته، وانصرف الطائي.

فاستقبح ما صدر مني فيه، وعظم في نفسي لتصديقه صاحبه وترك معارضته بما يدفع به المرء عن نفسه، فدنوت من الموق وقلت له: أيها الأمير! جميع ما أديته إليك عن صاعد مني

(١) يغريه: يغري الموق.

(٢) وأنا أستسلف له: أؤدى إليه مقدماً.

تقولته، وقد قُبِحَ في عيني ، وسيدى الأميرُ مُخَيَّرَ بين الصَّفْحِ عنه<sup>(١)</sup>  
والعقوبة عليه . فقال : أحسنت ، بارك الله عليك ! ثم أمر بردُ  
الطائى فقال : لمَ لمَ تتقربْ إلى بذكر هذا المال ؟ فقال أيها الأمير !  
يمنى ذلك ماتولاه<sup>(٢)</sup> من اصطناعى . فقال له : ليس يُقْنَعُنِي إِلَّا  
أَنْ تُحَافَ برأسى على هذا المال ، وفى أى وقت دفعه إليك .  
فقال : يُعْضِنِي الأميرُ من ذلك . فقال : والله لا فعلتُ . فقال : وحقُّ  
رأسِ الأميرِ ماله عندى دِرْهَمٌ واحدٌ فضلاً عنه ! ولكنى لما رأيتُه  
قد عاذ بالدعوى علىّ ، تيقنتُ أنه لم يبقَ له حيلةٌ فى المدافعة عن  
نفسه ، فعملت على تحمُّلِ هذا المال ، ووالله ما أملكه ! ورجوتُ  
أن أصل إليه بجاهى ولطيفِ حيلتى .

فاستحضر الموقق الخطَّ ودفعه إلى الطائى ، فقال له : نحرِّقه .  
ثم تقدم بإعفاء صاعد من المطالبة .

\* \* \*

(١) عنه : الضمير يعود على العمل الذى عمله .

(٢) تولاه : ضمير الفاعل يعود على صاعد .

وكان نجاح<sup>(١)</sup> بن سَلَمة مع ما يُؤثر عنه من زَعارة<sup>(٢)</sup>  
أخلاقه ، وقُبْح تسلُّطه ، يَحِبُّ التَّبَسُّطَ على طعامه<sup>(٣)</sup> ، وَيُحْسِنُ  
المكافأة ، عليه<sup>(٤)</sup> فحدَّثني يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ تميمٍ<sup>(٥)</sup> . قال :

أقام إسحاق والدي ببغدادَ خمساً وعشرين سنة في رفع حسابه ينقض  
الكتابِ جماعته ، ويسلطون الإعانةَ عليه<sup>(٦)</sup> . قال لي يعقوب :

---

(١) هو أبو الفضل نجاح بن سلمة الكاتب ؛ كان على ديوان التوقيع والتتبع  
على الهمال . وكان نديماً للتوكل ، توفي سنة ٢٤٥ هجرية .

(٢) زعارة أخلاقه : شراستها .

(٣) يحب التبسط الخ : يحب إقبال الناس على طعامه وعدم احتشامهم منه .

(٤) ويحسن المكافأة عليه : أي إنه يكافئ كل من يسره بالإقبال على طعامه .

(٥) هو أبو يوسف الكاتب يعقوب بن إسحاق بن تميم . ممن دخل مصر مع ابن  
طولون . وكان باجراك قرنه به . ثم غضب عليه ابن طولون في أمر كان بينه  
وبين أخيه موسى وتصرف فيه يعقوب بما أغضب ابن طولون فسجنه في المطبق  
ثم عفا عنه . وغادر مصر إلى سُر من رأى حيث أهله وأقام بها . وكان على اتصال  
بإبن طولون .

(٦) كان إسحاق عاملاً من عمال الخليفة وكان عليه أن يؤدي حساباً عما جمعه  
من الأموال والغلات . ويظهر أنه أقام هذه المدة ببغداد لتعنت الكتاب في محاسبته  
ولأنه كلما أوشك حسابه أن ينتهي مات الكاتب أو عزل ، فابتدئ معه الحساب  
من جديد .

فحدثني أبي أن أغلظ الكتاب بأسرهم كان نجاح بن سلمة . قال :  
فلما أفرط على سوء تحكّمه ، جلست في منزلي .

فقرّب به اسمي ، فقال : قد عزم إسحاق بن تميم على أن يتربص بنا ،  
كما كان يتربص بمن كان قبلنا<sup>(١)</sup> ! ثم نظر إلى بعض المضمومين  
إليه ، فقال : بكر إلى إسحاق بن تميم فأحضره الدار إلى أن أنصرف<sup>(٢)</sup> .  
قال : فباكرني فظ من الجند لم أملك نفسي معه حتى صار [ بي ]  
إلى دار نجاح . فوجدناه قد ركب فخصّلتني<sup>(٣)</sup> على الباب ، وجلس  
معي ، وتعالى النهار ، واشتدّ جوعي . فقلت له : أمض معي إلى  
المنزل لنا كلّ جمعاً ونرجع ، فأبى . فقلت لحاجب نجاح (ورأيتك متمكناً  
من داره) : أصلحك الله ! إني قليل الصبر على الجوع ، وأخاف  
أن يتأخر الأستاذ<sup>(٤)</sup> ، وأضعف عن مجّتي في حضوره بغلبة الصفر  
على ، وقد سألت هذا الرجل أن يطاق لي الذهاب إلى منزلي لآكل

(١) يتربص بنا : ينتظر موتنا أو عزلنا .

(٢) إلى أن أنصرف : أي وأبقه بالدار إلى أن أنصرف من الديوان وأحضر  
لأراه .

(٣) خصّلتني : أي الجندی والأصل في التحصيل الجمع ويريد هنا : مجزئي .

(٤) الأستاذ : الرئيس .

وأرجع فأبى . قال : لم لا تأكل هاهنا ؟ وأجلسني في ساحة<sup>(١)</sup> فيها<sup>(٢)</sup> . واستحضر الطعام<sup>(٣)</sup> ، فأحضرت مائدة نجاح بن سلمة ، ولم يبق حلو ولا حامض ولا حار ولا بارد إلا نُقل علينا . حتى إذا بلغت إلى الحلواء من الطعام دخل الدار نجاحُ بجلس في المجلس<sup>(٤)</sup> . ورأني في دخوله ومكاني من الساحة ، فبعث إلى غلاما له [ يقول ] : بجيأتني استمَّ أكلك ؛ ولا تتجوز فيه<sup>(٥)</sup> . فأقتت حتى فرغ الطعام ، وجاءوني بالغسل<sup>(٦)</sup> والبخور ، ثم قتت . فلما رأني ضحك إلى ، وقال : من علمك على هذا<sup>(٧)</sup> ؟ قلت : التوفيق . قال : أجل . ثم قال لي : ارفع حسابك كيف شئت وأحشه<sup>(٨)</sup> فقد أمتك الله من اعتراضك بشيء تكرهه .

(١) في الأصل رسمت الكلمة هكذا : ( بنجانحه ) .

(٢) فيها : في الدار .

(٣) واستحضر الطعام : طلب حضوره .

(٤) في المجلس : أي في الحجرة ذات المجلس التي يستقبل فيها زواره .

(٥) لا تتجوز ، لا تحفف .

(٦) الغسل : الماء يغسل به .

(٧) من علمك الخ : أي من أرشدك إلى أن خير وسيلة لرضاي ومعونتي لأى

إنسان أن يقاسمني طعامي .

(٨) واحشه : أي وأضف إليه من النفقات ما شئت .

قال يعقوب : قال لي أبي : فغدوت إليه بحسابي ؛ فوالله ما زاد على التوقيع في الجماعات<sup>(١)</sup> بامضائها وتخليدها<sup>(٢)</sup> : ثم قال : متى تعزم على بلدك ؟ فقلت ياسيدي ! إنما انتظر فيه إذناك ، فكلُّ شيء لي ففروغ<sup>(٣)</sup> منه . فقال : اجعله بعد صلاة الجمعة . قلت : أفعل . ثم قال لي : تروح إلي لألقاك في حوائج لي ، فقدرتُ أن يجملي في الحوائج غرم الألف الدينار<sup>(٤)</sup> .

فلما رحتُ إليه دخلت ، وهو خالٍ . فقال لي : إنك ترجعُ إلى بلد قد يئس منك فيه أهله ، فأدخلَ الجارُ من جيرانك الخشبة في حائطك ، والجارُ في البستان قد تحيفُ حدودك ، فهب لي ما بينك وبينهم<sup>(٥)</sup> . قلت : أفعل . قال : وترى ببلدك جماعة قد ارتفعوا ، أبناء خاملين فلا تنهرهم بدقة أصولهم ، والصدق عما كان عليه سلفهم ،

(١) الجماعات : حواصل الجمع .

(٢) وتخليدها : قيدها في سجلات الدولة .

(٣) ففروغ : اتصلت الفاء بالخبر لإفادة المبتدأ العموم .

(٤) يجملي في الحوائج الخ : يقصد أنه يكافه أشياء فيها غرم نحو ألف دينار .

(٥) فهب لي الخ : أي تجاوز عن ذلك وسامح فيه لأجلى .

فإنه يزرعُ لك المقتَ في قلوبهم . قلت : أفعل . قال : واصحابَ  
البريد<sup>(١)</sup> ، فاحذر أن يردَّ في كتبهم ذكركَ بخيرٍ ولا شرٍّ . قلت :  
أفعل . ثم أوماً إلى يعانقني . قلت : ياسيدي ! حوانجك؟ قال : هي  
ما عدته عليك . إنك قد حللت منى بانبساطك محلَّ القراية<sup>(٢)</sup> الذي  
أسر بصوابه ويعمى زلله ، فإن حزبك<sup>(٣)</sup> أمرٌ في بلدك فلا تعدل به  
عني ، وأنا استودعك الله . فانصرفت عنه وأنا على غايةٍ من الشكر .

\* \*

وحدثني محمد بن يزيد<sup>(٤)</sup> ( وكان حسن التقشف ، شديد الرأي )

قال :

أطلق جماعةً من حبس أحمد بن طولون كانت قد وقعت بهم ظنةٌ  
بالتلصص ، وكانوا ينزلون كورةً أهناس . فأتى عند بعض أصحاب

(١) أصحاب البريد كان إليهم نقل أخبار الولاة والناس إلى الخليفة . وقد  
أشار الامام أبو يوسف في رسالة الخراج التي بعث بها إلى الرشيد إلى وجوب  
حسن اختيارهم ، فقال بعد كلام طويل : ومتى لم يكن أصحاب البرد والأخبار  
في النواحي ثقات عدولا فلا ينبغي أن يقبل لهم خبر في قاض ولا وال .

(٢) محل القراية : أي محل ذى القراية ، وهو استعمال سائغ .

(٣) حزبك : نابك واشتد عليك .

(٤) هو محمد بن يزيد الواسطي . كان من البارزين بين علماء الكلام . توفي



الأكسية حتى وافاه غلام أصفر ، خبيث المنظر ، متمكن من نفسه<sup>(١)</sup> من الخارجين من الحبس . فرحب به ، وجلس عنده ، وهناه بسلامته . ثم سأل عن حاله . فقال : خرجت من الحبس كما تراني وما معي نفقة تُبَلِّغُنِي منزلي ! فقلت له : ما اسمك ؟ فقال : مُسَافِرٌ . فقلت له : يا بُنَيَّ قَدِمَ اللهُ في أمورك ولا تعدل عنه ، فإن الراحة في ظله . فقال لي : يا سيدي ! الحق فيما قلت ، والنفس أمارة بالسوء ، والتوفيق إلى الله دون خلقه . فأعجبني جوابه وقلت له : كم يكفيك إلى منزلك ؟ فقال : دينار ، فدفعته إليه وقلت له : إذا حدثت نفسك بإخافة السبيل فابعث إلي حتى أُمسِكَ من رَمَقِكَ ، وأُكْفَ فاقنك .

فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهنسا<sup>(٢)</sup> بتسلط رجل من اللصوص ، في جمع كثير على كثير من المواضع وكبسهم الضياع . وكانت لي أسلاف<sup>(٣)</sup> بسُمسطا<sup>(٤)</sup>

(١) متمكن من نفسه : مغتر بنفسه واثق بها .

(٢) البهنسا : مدينة بصعيد مصر غربي النيل وبظاها مشهد يزار وينسب إليها جماعة من أهل العلم (معجم البلدان) .

(٣) أسلاف : قروض .

(٤) سمسطا : قرية من الصعيد الأدنى في الناحية الغربية من النيل .

ونواحيها ، فخرجت لَقْبِضِهَا فِي رُفْقَةٍ مِنَ التُّجَّارِ قَدْ حَمَلُوا البَزَّ وَالطَّيِّبَ  
وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِالأُرْيَافِ . فَإِنَّا بِنَوَاحِي المُحَرَّقَةِ حَتَّى لَقِينَا قِطْعَةً مِنَ  
اللِّصُوصِ فَسَاقَتْنَا بِأَسْرِنَا إِلَى مَوْضِعٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ المَازَةِ ، وَفِيهِ شَابٌ  
أَصْفَرٌ رَاكِبٌ فَرَسٍ ، وَمَعَهُ مَقْدَارُ خَمْسَةِ فَوَارِسَ . فَعُرِضَتِ الجَمَاعَةُ  
عَلَيْهِ إِلَى أَنْ بَلَغَنِي فَتَأَمَّلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُسَافِرًا ، فَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِي ،  
وَتَحَفَّى بِي ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَخْطَأَ وَاللَّهِ حَزْرُكُمْ ! هَذِهِ رُفْقَةٌ  
شَيْخِي وَسَيِّدِي ، وَوَاللَّهِ لَا دَخَلَ إِلَى مِنْهَا شَيْءٌ ! وَسَارَ مَعَنَا حَتَّى  
أَخْرَجَنَا إِلَى الأَمْنِ . ثُمَّ قَالَ لِي : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُ طَعَامِي ،  
وَلَا تَقْبَلُ شَيْئًا مِنِّي ، وَقَدْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي حَبَبْتِ إِلَى مَجَانِبَةٍ مَا أَنَا  
بِسَبِيلِهِ ! فَنَشَدْتُكَ اللهُ لِمَا <sup>(١)</sup> جَعَلْتَنِي طَرِيقَكَ فِي الرَّجْعَةِ !  
فَتَضَمَّنْتَ لَهُ ذَلِكَ .

وَدَخَلْنَا مَدِينَةَ أَهْنَسَ ، فَشَاعَ خَبْرُ مَا أَوْلَانِي فِي النَّاسِ .  
وَكَانَ المُتَقَلِّدُ لَهَا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ طُؤُلُونٍ يُعْرَفُ  
بِقَهْمٍ ، مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ <sup>(٢)</sup> ، فَبَعَثَ إِلَى وَعَرَفَ مَذْهَبِي .

(١) لِمَا : إِلا .

(٢) أَثِيرًا لَدَيْهِ : مُقَرَّبًا عِنْدَهُ مَحْبُوبًا .

فقال : قد أَحْفَيْتُ<sup>(١)</sup> المسألة عن هذا الغلام فرأيتُه لا يرى القتل ،  
ولا هتَكَ الحريم ، وإنما يتعلَّق بأطراف الأموال ولا يبلغ الاجتياح<sup>(٢)</sup>  
وأنا أسألك أن تَسْفِرَ<sup>(٣)</sup> بِنِي وبينهم . فَإِنِّي أُوْمِنُهُ وَأُكْرِمُهُ وَأُقَلِّدُهُ سِيَارَةَ<sup>(٤)</sup>  
البلد . فرجَعْتُ في حاجة فَهَمُّ إِلَيْهِ ، فألفَيْتُهُ ، والجماعةُ بين يديه ،  
فأَدَيْتُ إِلَيْهِ رسالَتَهُ ، وأعلَمْتُهُ أَنَّ هذا الرجلُ صَحِيحُ الضَّمَانِ . فقال :  
يا سَيِّدِي ! ما بِنِي وبينه في الأَعْمَالِ إِلَّا أَنَسُ النَّاسِ بِهِ<sup>(٥)</sup>  
ثم قال لأصحابه : مَنْ يُسَاعِدُنِي عَلَى الخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟<sup>(٦)</sup>  
فقالوا بأجمعهم : نحن . فسارَ معي حَتَّى إِذَا قَرُبْنَا مِنْ أَهْناسٍ وَضِعَ  
حَبَلًا فِي عُنُقِهِ ، وَقَالَ : أَدْخُلْ بِي فِي زِيِّ الْأَسْرَى وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ<sup>(٧)</sup> ،

(١) أَحْفَيْتُ المسألة : أَكثَرْتُ مِنَ السُّؤَالِ وَكَرَّرْتُ .

(٢) الاجتياح : الاستئصال .

(٣) تَسْفِرُ : تَكُونُ سَفِيرًا وَوَسِيطًا .

(٤) سِيَارَةَ : مَصْدَرٌ مِنْ "سَارَ" دَالَ بِصَيْغَتِهِ عَلَى الْحَرْفَةِ ، وَيُظْهِرُ أَنَّ سِيَارَةَ  
البلد كانت وظيفة في هذا العهد ، يقصد بها حسن السير بالبلد ، وصيانة الأمن  
والنظام به . وقد استعمل صاحب "النجوم الزاهرة" هذه الكلمة بهذا المعنى .  
(٥) ما بِنِي وبينه الخ ، يقول إني لا أطلب منه فيما يعمل إلا أن يأنس  
الناس به ولا يخافوه على أرواحهم وأموالهم .

(٦) مَنْ يُسَاعِدُنِي الخ : أَي مَنْ يُسَاعِدُنِي عَلَى التَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ .

(٧) وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ : مَعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيرِ فِي "بِي" .

فدخلوا ، والناسُ يبيكون لما اتَّفَقَ لهم من حسن الهداية ، ورأى  
الناسَ عَجَباً مِنْ سَوَقِ شَيْخٍ مِثْلِي ضَعِيفٍ رَجُلًا قَدْ أَعْجَزَ خَيْلَ  
السلطان . فطلبَ فَهْمٌ أَنْ يَقْبَلَ لَهُ خِلْعَةً فامتنع من ذلك ، وأضاف  
أصحابه إلى فَهْمٍ . وأقام إلى وقت الحجِّ نَفْرَجَ إلى مَكَّةَ راجلاً ،  
ثم فقدته .

..

وحدثني أبو حبيب المقرئ . قال :

ضاعت أحوالي فلم تُبْقِ<sup>(١)</sup> لي إلا جاريةً أُحِبُّها ، ومنزلاً أسكنه .  
فبعتُ المنزلَ بِألفِ دينارٍ ، وخرجتُ إلى مَكَّةَ بالجارية . فقلت لها :  
يكون هذا المالُ في وَسْطِكَ ، فكانت إذا نزلت في منزلٍ حَفَرَتْ  
في خَيْمَتِها حَفِيرَةً وأودعت المالَ فيها وطَمَّتْها<sup>(٢)</sup> ، فاذا نُودِيَ  
بالرحيلِ أثارته وشدته في وَسْطِها .

قال : فاتَّفَقَ أَنْ رَحَلْنَا عَنْ مَنْهَلٍ ، وَكَسَيْتِ الْمَالَ فِي الْحُفْرَةِ ،  
فأخبرتني الجاريةُ بذلك . قال : فخار فكري ، وطاش رُوحِي ، ولم أدر

(١) في الأصل : يبق .

(٢) طمَّتها : دفنتها .

ما أعمل . ودخلنا مكة فحدثتني نفسي ببيعها فلم يطعني قلبي . فلما رجعنا ونزلنا المنهل الذي خلقت فيه الكيس ، رأيت صحراء ، وغلاماً على رابية يرعى غنات له ، وأقبلت أدوراً وأنظر إلى الأرض . فقال لي : ويحك ما تطلب ؟ قلت : شيئاً أودعته أرض هذا المنهل . فقال لي : صفه لي ، قلت : كيس أحمر فيه مال . فقال : وما لي فيه إن دلتك عليه ؟ قلت : نصفه . قال : ها هو ذاك في الرابية . فلما رأى تحيرى<sup>(١)</sup> فيه قام حتى أخرجه ، ووضع بين يدي . فحمدت الله وقسمت الكيس قسمين وخيرته أحدهما<sup>(٢)</sup> . فقال لي : إني أرى قسمي منه كثيراً ، وأنا أكتفى بنصف أحد القسمين ، فقسمته<sup>(٣)</sup> قسمين . فقال : تقسمه أيضاً قسمين ، ففعلت . فقال : ما أعجب أمرك ! أتراك كله حراماً ونصفه حلالاً وأخذ منه شيئاً ؟ هذا ما لا يكون ، انصرف بمالك . فقلت له : يا غلام أنت حرٌّ أو مملوك ؟ فقال : مملوك . فقلت : لمن ؟ فقال : لشيخ هذا الحي .

(١) تحيرى فيه : دهشتي منه .

(٢) خيرته : في العبارة إيجاز أى خيرته في أن يختار أحدهما

(٣) فقسمته : أى قسمت أحد القسمين .

فدخلتُ الحىَّ فألفيتُ الشيخَ ، والناسُ عنده . فقلتُ له : رأيتُ  
غلاماً فى المنهلِ يرعى غنِيَّاتٍ ، وأسألكُ أن تبيعهَ . فقال : اشتريته  
بعشرةِ دنانير . فقلتُ : أنا آخذُه بعشرين . فقال : إن لم أبعه ؟ قلتُ  
أعطيكُ به ثلاثين ديناراً . فقال لمن حوَّله : أما تسمعون ما يقول ؟  
وما يملكُ على أن تبدلَ به هذا الثمنَ ؟ فقلتُ : جمع على ضالةٍ فقدَّرتُ  
أن أعتقه ، وأبتاعَ الغنمَ [التي] <sup>(١)</sup> يراها له وأملكه إياها . فقال : قدَّرتُ  
أن تفعلَ به هذا لفعلةٍ واحدةٍ من الجميلِ أولاكها ، ولنا فى كل يوم  
منذ ملكاه حسنةٌ تقتضى أكثرَ مما نأتيه له ! وأنا أشهدُ الجماعةَ أنه  
حُرُّ لوجهِ الله ، وأن ما يراه له .

فانصرفتُ عن الشيخِ ، وقد بلغ لى ما أمَّنته له .

\*  
\*  
\*

وقلتُ يوماً لأحمدَ بنِ محمدِ المعروفِ بابنِ أبى عِصمةَ كاتبِ  
أحمدَ بنِ طُغان <sup>(٢)</sup> . ( وكان لى صديقاً مصافياً ) : قد كثرَ الناسُ

<sup>(١)</sup> زدنا ما بين القوسين ليستقيم الكلام .

<sup>(٢)</sup> يسمى فى بعض كتب التاريخ ابن قراطغان ، وهو من كبار قواد أحمد  
ابن طولون . نرجح حينئذٍ كان أميراً على الثغور على الأمير جيش بن نمارويه  
لما ساءت سيرته .

في إصابتك مع بن طغان<sup>(١)</sup> . فقال : ما أخطئوا في التكثير، وكان صاحبي سَمْحًا، ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون ألف دينار؛ فسألته عن تلك الجهة . فقال :

كان لا يُمْسِكُ مالا ، ولا يَعْتَقِدُ ذَخِيرَةً<sup>(٢)</sup> ؛ فقال لي يوما : لم يُضْبِحْ في حاصلِ درهم واحد فاستسلف لي شيئا أَنْفَقَهُ . فمَضَيْتُ إلى منزلي فحَمَلْتُ إليه ألفَ دينار ، فلَمَّا وَضَعْتُهَا بين يديه ، فَنَحَّ الكيس وقلَّب ما فيه ، فلَمَّا رَأَى الدنانيرِ صحاحا جيِّدة . قال : ما هذه دنانير صَيْرَفِي<sup>(٣)</sup> ؟ فبَحِيثًا مِمَّنْ أَخَذَتْهَا ! فقلت له : كانت عندي . فقال : ما ظننتُ هذا موضعَكَ<sup>(٤)</sup> ، وسكت .

وكان له في كل شهر ألف دينار نُزِّلُ<sup>(٥)</sup> بِفِئْتِهِ به عند استيجابِه إياه . فقال لي : ما هذا ؟ قلتُ : النَزْلُ ، فقال : آقُضْ به دنانيرَ الرجلِ

(١) إصابتك مع ابن طغان : في نيلك مالا كثيرا وأنت في صحبة ابن طغان وخدمته .

(٢) لا يعتقد ذخيرة . لا يجمع مالا يدخره للحاجة .

(٣) ما هذه دنانير الخ : يظهر أن دنانير الصيارف كانت دائما ناقصة .

(٤) ما ظننت هذا الخ : أي ما كنت أظن أنك تستطيع تقديم هذا المقدار ، أو ما كنت أظن أن منزلتك مني تقتضي أن تقرضني مالا . وقد تجاهل تجاهل العارف لأنه كان يعرف حقا أن المال مال كاتبه .

(٥) النزول : العطاء ، يريد راتبًا من قبل السلطان .

ثم جئته به<sup>(١)</sup> مرة أخرى بنزل الشهر الثاني فقال : اصرفه إلى الرجل .  
قلت : قد قضيتُهُ . فقال : اصرفه إليه كما أمرُك . فلم يزَلْ يفعل بي  
هذا حتى مضى ثلاثون شهراً حصَّلت فيها ثلاثين ألفَ دينار .

قصة نصراني مصري وصيغ البصردار . \*

حدَّثني هارونُ بنُ مَلُول ، قال : حدَّثني ياسينُ بنُ زُرارة ، قال :  
كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المال ،  
فاشى النعمة ، سمَّح النفس ، وكانت له دارُ ضيافة وجراباتٌ واسعة  
على ذوى السترِ بالقسطاط . فهرب من المتوكل<sup>(٢)</sup> رجلٌ كنى  
عن اسمه<sup>(٣)</sup> ، خطيرُ المنزلة ، لميل<sup>(٤)</sup> كان من المتصرِّ إليه ، وتبرأ من

(١) به : الأولى حذف (به) هذه .

(٢) هو أبو الفضل جعفر بن محمد هارون . وكان يلقب بالمتصر بالله ، ثم لقب  
في اليوم الثاني لبيعته بالمتوكل على الله . بوبع له بالخلافة بعد موت أخيه الواثق  
في ذى الحجة سنة ٢٣٢ . وكان عمره اذ ذلك سبعا وعشرين سنة وأشهرًا . ومات  
مقتولا سنة ٢٤٧ ، وكانت أيامه أحسن أيام الخلافة العباسية من استقامة الملك  
وشمول الناس بالأمن والعدل ورفع الفتنة التي نشأت من القول بخلق القرآن .

(٣) كنى عن اسمه : أى لم يذكر ياسين بن زرارة اسمه صريحا .

(٤) لميل : متعلق بهرب .



حاشيته ، ولبس جبةً صوف ، فاتمى به المسير إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد يخاف أن يعرف فتزع إلى أريافها ، فاتمى به المسير إلى ضياع النصراني . فرأى منه رجلاً جميلَ الأمر ، وسأله النصراني عن حاله فذكر أن الاختلال انتهى به إلى ما ظهر عليه . فغير هيئته<sup>(١)</sup> وفوض إليه شيئاً من أمره ، فأحكم ما أسند إليه واضطاع به<sup>(٢)</sup> ، ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره . وقام به أحسن قيام . فكان محل<sup>(٣)</sup> الرجل الهارب من النصراني يفضل كل ما ذهب له .

وورد على النصراني مستحثٌ بمحل ماٍ وجب عليه ، [ وسأله ] النصراني عن خبر الناس بالفسطاط . فقال : ورد خبرُ قتل المتوكل وتقلد المُتصّر ، ووافى رسولٌ من المُتصّر في طلب رجل هرب في أيام

---

(١) فغير : أي النصراني . هيئته : أي زى الهارب الذي كان يدل على الفقر واختلال الحال .

(٢) في الأصل فاحكمه فيما أسند إليه . ويظهر أن العبارة تحريفاً .

(٣) فكان محل الخ : أي إن الرجل الهارب نال من المتزلة والشأن عند النصراني ما يزيد على ما فقدته ببغداد من أموال وضياع .

المتوكل يُعَرِّفُ بفلان بن فلان ، ويُوَعِّزُ إِلَى عَمَّالِ مِصْرَ وَالشَّامِ بِأَنْ  
يَتَلَقَّوهُ بِالتَّكْرِمَةِ وَالتَّوَسُّعَةِ ، فَيَلْحَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ نُشْبِهِ مُحَلَّاهُ عِنْدَهُ .  
فَعَدَلَ النَّصْرَانِيُّ بِالْمُسْتَحْتِ إِلَى بَعْضِ مَنْ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> . وَخَلَا الْهَارِبُ  
بِالنَّصْرَانِيِّ فَقَالَ :

أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ ! فَقَدْ أَوْلَيْتَ غَايَةَ الْجَمِيلِ ، وَأَحْتَاجُ  
إِلَى أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي دُخُولِ الْفُسْطَاطِ . فَقَالَ : يَا هَذَا إِنْ  
كُنْتَ اسْتَقْصَرْتَنِي فَاحْتَكِمْ فِي مَالِي ، فَإِنِّي لَا أَرِدُ أَمْرَكَ ، وَلَا أَزُولُ  
عَنْ حُكْمِكَ ، وَلَا تَنَأُّ عَنِّي . فَقَالَ لَهُ : أَنَا الرَّجُلُ الْمَطْلُوبُ بِالْفُسْطَاطِ  
وَقَدْ خَلَفْتُ شِمْلًا <sup>(٢)</sup> بِحَمًّا ، وَنِعْمَةً وَاسِعَةً ، وَإِنَّمَا عَدَلْتُ بِي <sup>(٣)</sup>  
الْخَوْفُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ! فَاكْتَمِ فِي يَدِكَ ، وَمَا  
عِنْدَكَ مِنَ الدَّوَابِّ فَأَنْتَ أَعْرَفُ بِهِ مِنِّي فَاحْتَكِمْ فِيهِ . فَأَخَذَ بَغَالًا  
وَمَا صَلَحَ لِمِثْلِهِ ، وَنَجَرَ النَّصْرَانِيُّ مَعَهُ . وَقَدَّمَ <sup>(٤)</sup> كِتَابًا إِلَى عَامِلِ

<sup>(١)</sup> فعَدَلَ النَّصْرَانِيُّ أَيَّ إِنْ النَّصْرَانِيُّ اتَّجَهَ بِالْمُسْتَحْتِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ عَمَّالِهِ  
لِيُنْزَلَ بَيْنَهُمْ .

<sup>(٢)</sup> شِمْلًا : شِوْنَا وَأَهْلًا

<sup>(٣)</sup> وَإِنَّمَا عَدَلْتُ بِي : أَيَّ عَنِ أَهْلِي وَمَالِي .

<sup>(٤)</sup> وَقَدَّمَ : أَيَّ الْعَظِيمِ الْبَغْدَادِيِّ يَقُولُ : إِنَّهُ قَبْلَ سَفَرِهِ أَرْسَلَ مِنَ الْمَكَانِ  
الَّذِي هُوَ فِيهِ كِتَابًا إِلَى عَامِلِ الْمَعُونَةِ .

المُعونة<sup>(١)</sup> من مُسْتَقَرَّة . فتلَقَّاه عاملُ المعونة في بعض طريقه  
ووصَّاه<sup>(٢)</sup> وجميعَ العَمالِ بالنصرانيّ . وصار إلى الحضرة فأصدر إليهم  
الكتبَ في الوصاية به<sup>(٣)</sup> إلى أن قدم بعضُ العَمالِ المتَّجِّرة<sup>(٤)</sup> . فتنبَّع  
النصرانيّ ورام الزيادة عليه<sup>(٥)</sup> نخرج إلى بغداد .

قال لي هارونُ إنَّ ياسيناً قال له : إنَّ النصرانيّ حدّثه : أنه دخل  
بغدادَ فلم يَرَّ بها أوفى محلاً ؛ وأكثرَ قاصداً منه<sup>(٦)</sup> . ثم استأذنتُ  
عليه ، وعنده جمعٌ كثيرٌ ، نخرج أكثرَ غلَّهاته حتَّى استقبلوني ، فلما رأني

(١) عامل المعونة : رجل الشرطة .

(٢) ووصَّاه : أى وصَّى البغدادى العَظيمَ عاملَ المعونة .

(٣) فأصدر إليهم الخ : أى فأصدر العَظيمَ البغدادى إلى العَمالِ الكتبَ بالوصاية  
بالنصرانيّ .

(٤) العَمالِ المتَّجِّرة : الذين كانوا يتجرون بمناصبهم ، ويتخذونها أداة للعسف  
وابتزاز الاموال .

(٥) رام الزيادة عليه : كان النصرانيّ ملتزماً بعض أراضى الدولة في مقابل مال  
معين فأراد هذا العامل أن يزيد هذا المال ليخرج النصرانيّ من الالتزام .

(٦) منه : من العَظيمِ البغدادى .

قام على رجله . ثم قال : مرحباً بأستاذي<sup>(١)</sup> وكافلي والقائم بي حين  
قعد الناس عني! وأجلسني معه ، وانكبَّ على ولده وشمله<sup>(٢)</sup> ، وأنا  
أتأمل مواقع الإحسان من الأحرار . وسألني عن حالي في ضياعي ،  
فاخبرته خبرَ العامل ، وكان أخوه<sup>(٣)</sup> في مجاسه ، فنظر إليه ( من  
كنى عنه<sup>(٤)</sup> ) وقال له كنتُ السببَ في تقليد أخيك ، فصار  
أكبرَ سببٍ في مساءتي . فكتب من مجاسه كتاباً إليه بجليّة  
الخبر<sup>(٥)</sup> وأنفذه . وأقتُ عنده حولاً في أرغد عيشة وأعظم ترفه .  
وورد على كتب أصحابي فغبروني بانصراف العامل عن جميع ما كان  
اعترض عليه في أمري ، وأُخرج أمرُ السلطان في إسقاط أكثر  
نراج ضياعي ، والاقتصارِ بي على يسيرٍ من مالها .

(١) الأستاذ : الرئيس في عرف هذا العهد .

(٢) أخوه : أخو ذلك العامل .

(٣) وانكب على ولده الخ : أي نشطوا في إكرامه والحفاوة بي .

(٤) العبارة التي بين قوسين من كلام الراوي ياسين بن زرارة . وهي بيان  
للضمير المستتر في "نظر" ، والمعنى فنظر إليه العظيم البغدادي الذي كنى النصراني  
عنه ولم يصرح باسمه . وفي الأصل : (من تكأ عنده) .

(٥) بجليّة الخبر : أي بوجوب الابتعاد عن التمرض للنصراني .

قال ياسين : فكتب النَصْرانيُّ ببغداد حُجَّةً<sup>(١)</sup> أَشْهَدَ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ  
أَنَّ أَسْهُمَهُ فِي جَمِيعِ الضِّياعِ الَّتِي فِي يَدِهِ (وَسَمَّاها وَحَدَّدَها) لِهَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي كَانَ هَرَبَ ، وَصَارَ بِهَا إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> . فَقَالَ لَهُ : قَدْ سَوَّغَكَ اللَّهُ  
هَذِهِ الضِّياعَ فَإِنِّي أَرَاكَ أَحَقَّ بِهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ ، فامْتَنِعِ الرَّجُلُ مِنْ  
ذَلِكَ . وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ فِيهَا عَادَاتُ تُحْسِنُ ذِكْرَكَ ، وَتُرَدُّ الْأَضْغَانَ  
عَنكَ ، وَلَسْتُ أَقْطَعُهَا بِقَبْضِ هَذِهِ الضِّياعِ عَنكَ .

وَرَجَعَ النَصْرانيُّ إِلَى الفُسْطَاطِ بِخَدِّ الشَّهَادَةِ لَهُ فِيهَا ، فَلَمَّا تَوَفَّى  
النَصْرانيُّ أَقْرَبًا<sup>(٣)</sup> فِي يَدِ أَقْرَبِهِ وَلَمْ يَزَالُوا مَعَهُ بِأَفْضَلِ حَالٍ .



---

(١) حجة : وثيقة تثبت حقاً أو ملكاً .

(٢) وصار بها إليه : وحمل الحجة إليه .

(٣) أقربها : أقرب العظيم البغدادي الضياع .

حدّثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه . قال :

كان يحيى بن خالد بن برمك<sup>(١)</sup> قد تبني الفضل بن سهل<sup>(٢)</sup> ، وأجراه  
مُجرى الولد ، ونظر إليه ولده بعين الأخ لهم . فضمه إلى المأمون<sup>(٣)</sup> . وكان  
يحيى بن خالد حسن المعرفة بالنجوم ، والفضل بارعاً فيها . فاتفقا  
على ما توجبه النجوم في مُدد البرامكة ، وتبيننا سعادةً تنتهي إليها حال  
الفضل ، وكان كل واحد منهما كالمشاهد لما انتهى إليه .

(١) يحيى البرمكي : هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك . وكان برمك من  
مجوس بلخ . وكان يحيى من النبل والعقل وخير الخلال على أكل حال . وكان  
المهدي قد ضمّ إليه ولده هارون الرشيد وجعله في حجره . فلما استخلف هارون  
عرف له فضله ، وولاه الأمر ، ودفع إليه خاتمه ، وجعل إصدار الأمور وإيرادها  
إليه ، إلى أن نكب البرامكة ، فغضب عليه وخلّده في السجن إلى أن مات فيه .  
( ابن خلكان )

(٢) الفضل بن سهل : هو أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي ، أخو الحسن  
ابن سهل . أسلم على يد المأمون سنة ١٩٠ ووزر للمأمون وكان له نفوذ عنده . وكان  
يلقب بذى الرياستين لأنه تقلّد الوزارة والسيف ، وكان يتشيع . ولما نقل أمره  
على المأمون دسّ عليه غالباً المسعودي الأسود ، فدخل عليه الحمام بسرّخس ومعه  
جماعة فقتلوه يوم الخميس ثانی شعبان سنة ٢٠٢ .  
( ابن خلكان )

(٣) المأمون — هو عبد الله بن هارون الرشيد ، ويكنى أبا جعفر ، وقيل  
أبا العباس ، واسم أمه مراجل . ولي الخلافة ستة ثمان وعشرون سنة وشهران —  
ومات سنة ٢١٨ — وهو ابن تسع وأربعين سنة ، وكانت أيامه من خير الأيام  
وأوسعها علماً وحضارة .  
( مروج الذهب )

وأوقع الرشيد بالبرامكة فاعتصم الفضل بحمله من خدمة المأمون ،  
وكانت يده تعجز عما يصلح يحيى وولده عند الرشيد . فوجه إليه :  
ياسيدي ! قد كرتبني أمرك ، ولست أصل إلى حُسن الدفاع عنك  
فأحل<sup>(١)</sup> ذمامه في هذه المحنة ، فإني أرجو أن أقضيه عنك عند انتهائي  
إلى سعادتي .

قال ابن أبي يعقوب : فحدثني أحمد بن أبي خالد الأحول . قال :  
اتصل بي من ضيق يحيى ما كدر عيشي . وذكرت إحسانه إلي ،  
وحسن صنيعه بي ، فضاقت بي العريضة . ووجدت ما أمركه أربعة  
آلاف دينار ، فقسمتها قسمين . وحملت أحدهما ، وتوصلت إلى  
الدخول إليهم في محبتهم ، فوضعتها بين يدي يحيى بن خالد . فقال لي :  
ليس يحسن بنا أن نغررك من أنفسنا ، ولا أن نعدك عنا ما لا تقى به  
الأيام لك ، وقد انتهت أمرنا . فان كنت تُقدر أن أحوالنا  
تصلح فأمسك عليك مالك . فقلت : ما ذهب في ذلك إلا لقضاء  
بعض الحق عني . فأخذ بيضاء فكتب فيها :

---

(١) فأحل ذمامه : حل أمر الله : وجب ، وأحل فلان الحق : أوجبه على نفسه .  
فمعنى أحل ذمامه : أوجب على نفسي قضاء حق الدفاع عنك .

يا أبا العباس ! أيدك الله ! هذا رجلٌ خلص على تجربتنا ،  
وأحسن بنا ، مع استحكام يأسه منا ، وأنا أذكرك العهد ، وأرغبُ  
إليك في قضاء حقه عني ، وتخفيف ثقله علي ، أحسن الله عونك ،  
وكفالك ما أعجزك !

ثم ثناها وقطعها عرضاً قطعتين وقال لي : احفظ هذا النصفَ  
معك ولا تُفَرِّط فيه فيفوتك حظٌ كبير .

ثم فرق ذلك المال في قومٍ ضعفت أحوالهم بما لحقه ، وأنصرفت  
من عنده وقد آيسني من رجوع حاله ، وأعطاني نصف رُقعةٍ  
لا أقف على ما توصل إليه . وتَقَضَى أمرهم ، ومات الرشيدُ بطوس<sup>(١)</sup> ،  
وغلب الفضلُ بن سهل على المأمون بخراسان ، وخلفه على  
جميع أمره . وشجر الأمر بين الأمين والمأمون فظهر المأمون عليه .  
وصحّت وزارة الفضل بن سهل للمأمون ، ووردت بادرَةُ المأمون  
بذلك إلى سائر النواحي ، وطالت عُطَلتي واشتدت فاقتي ، وفقدتُ  
مَنْ كان يُؤثرني وينحاش<sup>(٢)</sup> إلى .

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ . فتحت في أيام  
عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبها قبر علي بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد .

(٢) ينحاش إلى : في اللغة انحاش عنه : نفر ، فيكون معنى انحاش إليه :  
مال وانحاز .



فَأَنى جِالسٌ فى مَنْزلى فى يومٍ قد أعوزنى فىه قوتٌ يومى ، وعلى  
ثوبٌ خَلَقَ ، وليس لى إِلا خِلْعَةٌ أركبُ فىها . حتى دخل إلى غلامى  
فقال : بالبَّابِ جماعةٌ من أصحابِ طاهر بنِ الحسين . فلبستُ ثياب  
ركوبى ، وأذنتُ لهم وتقدّمهم رئيسُ لهم تبيّنتُ إعظامى فى نفسه .  
فقال : الأميرُ طاهرٌ يسألك المسيرَ إليه . فنهضت ، فلها دخأتُ  
قدمى وأعظمتنى ، وقال : وردَ كتابُ الوزير (أيده الله) علىّ فى حَمَلِك  
إلى حضرته على حالِ تَكْرَمَةٍ ، ومعك نصفُ الرُقعةِ التى دفعها إليك  
يحيى بنُ خالد ، وأمرنى بدفعِ ألفى دينارٍ إليك لحمولتك<sup>(١)</sup> ومُخَلِّفِك<sup>(٢)</sup> .  
فقويتُ نفسى ، وانفسحَ رجائى ، وخرجتُ بعد قبضِ المالِ مع  
رسولِ طاهر . فلها دخلتُ إلى الفضل بنِ سهل ، لقينى بأجملِ لقاء ،  
وسألنى عن نصفِ الرُقعةِ فأحضرتها . ثم أسرَّ إلى بعضِ خاصّته  
شيئًا ، فمضى وجاء برُقعة ، فوصلها بها فكلمت<sup>(٣)</sup> . فلها استتمَّ قراءتها  
بكى . ثم قال : ”رحم الله أبا العباس ! فما كان أعرفّه بتصرفِ الأيام

(١) حمولة : ما يحمل عليه المتاع من الدواب .

(٢) مخلفيك : تعبير شائع فى هذا العهد ، والمؤنّف يستعمله كثيرا فى هذا  
الكتاب ، يراد به أولاد الرجل ومن يعولهم .

(٣) يظهر أن يحيى بعث قبل وفاته بنصف الرقعة الذى به اسم أحمد الأحول  
إلى الفضل بن سهل .

واستدعاء الشكر فيها ، والتعويض من <sup>(١)</sup> الذم بها ! ثم أدخلني إلى  
المأمون وواكد أمرى عنده ، حتى بلغت معه إلى أخص أحوال  
كُتَّابه ، ومن وثق به في مهم أمره .

\* \*

وحدثني على المتطبيب المعروف بالديدان ( وكان حسن المعرفة  
بكتب أفلاطون <sup>(٢)</sup> ورموزه ، ومبرزاً في الطب ) قال :

خرجتُ مع رجل يُعرفُ بابن فروخ <sup>(٣)</sup> من قواد السلطان <sup>(٤)</sup> إلى طرسوس .  
فغنم سبياً كثيراً . وكان السبي في دار خراب في الموضع الذي نزل فيه .  
فدخلت لتأمله . فوجدت في السبي شاباً حسن الصورة جميل السميت ،

(١) التعويض : التؤمى ، ويتضمن معنى الابتعاد .

(٢) هو أفلاطون بن أرسطو أحد أساطين الحكمة الخمسة . صنف كتباً كثيرة  
في الحكمة والفلسفة . وكان لرغبته في العلم شديد الطلب له كثير الجهد والبحث  
منفقاوقته وماله في تحصيل الكتب ، حتى إنه سافر إلى صقلية ثلاث مرات لاقتناء  
الكتب . وتوفي في السنة التي ولد فيها الإسكندر ، وقد أخذ العلم عن سقراط وألف  
كتباً كثيرة في الفلسفة ، وعنه أخذ أرسطو .

(٣) في الأصل : مروخ بالميم . ولا يعلم قائد لابن طولون بهذا الاسم ، والمعروف  
محمد بن فزوخ ، كان أميراً على برقة من قبل ابن طولون .

(٤) السلطان : أحمد بن طولون .

وأكثر السبي حواره . ومكانه منهم مكان المولى من المالك ، يتسرعون إلى جميع ما أوما إليه ، ويكفونه أخذه بنفسه ، فكلمت فيه بعض السبي وسألته عنه ، فقال لي : هذا من ولد أفلاطون . فارتحلت إليه لانتفاعي بجده ، ودخلت إلى ابن فروخ فقلت : هب لي من هذا السبي غلاماً ، فقال لي : خذه . فدعوت بغلام يشتمل على أمرى<sup>(١)</sup> ووصفت له الشاب الذي في السبي ، وقلت له : إذا سلته إليك غلام ابن فروخ فأطعمه مما أعددت من طعامي ، وألبسه من فاجر ثيابي ، وطيبه ومكته من مجلسي إلى أن أنصرف إليكم . وتساغلت بأمر ابن فروخ إلى آخر النهار ، وانصرفت فوجدته على الهيئة التي آثرتها ، ورام مني ما يفعله غلماني من الوقوف فمنعته من ذلك . فقال لي بالرومية : يا سيدي ! ما الذي وعدتكم به نفسك عني ؟ فان كان عندي بذلته لك وكنت حقيقاً به ، وإن لم يكن لدي صدقتك عنه ، ولم أتعنم منك ما لا يشبهني تعنمه<sup>(٢)</sup> . فقلت له : قد اقتبسنا من جدك أنواراً حسن بها أثره علينا ، ووجب علينا بها وقايتك بأنفسنا . فقال : والله إن الطباع التي لأسلافنا معنا ،

(١) يشتمل على أمرى : يختص بخدمتي ويقوم بشئوني .

(٢) ولم أتعنم منك الخ : ولم أعتنم فرصة عنايتك بادعاء ما لا يليق بي .

ولكننا شغلناها في رعي الخنازير . فبعدتُ بها ممن قربتني له ،  
وأكرمتني بسببه .

فغيرته بين الدخول معي إلى مصر ، على أن أشاطره ملكي وعيشتي ،  
أو أحتال له في رده إلى بلده ، فاختر رده إلى بلده . فطُفْتُ له  
بإنفاذ بعض من أئقُّ به مع الرسل المتوجهين معه ، حتى وصل إلى  
بلده .

\* \* \*

وكانت تنتاب<sup>(١)</sup> عجايزنا عجوز جميلة المذهب<sup>(٢)</sup> ، ضعيفة الحال ، تعرف  
بأم محمد . فيجتمعن على كلِّ صاحبة ، وكنت أخصها بكفائتها .  
فلما دخل محمد بن سليمان<sup>(٣)</sup> مصر نزل في ظاهرها . واستدعى  
الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية<sup>(٤)</sup> ، فاستصفي ماله

(١) تنتاب : تأتي مرة بعد أخرى .

(٢) جميلة المذهب : تعبير من تعبيرات هذا العصر ، يراد به حسن العقيدة  
والوصف بالتدين .

(٣) هو محمد بن سليمان الكاتب . أرسله الخليفة المكتفي بالله العباسي لفتح مصر ،  
فلحقها بعد قتل شيان بن أحمد بن طولون سنة ٢٩٢ هجرية . ولم تطل مدته بمصر  
حتى قدم عليه كتاب الخليفة المكتفي بالله بولاية عيسى بن محمد النوشري ، فكانت  
مدة إقامته بمصر أربعة أشهر . ( النجوم الزاهرة ) .

(٤) أسباب الطولونية : عمال الدولة الطولونية والمصلون بها .

بالسَّوْطِ ، وَعَظِيمِ الْإِخَافَةِ . فَرَاغَنِي أَمْرُهُ ، وَخِشْتُ أَنْ يَلْحَقَنِي  
عَسْفُهُ . فَإِنِّي جَلَسْتُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنَا خَائِفٌ ، حَتَّى دَخَلْتُ  
جَارِيَةَ أُمِّ مُحَمَّدِ الْعَجُوزِ فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ ، فَظَنَنْتُهَا وَاللَّهِ تَقْتَضِي بَعْضَ  
مَا عَوَّدَتْهَا . فَقَالَتْ : سَيِّدَتِي أُمُّ مُحَمَّدٍ تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ :  
جَاءَنِي السَّاعَةُ رَسُولُ ابْنِ عَمِّي وَسَيِّدِي أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ يُسْأَلُ  
عَنِّي ، فَعَرَفْتُهُ أَنِّي كُنْتُ فِي كِفَايَتِكَ ، وَالرَّسُولُ عَلَى الْبَابِ يُرِيدُ<sup>(١)</sup>  
الْوَصُولَ إِلَيْكَ . فَقُلْتُ : يَدْخُلُ . فَدَخَلَ شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ  
يُعْرِفُ بِنَاشِئٍ . فَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَقَدْ وَصَفْتِكَ  
ابْنَةُ عَمِّ سَيِّدِي بِمَا أَرْجُو أَنْ يَحْسُنَ أَثْرُهُ عَلَيْكَ . وَدَعَا بِأَصْحَابِ  
الْأَرْبَاعِ<sup>(٢)</sup> ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَمْنَعُوا مِنْ يَعْتَرِضُنِي<sup>(٣)</sup> . فَعَرَّضْتُ  
عَلَيْهِ بَرًّا . فَقَالَ : وَأَيُّ بَرٍّ أَكْثَرُ مِمَّا أَتَيْتَهُ إِلَيْنَا ، وَانصَرَفَ عَنَّا . فَرَجَعَ  
إِلَى نَاشِئٍ هَذَا بِرُقْعَةٍ بَخِطَّ ابْنُ سُلَيْمَانَ : ” سِرُّ إِلَيْنَا لِنَنْظُرَ فِي أَمْرِكَ ،

(١) يريد : يريد .

(٢) دعا : أي ناشئ ، ولعله يريد بأصحاب الأرباع المشرفين على أقسام المدينة  
لحفظ الأمن وتنفيذ أوامر السلطان . وقد تستعمل أحيانا بمعنى أصحاب البيوت  
جمع ربيع ( بفتح وسكون ) .

(٣) يعترضني : في الأصل من تعترضني .

وَنبَلِّغَ فِيهِ مَحَبَّتَكَ ، فَإِنِّي أُرْعَى لَكَ مُتَقَدِّمَ حُرْمَتِكَ ، وَوَكَيْدَ أَسْبَابِكَ ،  
إِن شَاءَ اللَّهُ ” .

وما لحقني منه شيء أكرهه حتى انصرف عن البلد .

\*  
\*  
\*

وكان أبو الفيّاض سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ الشاعِرُ صَدِيقًا لِي ،  
وَمَاثِلًا لِي . فَلَمَّا اعْتَزَمَ عَلَيَّ الرَّجُوعَ إِلَى الْعِرَاقِ سَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ  
شَيْئًا مِنْ شِعْرِي ، فَكَتَبْتُ لَهُ مَقْدَارَ خَمْسِينَ وَرَقَةً مِنْهُ ، وَكَانَ يَسْتَحْسِنُهُ  
وَيُعْجَبُ بِهِ ، فَصَارَ إِلَى بَغْدَادٍ وَعَرَضَهُ عَلَى جَمَاعَةِ الْأَحْرَارِ (١) ،  
وَأَحْسَنَ وَصَفِي لِيهِمْ بِسَلَامَةِ مَذْهَبِهِ وَطَهَارَةِ نِيَّتِهِ .

وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ مِصْرَ وَقَدْ رَدَّ الْبَرِيدَ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ  
أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ (٢) فَسَأَلَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِيَّاهَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ ،

(١) اعلمه يريد بجماعة الأحرار : الأشراف وسادة القوم .

(٢) أبو عبيد الله أحمد بن صالح : كان من بطانة العباس بن أحمد بن طولون .

فأحضر أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup> (كاتباً كان لأحمد بن وصيف<sup>(٢)</sup> ولابن  
الخصاص<sup>(٣)</sup> بعده) . فقال له : تعرفُ أبا الفياض؟ قال : لا .  
فقال لهم : ليس هذا الرجل الذي طلبتُ . فأحضرتُ ، فلها رأني  
استشرف إلىّ وقال : تعرفُ أبا الفياض؟ فقلت : ذَكَرَكَ اللهُ وإياه  
بُكِّلَ صالحيةً ! نعم أعرفه وكان خلاً لي . فقال هل أنشدك من شعره :  
ظَلَمْنَا بِهَا نَسْتَنْزِلَ الدَّنَّ صَفْوَه \* فَيَنْزِلُ أَقْبَاسًا بغير هَيْب

(١) فأحضر أحمد بن يوسف : أى شخص غير المؤلف اسمه أحمد بن يوسف ،  
ثم وصف المؤلف أحمد هذا بأنه كان كاتباً لأحمد بن وصيف .

(٢) أبوه وصيف المملوك التركي صاحب الكلمة والنفوذ في خلافة المستعين  
بالله الذى يقول الشاعر فيه وفي بغا :

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالاه كما تقرل البيغا

وكان أحمد بن وصيف مقياً بدمشق نفاه إليها المهتدى ، فلما دخلها أحمد  
ابن طولون انضم إليه هو وجماعة قواد ماجور .

(٣) هو الحسين بن عبد الله الجوهرى ، كان تاجراً يبيع الجوهر ، وهو  
الذى أعد جهاز قطر الندى بنت نهارويه ، وقد صادره المقنتر وأخذ منه أموالاً  
كثيرة ، وكان على عظم ثروته سليم الباطن غير حاد التفكير ، توفى سنة ٣١٥

قلت : لا يا سيدي ! ولكنني أنشدته إياه من شعري . فضحك  
وقال : والله لقد اشتقت إلى الدخول إلى مصر من أجلك .  
وكان والله أفضل عون لي على أموري .

\*  
\*

وحدثني أحمد بن سقلاب<sup>(١)</sup> . قال :

كان بمصر رجلٌ من الفقهاء مشهورُ الاسم ، وله حلقةٌ عظيمةٌ  
بالجامع . فبينما هو في صدرها إذ وافى علانُ بن المغيرة ، فلما رآه  
مقبلاً نحوه قام إليه على رجليه ، ثم خطا إليه حتى لقيه . فأكثرت  
الجماعة قيامَ شيخٍ مثله إلى حديثٍ مثلِ علانٍ وتحفّيه به وعرض  
نفسه عليه ، وأنه لم يدع شيئاً يفعلهُ تابعٌ بمتبوع إلا بذله ، وأسرنا  
الموجدة<sup>(٢)</sup> عليه .

---

(١) لعله من أسرة سقلاب بن شينة المصري ، الذي كان زميلاً لورش ،  
وهو الذي نقل معه قراءة نافع إلى مصر .

(٢) الموجدة : الغضب .



فلما قام عَلَانُ ، قال لجماعتنا : ما اعلمنني بما أضمرتم ! ولكنني أريكم عذري فيما نرجتُ إليه<sup>(١)</sup> :

كانت عندي أَلْفٌ<sup>(٢)</sup> دينار وديعةٌ لرجل بالمغرب قد طال مقامها وطالبَ زَوْجُ ابنتي بإدخالِ امرأته عليه . بخلستُ أمها بحضرتي فقالت لي : ما الذي تراه فيما قد ألح فيه هذا الرجلُ ؟ فقلت لها : نستعمل فيه التجوزَ<sup>(٣)</sup> . فقالت لي : لنا حُسادٌ نخافُ شمائتهم ، ولا بدَّ من أن تُعينني على التَّجَمُّلِ . فقلت : إن كان ما تريدان في قدرتي لم أبخلْ به عليكم . قالت : هو في قدرتك . قلتُ : ما هو ؟ قالت : تمكَّنتي من هذه الوديعةِ ونحتاطُ فيما نبتاعه من الجهاز حتى يصلَ إلينا ثمنه في أيِّ وقتٍ أردناه<sup>(٤)</sup> ، ونُدخِلُ هذه الصبيبةَ على زوجها ،

(١) فيما نرجت إليه : أي عن المؤلف من شدَّة الحفاوة به .

(٢) الألف مذكر ، وقد يؤنث ، يقال أَلْفٌ مؤنثة ، وعلى هذا جرى المؤلف فأنت الفعل وهو " كانت " .

(٣) نستعمل فيه التجوز : أي ندخلها على زوجها مع التقليل من نفقات العرس والجهاز .

(٤) ونحتاط الخ : أي نشتري في الجهاز الأشياء التي إذا أردنا بيعها في أي وقت استطعنا ذلك .

فان جاء صاحبُ الوديعة بعنا ما اشتريناه ولم نُوضِعْ<sup>(١)</sup> فيه إلا ما يسهلُ  
علينا غُرْمُه . قلت : هذا قبيحٌ عند الله وعند خلقه . فلم تزل تُلحُّ بي  
وتحتالُ عليَّ حتى أجبتهَا . فمَهَزَّتْ ابنتَهَا بجميع المال وأدخلتها على  
زوجها . فلم يمضِ بنا بعد ذلك إلا شهران حتى وافى صاحبُ الوديعة  
يطلبها . فقلت لها ما تفعلين ؟ فقالت : أمضِي فأحملُ المتاعَ وأبيعه .  
فمضت إلى ابنتها ورجعتُ إلى فقالت : لا تَشْغَلْ نفسك بهذا المتاع ،  
فقد حلفَ زوجها بطلاقها إنه لا يخرجُ منه شيء عن منزله ! فسقطَ  
في يدي ، ورأيت الفضيحةَ في الدارين متصديةً لي . فوضعتُ إبطاري  
بين يدي فلم أطمعْ ، واعتراني ما خفتُ منه على عقلي ، وبتُّ بليلةٍ  
مايتُ بمثلها ، وأنا أتئينُ سهولة ذلك على زوجتي في جنب ما أحرزته  
لبنتها . ثم انتبهت قبل الفجر بمنازل<sup>(٢)</sup> ، فصحت بالغلام : أَسْرِجْ لي .  
فقام وأسرج وقال : ياسيدي ! أين تمضي ؟ فقلت : ليس لك  
الاعتراضُ عليَّ .

وركبْتُ وسرتُ بطوعِ عَناني ، فلم يزل بغلي يسير حتى دخلتُ  
زُقاقِ عَلَّانِ بنِ المَغِيرَةِ . فوقفْتُ على باب داره وصاح الغلام

(١) ولم نوضع : ولم نقلل من ثمنه الأصلي .

(٢) بمنازل : يريد بدرجات زمنية .

بالبواب وعرفه بموضعي . فسمعت حركة في داره ، ثم فتح  
الباب وأذن لي بالدخول ، فدخلت عليه ، فوجدت بين يديه شمعة ،  
وهو يكتب جوابات كتب وكلائه . فلها رأني قام إلى وقال لمن حضره  
من الغلمان : تَحَوُّوا ، وأقبل على فقال : والله لو بعثت إلى لسرت  
إليك ولم أجشمك السعي إلى ، فاشرح لي أمرك . فغلبتني العبرة ،  
وحالت بيني وبين الكلام ، فما زال يسكنني حتى نصصت له اتفاق<sup>(١)</sup>  
الوديعة ، وهو مغموم بأمرى . ثم قال : فكم هذه الوديعة ؟ فقلت  
ألف دينار ! فضحك ، وقال : فرجت والله عني ! ما توسمت أتى  
أملكها . فكان الغم يقع بها ، فأما وهي في القدرة فما أسهلها علي ،  
وأخفها لدي ! ثم قال لغلामه : جئني بتلك الصرار التي وردت  
علينا من المغرب في هذا الشهر ، بفناء بأربع صرار فنظر فيما عليها  
وجمعه وقال : هذه ألف دينار وخمسة دنانير : ألف للوديعة ،  
وخمسة تصلح بها ما بينك وبين من عندك . ثم قال لي : متى  
أشكر<sup>(٢)</sup> إفرادك إياي بعد الله ( عز وجل ذكره ) بتأميلي في حادثة

(١) اتفاق الوديعة : أي ما اتفق وحصل لها ، ويموز أنها محرقة عن اتفاق .

(٢) متى أشكر الخ : أي لا أستطيع في أي وقت أن أشكر الخ .

حدثت عليك فأعاني الله على مكافأتك ! وأضاف إلى من خفرتني  
إلى منزلي .

فقلت الجماعة : قد سمعنا عذرك ، وعلينا عهدُ الله إن لَقِينَاهُ<sup>(١)</sup>  
أبداً إلا قياما .

\* \* \*

وبعث أحمدُ بنُ طولون في الساعة التي تُوِّفِي فيها يُوسُفُ  
ابنُ إبراهيمَ والدي بخدم . فهجموا الدار<sup>(٢)</sup> ، وطالبوا بكتبه مقدرين أن  
يجدوا فيها كتاباً من ببغداد . فحملوا صُندوقين ، وقبضوا على وعلى  
أخى ، وصاروا بنا إلى داره ، وأدخِلْنَا إليه ، وهو فيها جالس ، وبين  
يديه رجل من أشرف الطالبين . فأمر بفتح أحد الصُندوقين  
وأدخل خادماً [ يده ] فوقع<sup>(٣)</sup> دفترَ جِرايَاتِهِ على الأشراف وغيرهم .  
فأخذ الدفتر بيده وتصفَّحه ، وكان جيِّدَ الاستخراج<sup>(٤)</sup> ، فوجد اسمَ  
الطالبِيِّ في الجراية ، فقال له ، وأنا أسمع : كانت عليك جراية ليوسف  
ابن إبراهيم ؟ فقال له : نعم : يأيها الأمير ! دخلتُ هذا البلدَ وأنا

(١) أن لقيناه : ما لقيناه .

(٢) هجموا الدار : المألوف هجموا على الدار .

(٣) فوقع دفترانخ : فاتفق أن وقع في يده دفتر .

(٤) جيِّد الاستخراج : يحسن فهم الأوضاع الحسابية وطرق استخراج النتائج منها .

مُمَلَّقٌ ، فَأَجْرَى عَلِيَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِينَارٍ وَمَائَتِي إِرْدَبَ قَعِجٍ أُسْوَةً  
بِابْنِي الْأَرْقَطِ وَالْعَقِيقِيَّ وَغَيْرَهُمَا . ثُمَّ مَتَّتَ <sup>(١)</sup> يَدَايَ بِطَوَّلِ الْأَمِيرِ  
فَاسْتَعْفَيْتُهُ مِنْهَا . فَقَالَ لِي : نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ <sup>(٢)</sup> قَطَعْتَ سَبِيًّا لِي  
بِرَسُولِ اللَّهِ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ) . وَتَدَمَّعَ <sup>(٣)</sup> الطَّالِبِيُّ .  
فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ : " يَرْحَمُ اللَّهُ يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ! " ثُمَّ قَالَ لَنَا  
انصرفوا إلى منازلكم لأبأس عليكم ! فانصرفنا فلأحقنا جنازة والدنا ،  
وَحَضَرْنَا الْعَلَوِيَّ ، وَقَدْ أَحْسَنَ مَكافَأَةَ الْوَالِدِ فِي مُحَلِّفِيهِ <sup>(٤)</sup> .

\* \*

وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُصْلِحٍ . قَالَ : أَنْفَذَ إِلَى حَسَنِ  
ابْنِ مُهَاجِرٍ <sup>(٥)</sup> كَاتِبُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَشْرَةَ رِجَالٍ مِنَ التُّجَّارِ ،

(١) متنت : قويت وصلبت . وفي الأصل : امتنت ويمكن توجيهها على تكلف .

(٢) إن قطعت : ما قطعت .

(٣) لم نعتز على هذا الفعل بهذه الصيغة في المعجمات .

(٤) محلفيه : أولاده .

(٥) كان كاتباً لحسين الخادم . ولما غضب ابن طولون على ابن مفضل  
كاتبه استخدمه في كتابته . وقد ولد حسن هذا بالرقة . وكان والده يتوكل لحسين  
الخادم في ضياع هناك . ثم كان أن حمد حسين الخادم أمر حسن هذا فضمه  
إليه وتولى تنشئته وبقى معه إلى أن استخدمه ابن طولون على البريد ، ولم يتكر منه  
ابن طولون إلا شدته على الناس ليحظى بذلك عنده ، وبقى في خدمته حتى مات .

وقال اعتقلهم بمعزل عن المسجونين حتى أعرضهم في غد على  
الأمير ، فتسلّمت منه قوما تشهد لهم القلوب بالفضل . فأنست  
وحشتهم ، وفسحت رجاءهم . فقالوا لى : قد شكرنا جميل صنيعك ،  
ولنا إليك حاجة . قلت : ما هي ؟ قالوا : فينا فتى يضعف قلبه  
عن لقاء الأمير فتقبل منا بدلاً به ، ولك علينا مائة دينار . قلت :  
أنا أفعل إن وجدت من يجيب إلى هذا - وكان عندي أنه كالمتنع -  
فأخذ شيخ منهم رُقعةً وكتب فيها إلى رجل كان قد أولاه عارفة ،  
فسأله ذلك ، فأجابه الرجل : إني بإثر رُقعتي .

قال موسى : فتوهمت أن هذا قول لائمهة له ، فلم أشعربه حتى واني .  
فقال : ما أخرجني عنك إلا أتى جددت وصية ، وأحكمت ما خفت أن  
يقطعني عنه ما دعوتني إليه . وقال : لست أجيبك إلى ما التمت  
حتى تكون المائة الدينار من عندي دون جماعتكم ، وأخرجها  
من كمه ودفعها إلى ، وصرفت الرجل ، وأقام هذا مكانه ، فلم أتين منه  
غماً بهذا ولا قلقاً له . وظلوا ليلتهم يتحدثون ويتناشدون ، والسلامة  
غالبه على خواطرهم ، حتى أصبحوا وأخرجهم حسن بن مهاجر ، فعرضهم

على أحمد بن طولون . فتيين تحامله عليهم . فأمره بترك التعرض لهم  
فانصرفوا ، وكانت أظافهم ترد على حتى فقدتهم .

\*  
\*

وحدثني أحمد بن أيمن<sup>(١)</sup> كاتب أحمد بن طولون . قال :  
دخلت بالبصرة إلى تاجر - ذهب عني اسمه - فرأيت بين يديه ابنين له

---

(١) نكبه أحمد بن طولون بعد أن كان له حظوة عنده ، وكان سبب نكبه  
ما حكاه عن نفسه فيما رواه البلوي صاحب سيرة ابن طولون قال :

كان لأحمد بن طولون ساع يسعى بالكتاب والمعاملين إليه يعرف بأبي ذؤيب ،  
فاجتمعنا يوما عند أحمد ابن طولون ، فقال أحمد لكثير المعنى : أنا أشتهى صوتا  
ما سمعته منذ خرجت من سر من رأى ، فقال له : وما هو أيها الأمير ؟ فقال :

ألا سقيتم بنى حزم أسيركم ! \* نفسى فداؤك ، من ذى غلة صادى

فقال له : ما أعرفه ياسيدى ، فقلت أنا أحسنه ، ففرح بذلك ، فاندفعت ، فطرب  
أحمد بن طولون طربا شديدا حتى صفق بيديه ، فحملني سبخف الطرب إلى أن قمت  
فرقصت على إيقاع اللحن ، فزاد سرور أحمد بن طولون ، وغمزني على أبي ذؤيب أن  
أسقط عليه فترالقت على البساط ، وألقيت نفسى عليه فأخذنيكي ، فصاح عليه ابن طولون ،  
فقال له : لم يوجعني ما وقع على من جسمه ، وإنما آلمني ما على ظهره من البدر التي  
اختانها وحصلها من مال الأمير ، فقال له أحمد بن طولون : أمسك وارفع هذا إلى  
الصحو . فما مضت إلا مديدة حتى قبض على أحمد بن طولون وحبسني وأخذ  
جميع ما كان لي ، وما خرجت من حبسه إلا بعد وفاته . اه بليجاز .

في نهاية من النظافة . فلما رأني أقبل بنظري إليهما . قال لي :  
أحب أن تعودَهما ، ففعلت . وقلت له : استجذت الأم فحسن نسلك !  
فقال : ما بالبصرة أقبح من أمهما ولا أحب إلى منها ، ولها معي خبرٌ  
عجيب ، فسألته أن يُحدثنيهِ .

فقال :

كنت أنزل الأبلَّةَ <sup>(١)</sup> وأنا متعيش <sup>(٢)</sup> ؛ فحملتُ منها تجارة  
إلى البصرة <sup>(٣)</sup> فربحتُ ؛ وحمَلتُ من البصرة إلى الأبلَّة فربحتُ .  
ولم أزل أحمل من هذه إلى هذه فأربحُ ولا أخسر حتى كثر مالي ، وتعالَم  
الناس إقبالي <sup>(٤)</sup> ، وآثرتُ السكنى بالبصرة ، وعلمتُ أنه لا يحسن بي  
المقام بها بغير زوجة ، ولم يكن بها أجلٌ قدراً من جدِّ هذين  
الغلامين . وكانت له بنتٌ قد عَضَلَهَا <sup>(٥)</sup> وتعرض لعداوة خُطابها .

(١) الأبلَّة : (بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها) : بلدة على شاطئ دجلة  
أقدم من البصرة .

(٢) متعيش : متاجر يعيش بالقليل الذي يربحه .

(٣) البصرة : ثغر على شط العرب على نحو مائة ميل من مصبه ، ولها تجارة  
عظيمة مع بغداد ، ويؤمها كثير من السفن التجارية الآتية من الخليج الفارسي .

(٤) إقبالي : حسن حظي .

(٥) عضلها : حال دون زواجها .



فحدثتني نفسي ببقائه فيها ، فحنته على خلوة . وقلت له : يا عم ! أنا  
فلان بن فلان التاجر . فقال : ما خفي عنى محلك ومحل أبيك .  
فقلت : قد جئتكم خاطباً لابنتك . فقال : والله ما بي عنك رغبة ؛  
ولقد خطبها إلى جماعة من وجوه البصرة وما أحببهم ، وإني لكاره  
من إخراجها عن حضني إلى من يقومها تقويم العبيد<sup>(١)</sup> . فقلت :  
قد رفعها الله عن هذا الموضع ، وأنا أسألك أن تدخلني في عددك  
وتخاطبني بشمك<sup>(٢)</sup> . فقال : ولا بد من هذا ؟ قلت : لا بد ،  
وهو زائد في فضلك على واصطناعك إياي . فقال :

أغد على برجالك . فانصرفت عنه إلى ملاء من التجار ذوى أخطار ،  
فسألتهم الحضور معي في غد ، فقالوا : إنك لتحركنا إلى سعي ضائع .  
قلت : لا بد من ركوبكم معي . فركبوا على ثقة من أنه يردهم ، وغدونا  
عليه فأحسن الإجابة ، وزوجني وأطعم القوم ونحر لهم وأنصرفوا .

---

(١) وإني لكاره الخ : بقول : إني أكره أن تقدر قيمتها على الأمس التي  
تقدر بها العبيد من جمال الوجه وحسن الهيئة .

(٢) بشمك : بأهلك .

ثم قال لي : إن شئت أن تبيت بأهلك فافعل ، فليس لها ما يحتاج إلى التلوم<sup>(١)</sup> عليه . فقلت : هذا ياسيدي ما أحبه . فلم يزل يُحدِّثني بكلِّ حَسَنِ حَتَّى كَانَتِ الْمَغْرِبُ فَصَلَّاهَا بِي ، ثُمَّ سَبَّحَ وَسَبَّحَتْ ، وَدَعَا وَدَعَوْتُ ، إِلَى أَنْ كَانَتِ الْعَتَمَةُ فَصَلَّاهَا بِي ، وَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ قَدْ فُرِشَتْ بِأَحْسَنِ فِرْشَةٍ ، بِهَا خَدَمٌ وَجَوَارٍ فِي نَهَائِهِ مِنَ النِّظَافَةِ ، فَمَا اسْتَقَرَّتْ بِي الْجُلُوسُ حَتَّى نَهَضَ . وَقَالَ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ ، وَقَدَّمَ اللَّهُ لِكَمَا اخْلِيَرُ ، وَأَحْرَزَ التَّوْفِيقَ !

وَكَتَفْتَنِي بِعَجَائِزٍ مِنْ شَمْلِهِ ، بِخَلْوَنِ ابْنَتِهِ عَلِيٍّ . فَمَا تَأَمَّلْتُ طَائِلًا<sup>(٢)</sup> وَأَرَحْتُ<sup>(٣)</sup> السُّتُورَ عَلَيْنَا . فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي ! إِنِّي سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ وَالِدِي كَتَمَهُ عَنِ سَائِرِ النَّاسِ ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيْكَ وَرَأَىكَ أَهْلًا<sup>(٤)</sup> لَسْتَرِهِ عَلَيْهِ ، فَلَا تُخْفِرْ<sup>(٥)</sup> ظَنَّهُ فِيكَ<sup>(٦)</sup> . وَلَوْ كَانَ الَّذِي يُطَلَّبُ مِنَ الزَّوْجَةِ حَسَنُ صَوْرَتِهَا

(١) التلوم : التلث .

(٢) فما تأملت الخ : أي فما رأيت شيئاً له فضل أو مزية ، يريد أنها كانت خلواً من الجمال .

(٣) أرخت : الضمير الفاعل يعود على العجائز .

(٤) أهلاً : في الأصل : أصلاً .

(٥) تخفّر : تنقض وتختلف .

(٦) فيك : في الأصل : فيه .

دون حسن تديرها وعفافها لعظمتِ محنتي . وأرجو أن يكون معي منهما  
أكثرُ مما قصر بي<sup>(١)</sup> في حسن الصورة . ثم وثبت بجاءت بمالٍ في كيس .  
فقلت : ياسيّدِي ! قد أحلَّ اللهُ لك معي ثلاثَ حرائرٍ وما أثرته من  
الإماء ، وقد سوّغتك<sup>(٢)</sup> تزوّج<sup>(٣)</sup> الثلاث وابتاعَ الجوارى من مال  
هذا الكيس ، فقد أوقفته على شهواتك ، ولستُ أطلبُ منك  
إلا سترِي فقط .

فقال لي أحمدُ : خلف لي التاجر إنها ملكت قلبي منك لم تصل إليه  
حسنة<sup>(٤)</sup> بحسناها . فقلتُ لها : جزاء ما قدمته ما تسمعينه مني : والله  
لا أصبتُ<sup>(٥)</sup> من غيرك أبداً ، ولا أجعلنك حظي من دنياي فيما يؤثره  
الرجل من المرأة ! وكانت أشفقَ النساء وأضبطهن وأحسنهن<sup>(٦)</sup> تديراً  
فيما تتولاه بمنزلي ، فتبينتُ وقوعَ الخيرة<sup>(٧)</sup> في ذلك ، ولحقتني السنُّ

(١) قصر بي : لم يوصلني إلى الغاية .

(٢) سوّغتك : في الأصل : سوّغك .

(٣) تزوّج : في الأصل : تزويج .

(٤) حسنة : أي امرأة حسنة .

(٥) أصبت : مفعول أصبت محذوف أي حاجة أو غرضاً .

(٦) في الأصل : وأضبطهم وأحسنهم .

(٧) الخيرة : حسن الاختيار .

فصارت حاجتي إلى الصواب أكثر ..... وشكر الله لي  
تلقيت به جميل قولها ، وحسن فعلها ، فرزقتي منها هذين الابنين  
الرائعين لك . ونحن منقطعون إلى جوده فينا ، وإحسانه إلينا .

\* \* \*

حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال :

أنكر المهدي<sup>(١)</sup> على هرثمة بن أعين<sup>(٢)</sup> تحككه بمعن بن زائدة<sup>(٣)</sup> ،  
وأمر بنفيه إلى المغرب الأقصى ، فكلمه الرشيد فيه واستل سخيمته

(١) المهدي : هو محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى  
أبا عبد الله ، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبي مرثد من  
ولد ذى رعين من ملوك حمير . ولد سنة ١٢٧ هـ وولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ  
وكانت وفاته سنة ١٦٧ هـ

(٢) هرثمة بن أعين أحد أمراء الرشيد وخواص قواده . كان شجاعا مقداما  
مهيبا ، فولاه مصر سنة ١٧٨ هـ ولم تطل مدة ولايته فقد عزله الرشيد بعد  
شهرين ونصف شهر لأنه كان يندبه للهمات الجسام . وأرسله إلى المغرب وبقى على  
المغرب سنتين ونصف سنة وكانت وفاته سنة ٢٠٠ هـ .

(٣) هو أبو الوليد معن بن زائدة . كان جوادا شجاعا جريلا العطاء . وكان  
مروان بن أبي حفصة الشاعر خصيضا به ، وأكثر مدائحهم فيه ، وكان معن أيام  
بني أمية منتقلا في الولايات ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقيين .  
ولما آل الأمر إلى العباسيين وقتل يزيد تبعه المنصور ثم عثر به وصفح عنه وجعله  
من خواصه ، ثم ولى سجستان . فلما كانت سنة ٢٥٨ هـ اندس بعض الخوارج بين  
صناع يعملون داره وقتلوه .

عليه<sup>(١)</sup> ومات مَعْنُ وزادت حَالُ هَرَمَةَ ، وشكر للرشيد ما كان منه ،  
وأفضت الخلافةُ إلى موسى الهادى<sup>(٢)</sup> . فتمكّن منه هَرَمَةُ ،  
وحدث الهادى نفسه بِخَلْعِ الرشيد وجمع الناس على تقليد ابنه العهدَ  
بعده ، وعلم بهذا هَرَمَةُ ، وتذكر عارفة الرشيد قمارض .

وجمع الهادى الناس ودعاهم إلى خَلْعِ الرشيد ونَصِبِ ابنه مكانه ،  
فأجابوه وحلفوا له ، وأحضر هَرَمَةَ . فقالوا<sup>(٣)</sup> له : تباع يا هَرَمَةُ !  
فقال : يا أمير المؤمنين يميني مشغولةٌ بِبَيْعَتِكَ ، ويساري مشغولةٌ  
ببَيْعَةِ أخيك ! فبأى يدٍ أباع ؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكذت<sup>(٤)</sup>  
في الرقاب من بَيْعَةِ ابنك أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته .  
ومن حنث في الأولى حنث في الأخرى ، ولولا تأوّل هذه الجماعة  
بأنها مكرهة ، وإسرارها فيك خلاف ما أظهرت لأمنسكت عن هذا .

(١) استل مخيمته عليه : أزال ما في نفسه من الحقد والغضب عليه .

(٢) الهادى هو أبو جعفر موسى بن محمد الهادى . بويع له بالخلافة سنة ١٦٩  
وكانت سنة أربع وعشرين سنة وأشهر . وتوفى سنة ١٧٠ . وكان موسى قاسيا .  
وكان مع هذا كثير الأدب محبا له شجاعا سخيا .

(٣) فقالوا له : أى قال له أنصار الهادى .

(٤) ينفى "بلا" في المستقبل ، وقد أدخلها على الماضى هنا لأن النفي لا يقتصر  
على الماضى ، ولكنه يمد للمستقبل أيضا .

فقال لجماعة من حضر: "شاهت<sup>(١)</sup> وجوهكم" ! والله لقد صدقني  
مولاي وكذبتموني ، ونصحتني وغششتُموني !  
وسلم إلى الرشيد ما قدره<sup>(٢)</sup> الهادي فيه .

\*  
\*

وسمعتُ يوسفَ بنَ إبراهيمَ والدي . يقول :

لم يتمكن أحدٌ من أحدٍ تمكنَ أبي يوسفَ القاضي<sup>(٣)</sup> من الرشيد .  
ولقد سألتُ إبراهيمَ بنَ المهديّ عن السبب في ذلك . فقال كان  
يستحقُّ هذا منه لما حدّثني به مسرور الكبير<sup>(٤)</sup> قال :

(١) شاهت وجوهكم : قبحت وجوهكم .

(٢) ما قدره الهادي فيه : أي سلمت ولاية العهد للرشيد التي كان الهادي  
قد نوى وقرر خلعها منها .

(٣) أبو يوسف القاضي : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد ، لزم  
أبا حنيفة فتفقه عليه وطلب عليه الرأي ، وكان المهديّ صيره مع ابنه موسى وهو  
ولي عهده ، وقد تولى قضاء بغداد للرشيد إلى أن مات سنة ١٨٢ في خلافة هارون .

(٤) هو أبو هاشم مسرور الخادم . وهو الذي وجهه الرشيد مع هرثمة بن أعين  
للغزو في الصائفة وولاه النفقات وجميع أمور العسكر في هذا الجيش ، ما خلا  
الرياسة فانها كانت لهرثمة .

كنت في خدمة المهدي وكان الرشيد حفيبا<sup>(١)</sup> بي ، محسنا إلي ،  
فلما انتقل أمر الخلافة إلى الهادي . قال لي الرشيد : إن أنحي قوتي  
الشراسة وأنا أخاف إيقاعه بي ، وجمع الناس على بيعة ابنه بعده .  
وأنا على غاية من الثقة بك ، فأعد<sup>(٢)</sup> إليه ، وكن لي عينا عليه .  
فتقدمت عند الهادي حتى توليت ستر بيت خلوته . وكان المهدي  
قد قرن أبا يوسف بالهادي فتمكن منه ، وقيل في مهماته مشورته ،  
فلما حلا بقلبه<sup>(٣)</sup> شاوره في ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين ! لا تحمل  
نفسك على قطيعة رحيمك ، وأولياءك على الحنث بإيمانهم ،  
وأستدع من الله زيادته بما يرضيه عنك ! فتوقف بعض  
التوقف . وسعي إليه بالرشيد ، وقيل له إنه [عامل] على أن  
يغتالك ، فدعا بأبي يوسف وأخبره بما تأدى إليه . فقال :  
يا أمير المؤمنين ! لا تسمع هذا ، وأنا الضامن لك حسن طاعته ،  
ووكيد مولاته . فكنت أنهي جميع ذلك إلى الرشيد فيشتد سروره به ،  
ويرغب إلى الله في معاونته على مكافأته .

(١) حفيبا : كثير العناية والاهتمام .

(٢) فاعدل إليه : فل إليه واعمل على التقرب منه .

(٣) حلا بقلبه : أحبه .

فلما أفضت الخلافةُ إليه دعا به وقال له : يا يعقوب ! لو جاز  
لي إدخالك في نسبي ، ومشاركتك في الخلافة المفضية إليّ ،  
لكنتَ حقيقاً به . ألسْتَ القائلُ لأنحى وقتَ كذا : كذا . فقال :  
يا أمير المؤمنين ! من أنبأك بهذا ؟ فوالله ما كان معنا ثالثٌ .  
فضحك الرشيدُ وقال : مسرورٌ كان يتولى سِتْرَ بيتِ خَلْوَتِهِ ، وكان  
يُنْهِى إليّ جميعَ ما صدرَ عنه .

قال مسرورٌ : فوالله ما برحتُ بي عنايةُ أبي يوسف حتى بلغتُ  
مع الرشيد هذا المبلغَ .

\* \* \*

وحدثني أحمد بن أبي عمرانَ الفقيه أن ابنَ الثلجِيَّ <sup>(١)</sup> حدثه  
أن بشرًا المريسيَّ <sup>(٢)</sup> (وكان مُتَزَهِّداً) قال :

<sup>(١)</sup> هو عبد الله بن أبي شجاع كان فقيه العراق في وقته ، وكان من أصحاب  
الحسن بن زياد اللؤلؤي ، وكان مولده سنة ١٨١ ، وتوفي سنة ٢٦٦ هجرية (الأنساب  
للسمعاني) .

<sup>(٢)</sup> هو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسيّ مولى زيد  
ابن الخطاب . كان أبوه يهودياً يسكن بغداد . وتفقه على القاضي أبي يوسف ،  
وبرع في علوم كثيرة ، وتوفي سنة ٢١٨ هجرية .



ما اشتهيت من مراتب السلطان إلا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها .  
في عشيّة من العشايا كنتُ اجتزتُ به مسلماً عليه ، فقال لي : تُقيمُ  
عندي العشيّة لتناظر في طائفة من العلم . فإني لجالسٌ عنده ، وقد ابتدأ  
فيما آثرناه ، حتّى واقى إليه رسولُ أمير المؤمنين الرشيد . فقال لي :  
انتظرني . ومضى فغاب عني مقدار ساعتين ورجع ، وخلفه غلمانٌ يحملون  
مالاً ، فوضعه بين يديه وانصرفوا . فقال : دُفِعَتُ الليلة إلى عجائب .  
قلتُ : ما هي ؟ قال : دخلتُ إلى دار أمير المؤمنين فاتهمي بي رسوله  
إلى سترٍ مُسَبَّلٍ على بابٍ مسرورٍ الكبيرِ يُمسِكُهُ . فقال لي : سلّم على  
أمير المؤمنين . فسَلَّمْتُ . فقال : وعليك [ السلام ] يا يعقوب ،  
أدخل وحداك ، فرفع السترَ حتّى دخلتُ . فألقيتُ عنده مجدباً  
جعفر بن المنصور مولى الجارية المعروفة ببذل<sup>(١)</sup> ، ووجه كل واحد  
منهما مُحوّل عن صاحبه . وبين يدي الرشيد سيفٌ مشهور .

---

(١) بزل : كانت مولدة من مولدات المدينة ، وربيت بالبصرة ، وكانت  
جميلة ظريفة . وكانت أحسن الناس غناء في دهرها . رغب في التزوج بها وجوه  
القواد والكّاب فابت ، وأقامت على حالها حتى ماتت .

فقال لى : يا يعقوب هذا الرجل يُدِيرنى <sup>(١)</sup> مُذ الظُّهْرِ على قَتله .  
فقال <sup>(٢)</sup> له : تَرْضَى به حَكماً بَيْننا ؟ قال : نعم . قال : أَلتَى هذا  
السيفَ عن يدك ، وأَرْضَ بالحقِّ لك وعليك . واستدارا جميعاً حتَّى  
جلسا مجسَّسَ الخُصوم بين يَدَى . ثم قال الرجل : سألتنى أميرُ المؤمنين  
أن أبيعهُ جاريةً علىَّ فيها أيمانٌ مُخرِجةٌ لا كَفَّارةَ لها ألا أبيعها ولا  
أهبها . قال ، فقلتُ له : فتسمَحُ بها لأمير المؤمنين إن أخرجتُك  
من يمينك ؟ قال إى والله ، وإنَّ ذلكَ لَسَهْلٌ علىَّ ! فقلت : هَبْ  
لى نصفها ، وبعه نصفها . فقال : قد أجبْتُ ، وجعلتُ ثمنَ النصفِ  
هديةً لك . وتعانقا جميعاً ، وانصرفت إليكَ ولحقتنى هذا المال .  
فوجدنا المالَ المحمولَ خمسةً وعشرين ألفاً . فقلت فى نفسى :  
أحيا نفساً ، وأصلح بين خليفةٍ وابن عمِّه فى مقدار ساعتين من النهار .  
قال بشر : فوالله ما فرغنا من صلاة المغرب حتَّى ابتدرنا الغلمانَ يحمِلون  
مالاً وبزاً وطيباً ، ومعهم جاريةٌ حصيفةٌ . فقالت : تَقْرَأُ عليك السلام

(١) يدِيرنى : يوجهنى ، يحملى .

(٢) فقال له : قال محمد بن جعفر للرشد .

سَيِّدَتِي وَتَقُولُ لَكَ : أَجَازَنِي سَيِّدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا حَمَلْتَهُ إِلَيْكَ  
بِفِعْلَتِهِ ثَوَابَ الْفُتْيَا الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ وَصُولِي إِلَيْهِ . فَكَانَ الْمَالُ مِنْهُ  
خَمْسَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا .

\*  
\* \*

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو يَعْقُوبَ  
عَنْ جَدِّي وَاضِحٍ مَوْلَى الْمَنْصُورِ<sup>(١)</sup> . قَالَ :

كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَنْصُورِ وَقَدْ أَحْضَرَ رَجُلًا كَانَ مِنْ رِجَالِ هِشَامِ بْنِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ يُسَأَلُهُ عَنْ سِيرَةِ هِشَامٍ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُعْجِبُ الْمَنْصُورَ . فَكَانَ  
الرَّجُلُ يَتَرَحَّمُ عِنْدَ كُلِّ جَارٍ مِنْ ذِكْرِهِ ، فَأَحْفَظُ<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ جَمَاعَتَنَا .  
فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ<sup>(٣)</sup> : كَمْ تَتَرَحَّمُ عَلَيَّ عَدُوَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ الرَّجُلُ

---

(١) الخليفة المنصور : هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي  
ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، بويغ له بالخلافة سنة ١٣٦ هجرية وهو ابن  
إحدى وأربعين سنة . وكان مولده سنة ٩٥ هجرية في اليوم الذي مات فيه الخجاج .  
وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية . وكانت وفاته سنة ١٥٨ هجرية .

(٢) أحفظ : أغضب .

(٣) هو الربيع بن يونس ، من موالى بني العباس ، اتخذه المنصور حاجباً ثم  
استوزره ، وكان مهيباً محسناً لإدارة الشؤون . عاش إلى خلافة المهدي وتوفي سنة ١٦٩

للربيع : مجلسُ أمير المؤمنين (أيده الله) أحقُّ المجالس بشكر  
الحسين، ومجازاة المُجمل، ولهشام في عنق قلادة لا ينزعها إلا غاسلي .  
فقال له المنصور : وما هذه القلادة ؟ قال : قلّدتني في حياته ،  
وأغناني عن غيره بعد وفاته . فقال له المنصور : أحسنتَ بآرك الله  
عليك ! وبِحسِنِ المكافأةِ تُستحقُّ الصّنائع ، وتزكو العوارف ، ثم  
أدخله في خاصّته .

\*  
\*\*

وقد مثّل بعضُ الفلاسفة : لحسِنِ المكافأةِ بحسام الصيقل<sup>(١)</sup>  
الذي يُحدث له وقوعُ الشمس عليه أنبعاثُ شعاعٍ منه يجلو غياهبُ  
الأمكنة المظلمة ، ويكونُ وفورُ شعاعه على حسب صقلته .

وقال أفلاطون : من حسنتَ مكافأته<sup>(٢)</sup> لم تغضبه خيبته فيما  
التمسه ، لأنه يُقيم العوارف<sup>(٣)</sup> مُقام دُيون يُحمّلها لا يسعه إغفالُ

---

(١) حسام الصيقل : الصيقل شحاذ السيوف وجلأؤها ، وإنما خصّ حسام  
الصيقل لأنه يواليه بالصقل والجلأ .

(٢) من حسنتَ مكافأته : من كان من طبعه أن يحسن المكافأة على ما أدى  
إليه من صنيع .

(٣) العوارف : جمع عارفة ، المعروف والمكرمة .

قضاؤها . وإتما يغضبُ من المنع<sup>(١)</sup> : من آثر تحصيل العارفة ،  
وإغفال المكافأة عليها . ولأن المرغوب إليه إذا كان يحتاج إلى  
مُطالعة<sup>(٢)</sup> حُسن المكافأة للإحسان فيثابِرُ عليه ، وسوء المكافأة  
على الإساءة فيتأخرُ عنه ، كان الراغب محتاجاً إلى أن يكون  
في خَلده<sup>(٣)</sup> من أخبارِ مَنْ أساء الصنيعَ فساءت مكافأته ، ما يوازي  
ما أثبتناه من حُسن المكافأة للإحسان<sup>(٤)</sup> .

---

(١) المنع : منع الناس معروفهم عنه .

(٢) مطالعة : تصوّر .

(٣) خَلده : باله ونفسه .

(٤) يقول على كلِّ من المرغوب في إحسانه وطالب الإحسان أن يذكرنا حسن  
المكافأة على الفعل الحسن ، وسوء المكافأة على الفعل القبيح ، حتى يكون ذلك  
حافزاً للأول على المثابرة على الإحسان ، ودافعاً للثاني على إنابة من يحسن إليه .

## المكافأة على القبيح

حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده مولى عبد الله بن المقفع<sup>(١)</sup> أن عبد الله حدثه . قال :

كان فيما ترجمته من سير الفرس ، أن فيروز<sup>(٢)</sup> لما تقلد مملكة فارس حدثه نفسه باجتياز بلد الهياطلة<sup>(٣)</sup> . وكان به

(١) هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد فحول البلاغة . وكان من أبناء الفرس الناشئين بين أحياء العرب . وكان أبوه المقفع يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية . وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هجرية . ولما ذاع فضله استكتبه في عصر بني أمية داود بن يوسف بن هبيرة . ثم كتب في عصر بني العباس لمعيسى بن علي عم المنصور في أثناء ولايته على كرمان . وعلى يديه أسلم وتسمى (عبدالله) ثم اتصل بالمنصور ثم قتل بالبصرة سنة ١٤٢

(٢) هو فيروز بن زبدجرد بن بهرام آل إليه الملك بعد قتله أخاه هرمز . وبقى فيروز ملكا إلى أن هلك على يد ملك الهياطلة بمرور الروع من بلاد خراسان . وكانت مدة ملكه سبعا وعشرين سنة .

(٣) بلاد الهياطلة اسم لبلاد ماوراء النهر: بخارى وسمرقند وما بينهما . وفي تاريخ أي الغداء : أن سبب محاربة فيروز لملك الهياطلة أن فيروز خطب ابنته فلم يجبه .

للهايطة ملكٌ صحيحُ الرأى ، حَسَنُ الجوار ؛ فجمع ذوى الرأى  
فى بلده وسألهم عما يرون ، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه  
بجزاهم خيراً<sup>(١)</sup> وانصرفوا .

وخلا به وزيره ( وكان على السن ) . فقال له : أيها الملك !  
إنَّ يسيرَ الحيلة ربما بلغ أوفى منازل المكافحة ، والذى  
عندى من الرأى أن تُظهِرَ السُّخْطَ عَلَيَّ ؛ فتقطعَ يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ وَتَنفِئَنِي  
إلى أقاصى عَمَلِكْ ؛ وتكتبَ إلى عاملِك هناك فى حبسى ، وتُظهِرَ  
أنك تبيئت منى ميلاً إلى فيروزَ فقال له : إنَّ حُسْنَ الحيلة إنما يقعُ  
بغير إضرار يلحقُ صاحبها<sup>(٢)</sup> ؛ وإذا بلغنا بك هذا فقد جاوزنا بك  
ما تخافه من فيروزَ لو حصلت فى يده .

فقال : أنا مُذْ تكامل تمييزى أحسبُ مالى وعلى ، فاذا وهبت لى  
نعمةً علمتُ أنَّ علىَّ فيها محنةً ، وأنَّ الرغائبَ بالنواب ، وقد  
عشتُ فى سلطانك أيها الملكُ فى هذه السنِّ العاليةِ عزيزَ الجانب ،  
خصيبَ الأفنية ، وشملى فى نهاية من رفاغة العيش<sup>(٣)</sup> وليس من

(١) جزاهم خيراً : قال لهم جزيتم خيراً .

(٢) أنت الضمير العائد على حسن الحيلة باعتبار المضاف إليه .

(٣) رفاغة العيش : سعته وخصبه .

الجميل أن أمسك عن قضاء حق النعمة على لسلطاني وشملي وأهلي  
وولدي ، وصياتهم مما عداهم بنفسى . وأعلم أنى لو خدمت<sup>(١)</sup>  
السلامة لنفسى لمات ذكرى بموتى ، ولم أبق شرفاً لأهلى ، ولعل  
أجلى قريباً فأفوز بحسن الذكر فيما أتيتُه ، وقضيتُ به حقَّ سوالفِ  
الإِنعام على ، والإِحسانِ إلى . وإنما اعتمدتُ<sup>(٢)</sup> هذا الأمرَ الفطيعَ  
لأعدلَ بفكرِ فيروز عن الحيلة<sup>(٣)</sup> ، وأضطرَّه إلى السكونِ إلى .  
فلما رأى أنه لا يرجع عما أشار به عليه ، دعا به وقطع يديه ورجليه ،  
ونفاه إلى آخرِ مسالحه<sup>(٤)</sup> فكان محبوساً هناك .

وجدَ فيروز في سفره فوائى الموضع الذى فيه الوزيرُ فوجده خالياً  
ممن كان فيه ، ولم يربه غير رجلٍ مقطوع اليدين والرجلين ؛ فسأله  
عن حاله فقال : كنتُ وزيراً لهذا الخائن ؛ فاستشارنى فأشرتُ عليه  
ألا يناهضك ، وأن يسألك إقراره فى البلد ، وحمّل نَحراجه إليك ،  
فاستشاط وسوّلت له نفسه مُناوأتك . وقد جمع جيشاً له كثير العدد

(١) خدمت : يريد راعيت ولعلها محرفة عن قدمت

(٢) اعتمدت - : قصدت .

(٣) لأعدل بفكر الخ : لأبعد عن فكره أنى أحتال عليه للإيقاع به

(٤) مسالحه : جمع مسلحة ، وهى المكان من المملكة المحصن بالسلاح .



قَوَى النِكاية ، وَقَدَّرَ أَنْ يَلْقَاكَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ . وَعِنْدِي حِيلَةٌ أُجَاذِيهِ بِهَا عَلَى سُوءِ صَنِيْعِهِ .

وَاسْتَجَلَى فَيُرُوْزُ الوَازِرَ فَقَالَ لَهُ : إِنْ عَدَلْتَ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَتَجَشَّمْتَ قَطْعَ بَرِّيَّةٍ يُقِيمُ السَّائِرُ فِيهَا يَوْمِينَ ، تَحْتَاجُ إِلَى حَمْلِ المَاءِ إِلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْهَا ، ثُمَّ تُفْضِي إِلَى مِيَاهِ مَتَدَفِّقَةٍ . فَإِذَا قَطَعْتَهَا وَصَلْتَ إِلَى بَلَدِ الهَيَاطِلَةِ ، وَهُوَ وَجَمْعُهُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي آثَرَ سَلُوْكَهَا <sup>(١)</sup> ، فَتَدْخُلُ البَلَدَ بِغَيْرِ حَرْبٍ .

فَحَمَلْتَهُ الِاسْتِنَامَةَ إِلَيْهِ بِمَا رَأَاهُ بِهِ عَلَى تَصْدِيقِهِ ، وَحَجَّ <sup>(٢)</sup> فِي البَرِّيَّةِ بِجَمِيعِ جَيْشِهِ ( وَقَدْ كَانَ وَاطًا [ الوَازِرُ ] المَلِكِ عَلَى تَكْمِينِ جَمْعٍ لَهُ آخَرَ فِي البَرِّيَّةِ ) . فَسَارَ يَوْمَهُ وَبَعْضَ غَدِهِ فِي قَفَرٍ لَا يَوْجَدُ بِهِ مَاءٌ وَلَا تَبْتُ ، فَتَسَاقَطَتِ الدَّوَابُّ ، مِنَ العَطَشِ ، وَاقْتَرَقَ الجَيْشُ لَطَلِبِ الخِلَاصِ ، وَحَرَجَ عَلَيْهِ مَنَسْرٌ <sup>(٣)</sup> مِنْ جَيْشِ الهَيَاطِلَةِ ، فَأَبْرَأُوا عَلَيْهِمْ ، <sup>(٤)</sup>

(١) وَهُوَ وَجْمَعُهُ الخ: أَيْ بَيْنَمَا يَكُونُ هُوَ وَجْمَعُهُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنِ السَّيْرِ فِيهَا وَالَّتِي كُنْتَ تَرِيدُ سَلُوْكَهَا .

(٢) لَحَجَّ : دَخَلَ .

(٣) مَنَسْرٌ : قِطْعَةٌ مِنَ الجَيْشِ تَمُرُّ قَدَامَ الجَيْشِ الكَثِيرِ .

(٤) أَبْرَأُوا عَلَيْهِمْ : زَادُوا عَلَيْهِمْ وَفَاقَوْهُمْ فِي القُوَّةِ . وَفِي الأَصْلِ : فَانْتَرُوا عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وأخذوا فيروزَ أسيراً ، فنَّ عليه ملكُ الهياطلة بالإمساك عن قتله ،  
وجمع وجوهَ بلده ، وأضاف إليهم وجوهاً من عسكر فيروزَ ، واستحلفَ  
فيروزَ بمحضرتهم أنَّه لا يجاوزُ حجراً جعله فضلاً مُشتركا بينه وبينه .  
وأثبتَ المفارقة<sup>(١)</sup> في صحيفة بخط فيروزَ وأشهدَ عليه الجماعةُ ، وأطلقه  
على غاية من التبجيل والإكرام .

فدخلت فيروزَ نجمةً من رجوعه إلى مملكته بعد أسر ملك  
الهياطلة له وتعيره<sup>(٢)</sup> به ، وحدثته نفسه بمعاودة قتاله . فخرج إليه  
وسوّلت له نفسه أنَّه إن حمل الحجر حتى يدخل به بلد الهياطلة لم يحنث  
في يمينه . فحمله بين يديه وسار بجمع كثير ، وخرج إليه ملك الهياطلة  
فالتقيا في منتصف طريقهما ، فلما تراءى الجمعان انفرد ملك الهياطلة  
عن جمعه ، وسأل فيروزَ موازاته لسمع منه شيئاً . فبرز فيروزُ . فقال له :  
أنا وإياك في قبضة من حنثت في اليمين به ، وهو (عز وجل) يشكر

---

(١) وأثبت المفارقة : أى الاتفاق الذى فارق كل منهما صاحبه عليه .

(٢) فى الأصل : تمعيره ، ويمكن توجيهها بتكلف . يقال معرت وجهه إذا  
غيرته غيظاً .

للحسن إحسانه ، ويعاقبُ المسيءَ بإساءته ، وقد أنعمتُ عليك ،  
واحسنتُ إليك ، وأنا أخوفك الله وأحذرُكَ سَطَوَاتِهِ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ  
أَنَّ حَيَاءَكَ مِمَّا جَرَى عَلَيْكَ هُوَ الَّذِي رَدَّكَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
استحيائك من الله (عز وجل) أشدَّ من استحيائك من خلقه .  
وليس يُخْرِجُكَ مِنْ يَمِينِكَ حَمَلٌ هَذَا الْحَجَرَيْنِ يَدَيْكَ ، لِأَنَّ الْيَمِينَ  
تَكُونُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ لِأَعْلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلَفِ ، فَتَدْبِرُ قَوْلِي ، وَأَعْلَمُ  
أَنَّ مَنْ سَمِعَكَ <sup>(١)</sup> مِنْ أَصْحَابِي عَلَى غَايَةِ مِنَ الثِّقَةِ بِاللَّهِ فِي نَصْرِهِ ، وَمَنْ  
سَمِعَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى ذُعْمٍ مِنْ أَنْ تَهْلِكَ بِحَوْبِكَ <sup>(٢)</sup> فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ  
أَرْجِعُ عَنْ قِتَالِكَ .

فَأَمَرَ أَنْ تُرَكِّبَ الصَّحِيفَةَ عَلَى أَطْوَلِ رِمْحٍ فِي الْعَسْكَرِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ  
فَهَزَمَ جَيْشُ فَيْرُوزَ وَقْتَلِ فَيْرُوزُ فِي الْمَعْرَكَةِ <sup>(٣)</sup> .

\*  
\*

(١) من سمعك : أى وأنت تقسم اليمين .

(٢) الحوب : الاثم .

(٣) قالوا : إنه تردى مع بعض جماعته فى خندق حفره الهياطلة وغطوه

وسمعت أبا جعفر محمد بن هرثمة . يقول :

كان محمد بن عبد الملك الزيأت<sup>(١)</sup> يسعى على المتوكل في أيام الواثق<sup>(٢)</sup>  
ويحرضه عليه . فتغيرت عليه نيتُه حتى آذاه ذلك إلى حبسه عند محمد  
ابن عبد الملك .

فسمعت المتوكل يقول ( في اليوم الذي تقدم في إدخاله إلى التنوير  
الحديد ) : لم يئن أحدٌ بمثل ما منيتُ به من ابن الزيأت ! ضيق  
على محبسي ؛ ومنعني مما اقتضتني عادتِي . وكنتُ قد رببتُ وفرّة<sup>(٣)</sup>  
فلم يُطلق [ لي ] تنظيمها ؛ فكثرت الدوابُّ فيها . وتأذى ذلك إلى

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيأت  
وزير المعتصم . وكان جده أبان من قرية يقال لها الدسكرة يحلب الزيت من مواضعه  
إلى بغداد . واستوزر المعتصم ابن الزيأت بعد ما علم فضله وحزمه وبسط يده . وكان  
مع الكتابة شاعرا . ولما مات المعتصم وولى الواثق أقره على ما كان عليه . ثم لما  
ولى المتوكل كان في نفسه منه شيء ، وأغراه به أحمد بن أبي دواد فقبض عليه  
واستصفى أمواله ، ثم وضعه في التنور فمات ، وذلك سنة ٢٣٣ هجرية .

(٢) الواثق : هو هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق . بويع له بالخلافة يوم قبض  
أبوه . وأمه قراطيس أمة . وتوفي الواثق سنة ٢٣٣ هجرية وكانت خلافته خمس سنين  
وتسعة أشهر وأياما .

(٣) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

والدقى ؛ فكتبت إلى الواثق رُقعةً . فقال لمحمد بن عبد الملك :  
أطلق لجعفر طم<sup>(١)</sup> شعره ؛ وتنظيف ثوبه وتطيبه . فانصرف كالمغيظ  
وضرب الموكل بنى ؛ وقال : تركت محبس جعفر شارعا<sup>(٢)</sup> من الشوارع  
حتى سهل شكوى أمه ! ثم أمر بإخراجى نفرجت فوجدت أمارات  
الغضب فى وجهه . فوقفت ساعة لا يرفع فيها وجهه إلى .  
ثم قال : نطع<sup>(٣)</sup> . فأوهمنى أن الواثق أمر بضرب عنقى ، فبسط بين  
يديه : ثم أومأ إلى الغلمان بإدخالى فيه<sup>(٤)</sup> ولم أشك فى القتل ، ثم قال :  
الحجام . فقلت أظنه يخلع أضرامى قبل قتلى ، وأنا فى سائر هذا قائم ؛  
فلما وائى الحجام . قال آخلق شعره . فأجلسنى يحاق شعرى . فآليت  
على نفسى إتنى لا استبقيته لحظة إن ظفرت بالخلافة ، فمات محمد  
ابن عبد الملك بالتثور فى اليوم الثالث .

\*  
\*  
\*

(١) طم شعره : جز شعره .

(٢) شارعا : مسلوكا يدخله من يشاء ويخرج منه من يشاء .

(٣) نطع : بساط من الأديم كان يفرش لمن يراد قتله ليسقط عليه الدم .

(٤) بإدخالى فيه : يقصد وقوفى عليه أو جلوسى عليه . وهو تعبير غريب .

وحدثني نسيم "خادم أحمد بن طولون" قال :

صار إلى ابن سليمان بن ثابت . ( وكان سليمان<sup>(١)</sup> هذا يكتب لخادم يعرف بشقير<sup>(٢)</sup> يتقلد الطراز<sup>(٣)</sup> من خديم السلطان ، ثم عمل سليمان بعد ذلك لأحمد بن طولون على أملاكه ) ومعه رقعة . فقال توصلها لي إلى الأمير ، فقراءتها فكان يذكر فيها أن شقيراً أودع أباه أربعمائة ألف دينار . فلما قرأها الأمير قال : انظر ماتقول<sup>(٤)</sup> وأصدقني عنه . فقال الأمر والله على ما وصفته للا مير ! فقال : أمسك عن هذا ، وأطو مجيئك إلى عن أبيك وعن سائر الناس ، وانصرف مكلوئاً .

فقال : فكثير تعجبي من إمساكه عن ذكر هذا لأبيه ، فلم يمتض حول حتى مات سليمان بن ثابت ، فأظهر<sup>(٥)</sup> عمّا به وتفعجاً عليه . ثم دعا

(١) وكان سليمان : في الأصل وكان ابن سليمان وهو تحريف بالزيادة .

(٢) شقير : شقير هذا غير شقير الخادم صاحب البريد أيام ابن طولون الذي تأمر مع ابن مدبر على الوشاية للخليفة بابن طولون فأحضره ابن طولون لجلده فأخذه الزعر فمات في يومه .

(٣) الطراز : الثياب الجيدة وكانت لها إدارة لضبط ما يرد منها للسلطان وما يرسل منها إلى دار الخلافة وغيرها .

(٤) انظر ماتقول : أى تأمل جسامة التهمة التي تلقىها على أبيك .

(٥) فأظهر : أى أحمد بن طولون .

بأبنة الرافع للرُقعة ؛ فردَّ إليه ما كان بيد أبيه من أملاكه ، وضمَّ إليه من الرجال من تقوى به يده ؛ وأقام به<sup>(١)</sup> شهورا ، ثم دعاه ، وأنا قائم بين يديه ، فقال له : كيف حالك مع مخلّفى أبيك ؟ وهل أنكرت شيئا منهم ؟ فقال : قد أعزَّ الله جابى بالأمر ومنع منى .<sup>(٢)</sup> فقال له : احمل إلى الأربعمائة ألف التي عندكم لشُقير الخادم ، فلجلج<sup>(٣)</sup> . فردَّ أمره إلى أحمد بن إسماعيل بن عمار<sup>(٤)</sup> ، وأمره بمطالبتة بالسَّوط ، فضربه خمسين سوطا ، واصطفى<sup>(٥)</sup> ما كان له ، فلم يجد عنده بعض ما تقوله على أبيه ، وعاود مُطالبته فضربه مرّة أخرى فمات .

(١) وقام به شهورا : في سيرة ابن طولون للبلوى : وتركه شهرا .

(٢) منع منى : قواني وحصننى .

(٣) فلجلج : تردّد في الكلام ، وفي السيرة للبلوى : فتلجلج .

(٤) هو المعروف بسبع شعرات : قدم إلى أحمد بن طولون من الشام فقلده الأملاك وماخرج عن الخراج ، وصرف به الحسن بن سليمان بن ثابت . وكان أحمد بن إسماعيل قد أشار على ابن طولون بمشورة فلم يعمل بها فبسط لسانه فيه على جهة الإشفاق عليه ، وقال : ليس هو ممن تمرّن في الرياسة ، وفيه بلجاج لا يؤمن عليه منه . فبلغ ذلك ابن طولون فحبسه في المطبق حتى مات .

(٥) اصطفى : هنا بمعنى أخذ .

فقال لى : فعجبت من هلاكه بهذا المقدار<sup>(١)</sup> من الضرب . فأخبرت  
أن هذا المضروب كان يستزير الفرواسد من النساء فى وفور حاله ، فزارته  
أمرأة كانت ربيطة<sup>(٢)</sup> لجلاد بالسوط ، وعلم الجلاد بذلك فبكر إليه  
ووقف له ، حتى إذا خرج انكب على نَحْذِهِ وقبله<sup>(٣)</sup> . ثم قال : ياسيدى ؟  
قد أغناك الله بمسأتى<sup>(٤)</sup> بما بسطه من الرزق عليك ، وظاهره<sup>(٥)</sup>  
من الإحسان لديك ، وكانت مهجتي عندك البارحة ، فإن رأيت أن  
تهبها لى فلك منها عوض وليس لى عنها معدل ! فصاح فى وجهه  
وأمر بإبعاده . فلما شد بالعقابين<sup>(٦)</sup> تقدم الجلاد فضربه ضرب القتل  
فأتى على نفسه .

\*  
\* \*

(١) بهذا المقدار : أى اليسير .

(٢) ربيطة : الربيط الملازم ، والمراد كانت صاحبة للجلاد ملازمة .

(٣) نَحْذِهِ : المعروف أن الفخذ مؤنثة .

(٤) بمسأتى : الباء بمعنى عن .

(٥) وظاهره : قواه وكثره .

(٦) العقابان : خشبتان يشد بينهما الرجل ويضرب ويعذب .



وحدثني نسيم الخادم أيضًا :

أن أحمد بن طولون كان مدعورًا من خروج أبي عبد الرحمن العمري ،  
فوافاه الخبرُ بقتل غلغان أبي عبد الرحمن إياه ، وانتشار أمره <sup>(١)</sup> .

ثم صار إليه جماعة تُقاربُ العشرةَ ومعهم رأسٌ . فقالوا : نحن  
غلغانُ العمريُّ ، وهذا رأسه . فجمع الخاصَّ والعامَّ وأدخلهم  
إليه ، واستحضر قوماً استأمنوا إليه <sup>(٢)</sup> ، فسألهم عن الرأس .  
فأجمعوا على أنه رأس أبي عبد الرحمن ، وأن الغلغان من خاصته .

فقال أحمد بن طولون لهم : هل كان مُسيئًا إليكم ؟ قالوا : لا والله  
ولقد كان محسنًا إلينا ، ومُفضلاً علينا ! قال : فما حملكم على قتله ؟  
قالوا : طلبنا الحظوةَ عندك ، والمكانةَ منك . فقال : قتلتم مولاكم  
المحسنَ إليكم بالتطرف <sup>(٣)</sup> إلى المزيد !

(١) انتشار أمره : تفرق قوته .

(٢) استحضر قوماً الخ : في السيرة للبلوي : فداها بجماعة من أهل الصعيد ممن  
يعرف العمري .

(٣) التطرف : في الأصل أن ترضى المشاية أطراف النبات ، وأطلق على تجاوز  
الحد في الرأي أو العمل ، أي قتلتم سيديكم بسبب مجاوزة الحد في طلب المزيد ،  
وفي الأصل التطرب .

ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَشَقَّ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ <sup>(١)</sup> ، وَأَخَذَتْهُمُ السَّيَاطُ حَتَّى  
سَقَطُوا ، وَضُرِبُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالشَّادُوخِ <sup>(٢)</sup> حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا ، وَأَمَرَ  
بِدْفِنِ رَأْسِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

\*  
\*  
\*

وَسَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاضِي يُحَدِّثُ . قَالَ :  
كَانَتْ لِي بَوَاسِطَ حِصَّةٍ أُؤَدِّي عَنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ نَجْرًا .  
فَقَدِمَ عَلَيْنَا عَامِلٌ قَدْ جُمِعَ <sup>(٣)</sup> مِنَ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ التَّسْلُطِ ، وَفِظَاطَةِ  
الطَّبِيعِ . فَبَجَعَ الْمُعَامِلِينَ بِأَسْرِهِمْ عَلَى التَّحْيِيلِ لَهُ بِمَا لَا يُوصِلُ إِلَيْهِ <sup>(٤)</sup> ،  
مِنْ أَمْلَاكِهِمْ ، وَلَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِمْ . فَضَرَبَ قَوْمًا ، وَأَسْتَخَفَّ

---

(١) فشق عن جماعتهم ، أى فشقت الثياب عنهم ، وهو تعبير مألوف  
في هذا العهد .

(٢) الشادوخ : يظهر أنه اسم آلة للضرب والتعذيب ، والشدخ : الكسر .

(٣) جمع : كُتُونٌ وَخَلِيقٌ .

(٤) على التحيل له الخ : أى على الاحتيال على مرضاته بإعطائه الأشياء  
والأموال التي كانت لا يستطاع الوصول إليها .

بآخرين . فقال له رجل ممن حضر : إن رأيت أن تؤخرني إلى نصف  
النهار ! فقال له : لعلك ممن يقول إن من عمود إلى عمود فرجاً !  
فقال له الرجل : أنا والله أعتقد أن من لحظة إلى لحظة فرجاً يُرجى  
من الله . فتضحك من كلامه .

فوالله ما مضت ساعة حتى دخلت إلينا في الموضع الذي كان فيه  
رَعْلَةٌ<sup>(١)</sup> من الخوارج<sup>(٢)</sup> وهي تقول : السُّلَيْطِينَ السُّلَيْطِينَ<sup>(٣)</sup> !  
فقطعتنه بأسياها وحرَّجَتْ ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئاً  
لأحد . فعلبت أنهم عقوبةً اعتمدته<sup>(٤)</sup> .

\*  
\*  
\*

---

(١) رَعْلَةٌ : قطعة من الخيل .

(٢) الخوارج ؛ جمع خارج أو خارجي ، وهم جماعة خرجوا على نظم الحكومة  
في الإسلام فلا يوافقون على حكومة حاكم أو خلافة إمام . وقد كانوا يطلقون  
في هذا العهد اسم الخوارج أيضاً على القرامطة ، الذين ظهرُوا بسواد الكوفة  
سنة ٢٧٨ ، واشتد أمرهم سنة ٢٩٠ ، واستمرت شرورهم إلى نحو سنة ٣٢٠

(٣) السُّلَيْطِينَ : التصغير للتحقير .

(٤) اعتمدته : قصدهه .

وحدثني عمر بن يزيد البرقي ( وكان جميل المذهب <sup>(١)</sup> ) . قال :  
حضرت مصدقا <sup>(٢)</sup> شديد الاستحلال ، بعيداً من الرافة ،  
وهو جالس على رابية وبين يديه حواء <sup>(٣)</sup> يحتاز به ما يحصل له  
من الإبل .

قال : فعرضت نعم رجل حسن الطريقة ، متعالم <sup>(٤)</sup> بعفاف  
الطعمة . فتخير <sup>(٥)</sup> عليه المصدق ما احتازه من إبله ، وأستعمل من  
سوء التحكم عليه ما لا يصبر عليه غيره ، فأمسك <sup>(٦)</sup> . ثم نظر بعد

---

(١) وكان جميل المذهب : متدينا حسن العقيدة .

(٢) مصدقا : المصدق جامع الصدقات ( الزكاة ) .

(٣) حواء : الحواء : المكان الذي يحوى الأشياء .

(٤) متعالم : تعالم الناس الخبر : علموه .

(٥) فتخير عليه : تخير : انتقى واختار ، و " عليه " هنا تفيد التسلط والغلبة ، أى

اختار على الرغم منه .

(٦) فأمسك : أى لم يتكلم ولم يبد اعتراضاً .

أنفصال ما بينهما إلى فصيل سمين كان في إبله . فقال لغلمانه :  
خذوا هذا الفصيل حتى يصلح لنا غداءً . فقال صاحب الإبل  
له : قد أخذت زيادةً على حقك ، فما هذا ؟

قال : لا بد لي من أخذه . قال : فأتى لا أسليه . فأمر<sup>(١)</sup> يوجئ  
عنقه ، وأخذت مقادته من يده<sup>(٢)</sup> ، فصاح بأعلى صوته : " كل  
هذا بعينك يا جبار<sup>(٣)</sup> " ! خلف لي عمرانه جاء من الحواء فحل  
ونرج منه وهو يرغو ؛ فأخذ بعضده ولم يزل يضرب به الأرض  
حتى قتله ، وأنصرف الرجل بفصيله .

\*  
\* \*

---

(١) وجأ عنقه : ضربه بالسكين .

(٢) أخذت مقادته : أى أخذ زمام الفصيل من يد صاحبه .

(٣) كل هذا الخ : الخطاب لله عز وجل والمعنى أيصنع كل هذا جهاراً يارب  
وأنت الجبار المتقم فلا تعاقب عليه ؟

وفيا أخبر به الهيثم بن عدي<sup>(١)</sup> قال :

كان عدي بن زيد<sup>(٢)</sup> قد تقدم عند كسرى أبرويز<sup>(٣)</sup> في ترجمة  
العربي إلى الفارسي . وكان رجلاً جاراً<sup>(٤)</sup> للنعمان بن المنذر<sup>(٥)</sup> ، فرام  
منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى ، فأمتنع من ذلك ولم يرخص  
بهذه السجية ، فتركه النعمان حتى أطمأن إليه ثم سأله أن يزوره .

---

(١) هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الكوفي ، كان مؤرخاً عالماً  
بالأدب والأنساب ، ومن كتبه " خطط الكوفة " و " ولاية الكوفة " و " طبقات  
الفقهاء والمحدثين " توفي بقم الصلح سنة ٢٠٧ هـ ( الأعلام جزء ٣ )

(٢) هو عدي بن زيد بن حماد التيمي : نشأ بالحيرة ، وكان يحسن العربية  
والفارسية ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى وقد اتصل بالنعمان  
ابن المنذر وصاهره ، ثم وثى به إلى النعمان فسجنه وقتله في مجننه ( الأعلام جزء ٢ )  
(٣) هو ابن هرم بن أنوشروان ملك الفرس حكم نحو ثمان وثلاثين سنة  
ومات في نحو السادسة من الهجرة .

(٤) وكان رجلاً جاراً : أي وكان عدي ، قبل اتصاله بكسرى ، جاراً للنعمان  
أي في كنفه وتحت رعايته .

(٥) هو النعمان بن المنذر بن امرئ القيس النخعي من أشهر ملوك الحيرة  
في الجاهلية ، وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي ، ملك الحيرة  
إرثاً عن أبيه سنة ٥٨٥ م تقريباً وأقزاه كسرى فاستمر نيافاً وعشرين عاماً ونقم عليه  
كسرى أبرويز أمراً فعزله وسجنه إلى أن مات سنة ٨ قبل الهجرة تقريباً ( الأعلام جزء ٣ )

فكلم كسرى وسأله أن يأذن له في زيارته شهراً واحداً، ونصب عدى  
أبنة مكانه. (وكان حلو الشاهد، مضطرباً بما يسند إليه) فأذن له،  
فلما حصل في يد النعمان قتله، وكتب إلى أبنة يخبره بأنه مات حتف  
أنفه، وأنه على غاية من الأسى عليه. وتأدى خبر عدى إلى أبنة  
على الصحة، فلم يحرق<sup>(١)</sup> فيه. وأقام يتتبع غوائله<sup>(٢)</sup> ويعمل الحيلة  
في اقتراض وتره<sup>(٣)</sup>.

بحرى في يوم من الأيام ذكر الجوارى بين كسرى وبين ابن عدى،  
وكان أبرويز مستهتراً بهن<sup>(٤)</sup>. فقال ابن عدى: أحسن النساء حرقه  
بنت النعمان. فكتب أبرويز إلى النعمان كتاباً يأمره فيه بحمل حرقه  
ابنته إليه. فعظم هذا على النعمان، وكتب إليه كتاباً يذكر فيه قسف  
تربية العرب لأولادها<sup>(٥)</sup>، وتقصيرهم ببداذة الهيئة<sup>(٦)</sup>، ووسخ

(١) فلم يحرق فيه: حرق من بابي فرح وكرم: حمق وطاش، والاسم الحرق  
(بالضم) أو الحرق (بالتحريك).

(٢) يتتبع غوائله: يتربص ما يمكن أن ينزل به من الدواهي.

(٣) اقتراض وتره: الوتر: النار، والاقتراض: انتهاز الفرصة.

(٤) مستهتراً بهن: المستهتر بالشئ المولع به لا يبالي ما يفعل ولا يأبه ما يقال.

(٥) قسف: القسف سوء الحال.

(٦) بداذة الهيئة: رئاتها.

المِهْنَةَ، وَأَنَّ فِي عَيْنِ<sup>(١)</sup> الْعِرَاقِ عَوْضًا مِنْهُمْ. وَأَنْفَذَ الْكُتَّابَ إِلَى كَسْرَى.  
فَأَمَرَ كَسْرَى ابْنَ عَدِيٍّ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَيْهِ ؛ فَأَمَرَهُ عَلَى طَرْفِهِ ثُمَّ أَلْقَاهُ  
وَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبِينِهِ . وَقَالَ : ” ابْنَتِي لَا تَصْلُحُ لَكَ . . . . .  
. . . . . ” فَغَضِبَ كَسْرَى وَأَنْفَذَ رُسُلًا إِلَيْهِ فَأُشْخِصَ  
فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ مَقَرِّ كَسْرَى أَنْجَحَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ جَارِيَةً بِالْحُلِيِّ وَفَاحِرِ  
الْكُسُوفِ وَأَذِنَ لَهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ : ” يَا كَلْبُ ! . . . . .  
. . . . . ” وَأَمَرَ بِشَدِّ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ؛ وَأَلْقَاهُ فِي الْأَرْضِ ؛  
وَأَطْلَقَ الْفِيلَةَ عَلَيْهِ فَوَطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ تَحْتَ قَوَائِمِهَا .

\* \* \*

وَفِيمَا جَاءَ بِهِ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ<sup>(٢)</sup> . قَالَ : اجْتَازَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ  
الْمَدِينَةِ بِمَرِيضٍ مُلْتَقٍ عَلَى كُنَاسَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ<sup>(٣)</sup>

(١) عَيْن : جَمْعُ عَيْنَاءٍ ، وَالْفِعْلُ عَيْنَ كَفَرَحَ عَيْنَا (بِالتَّحْرِيكِ) وَهُوَ اتِّسَاعُ الْعَيْنِ  
مَعَ اشْتِدَادِ سَوَادِهَا . وَيُرِيدُ بَعَيْنَ الْعِرَاقِ نِسَاءَهُ الْجَمِيلَاتِ الْوَاسِعَاتِ الْعَيُونَ .

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ الْمَكِّيُّ مِنْ أَحْفَادِ الزُّبَيْرِ  
ابْنِ الْعَوَامِ . كَانَ عَالِمًا بِالْأَنْسَابِ وَأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَقَدْ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ وَتَوَلَّى قَضَاءَ  
مَكَّةَ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٦ هَجْرِيَّةً ( الْأَعْلَامُ جِزء ١ )

(٣) الْأَوْلِيَاءُ : يُرِيدُ أَوْلِيَاءَ الْأُمُورِ أَيْ عَمَّالِ الْوَالِي . وَهَذَا التَّعْبِيرُ مَا لَوْفَ فِي هَذَا  
العهد .



اختلفت حاله<sup>(١)</sup> ومرض ولا قيم عليه<sup>(٢)</sup> وتبرم به رفقاؤه فأخرجوه من منزلهم ، وهو ملقى في الطريق . فأمر الشريف بحمله إلى منزله وتقدم إلى ابنة عمه في حسن القيام عليه بحشمها ، وأن ترفه عيشه إلى أن تنقضى عنته ، فابتدره كل من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته ، وصار في منزلهم كأحدهم ، وقفل إلى دمشق . فلما كان في الوقت الذي توجه جيش يزيد<sup>(٣)</sup> للحرة<sup>(٤)</sup> وافي فوقف على باب دارهم ، فظنوا به أنه وافي لحمايتهم ، وحسن المدافعة عنهم ليقضيهم سوائفهم لديه ، فدخل الدار ومعه ثلاثة غلمان . فلما تمكن منها أخذوا في جمع الأثاث ، فقال لهم الشريف : ما هذا؟ فقال : إني استوهبت دارك بما فيها من الأمير ووهبها لي ، وكنت

(١) اختلفت حاله : الجملة نعت لكلمة رجل السابقة .

(٢) ولا قيم عليه : ليس له من يدبر شئونه أو يشرف عليه .

(٣) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، ثاني خلفاء الدولة الأموية ، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٠ وفي زمنه قتل الحسين وفتح المغرب الأقصى ، توفي بجوارين (من أرض حمص) سنة ٥٦٤ (الأعلام جزء ٣)

(٤) الحرة : أرض بظاهر المدينة وبها كانت وقعة الحرة في ذي الحجة سنة ثلاث وستين حين أمر يزيد عسكره من أهل الشام ، بعد التغلب على أهل المدينة ، بنهبها والتنكيل بأهلها .

أحقَّ الناسِ بها ، إذ كانت الأحوالُ بيني وبينكم وكيدةً ، فقال له الشريف : رجعت يا ابن الخنساء<sup>(١)</sup> إلى لئومِ أصلك ، وفسادِ مَرَبِّك !<sup>(٢)</sup> ثم علاه بسيفه ، وفرَّ الغلمانُ ، وهدأتْ وَقْدَةُ الفِتنَةِ ، وطَلَّ<sup>(٣)</sup> دمه .

\*  
\*

وحدثني نافعُ بنُ مَصْقَلَةَ الخِمْصِيُّ قال : سمعتُ أبي يقول : رأيتُ مشايخنا مجتمعين على أمرٍ لحقه أسلافُهم :

أنَّهُ كان يسكنُ بِمَحْصَ شابُّ من أهلِ العِراقِ حَسَنُ الصُّورةِ ، لَبِنُ العَريكةِ ، فأقامَ معهم مَدَّةً ، ثم صار الأمرُ بعد ذلك إلى بني العباسِ ، فتقلدَ ذلك الفَتَى حِمَصَ ، وكان مَوْلَى من مَوالِي أبي العباسِ . فلما دخلها قَصَدَ إلى دارِ رَئيسِ كان بها من أصحابِ بني أمية فَدَبَّجَه فيها وجماعةً من غلمانِهِ . ثم نَجَرَ فأحسنَ السيرةَ ، وألانَ الجانِبَ . فقيل له : ليس يُشِبُّهُ ما أنت عليه ما فرطَ منك إلى الرجلِ الذي ذبَحْتَهُ وَكَمَلَهُ ! فقال : اسمعوا مني ما جرى على عَلِيِّهِ<sup>(٤)</sup> : اجتزْتُ به ، وقد نَطَّقْتُ أثواباً

(١) ابن الخنساء : لثيم الأم .

(٢) فساد مَرَبِّك : كناية عن فساد الطرق وسوء الوسائل .

(٣) طَلَّ دمه : ذهب هدرا بلا مطالب .

(٤) على عليته : كما هو بماله وما طليه . وفي الأصل ملنة .

لا أملك غيرها ، وقد دُعيتُ إلى أمرٍ لا يسعني التأخر عنه ، أحتاجُ  
فيه إلى حُسنِ الهَيئَةِ وإظهارِ التَّجَمُّلِ ، ومعى رسولٌ من أسْتَحْضَرْنِي .  
وهو قاعدٌ على الباب ، فرائتُ دابَّتِي بحيثُ تَقَعُ عَيْنُهُ (١) من رَحْبَةِ  
مِبْلَطَةِ لِدَارِهِ ، فَأَمَّصَنِي (٢) وَأَمَرَ الْغُلَّامَانَ بِتَرْجِيلِي وَضَرْبِي ، فَرَكِبْتَنِي أَيْدِيهِمْ .  
ثُمَّ حَلَفَ أَلَا أُبْرَحَ حَتَّى أَكُنْسَ رَوْثَ دَابَّتِي بِيَدَيَّ فِي كَمِّي (٣) وَأَحْمِلَهُ  
فِي ثَوْبِي وَجِرْيِي ، وَأَخَذْتُ بِفُرُزْتُ إِلَى ذَلِكَ . وَلَمْ تَزَلْ حَاشِيَتُهُ  
تَضْحَكُ مِمَّا نَزَلَ بِي .

فَخَدَنْتُ مَوْلَايَ فَاسْتَحَلَفْنِي بِحَقِّهِ عَلَى غَلِيظٍ مَا أَتَيْتُهُ إِلَيْهِ (٤) .

\*  
\*  
\*

(١) بحيثُ تَقَعُ عَيْنُهُ الخ : أى إن الدابة راثت في مكان تقع عليه عينه حين  
يكون أمام الباب جالسا في رجة مبلطة . وفي الأصل : تقع عليه ، وهو تحريف .

(٢) أمصه : قال له يامصان وهو شتم قبيح ، ومن معاني المصان : اللثيم الذى  
يمصّ ضرع الناقة أو نحوها حتى لا يقع شيء من اللبن عند الحلب .

(٣) في كمي : أى دون أن أرفع كمي لتجنب القدر .

(٤) فاستحلفني الخ : أى جعلني أحلف على أن أنتقم منه الانتقام الشديد الذى

أوقعته به .

ومما قرأته من سير العجم :

أن جماعة المنجمين حكموا لبعض الأكارسة أن ابنه يقتله ويتولى ملكه . فعمد كسرى إلى سُموم وحيّة<sup>(١)</sup> فجعلها في قوارير وختمها وكتب عليها : دواء ... الشربة مثقال . وكانت وزنة قيراط تقتل من تلك السُموم . وقال : إن كان الأمر كما حكاه المنجمون فساخذ بطائلي<sup>(٢)</sup> منه ، فعدا عليه ولده وقتله ... ورأى تلك القوارير فشرّب مثقالاً فمات .

\* \*

وحدثني أحمد بن أبي يعقوب ، قال حدثني أبي عن جدّي واضح قال : سمعت خالد بن سَهْمٍ يحدث المنصور ، وكان هذا الرجل خاصاً بمروان بن محمد الجعدي<sup>(٣)</sup> . فطلب منه مروان جارية له كان يحبها .

(١) وحيّة : صريعة التاثير .

(٢) بطائلي : بناوى .

(٣) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر خلفاء بني أمية ، تولى الخلافة سنة ١٢٧ هجرية ، وفي أيامه قويت الدعوة الدباسية وزحف جيش قطبة بن شيب الطائي يريد الإغارة على الشام ، فنازله مروان بعسكره بالقرب من الموصل فهزم مروان وفر ، وانتهى إلى بوسير ( من أعمال مصر ) فقتل فيها سنة ١٣٢ هجرية ( الأعلام ج ٣ ) .

وتجرّم<sup>(١)</sup> عليه فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذا رأيٍ ونجدةٍ ،  
فلما استفحل أمرُ أبي مسلمٍ وكسر عساكر مروان أخرجه من الحبس  
ووعده جميلاً .

قال خالد : كان مروانُ يضحك من ذوى المسودة<sup>(٢)</sup> ويقول :  
لو أسرناهم ما بلغنا بهم ما بلغوا بأنفسهم من التشوية والشهرة . فلما  
أضطرُّوا إلى مكائفتهم وواقعهم ، رأيتُه قد تهيَّبَ معاركهم فقال لى :  
يا أبا يزيد ! ( وما تكاني قبل ذلك اليوم ) إني قد ارتعتُ ، فهل  
ذلك بيني فيَّ ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ! وكنتُ أداجنه<sup>(٣)</sup> ويسرني حوولُ  
أمره . فقال ؛ ما أجد قلبي يطيق مواقعتهم . فقلتُ : إن كان  
هذا فتحصن منهم بالانزمام ، فإن خيلك أنجى<sup>(٤)</sup> من خيلهم .

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم ولم يجرم .

(٢) المسودة : العباسيون لأن السواد كان لبامهم وشعارهم .

(٣) أداجنه : أداهنه وأظهر له غير ما أبطن .

(٤) أنجى : أسرع .

فانهزم وتوقف أصحابُ أبي مُسلمٍ عن طلبه. فلما بلغ إلى سواده<sup>(١)</sup>  
قال لي : قد عزمْتُ على الدخول إلى بلد الروم (وكان من أصوب  
تدبير له) فنفسْتُ عليه بالرأى<sup>(٢)</sup>، واستعملتُ مغالطته فقلت : تدخلُ  
بأحداثٍ من ولدِكَ وشمكٍ مستجيرين بكافرٍ قد أمنَ سربه<sup>(٣)</sup> ،  
واستقام أمره ! ولعلَّ ولدك يروقهم ما يرونه في مملكته فيحملهم  
ذلك على التنصر، ولأنَّ تَمَادَى<sup>(٤)</sup> في مَسِيرِكَ حَتَّى تَدْخُلَ مِصْرَ فَتَجِدَ  
فيها الرجالَ والسُّكْرَاعَ والمالَ ، وتَمَلِّكَ بها اختيَارَكَ [خيرُك<sup>(٥)</sup>] .  
فركَنَ إلى قولي فِسرنا ، فلما دخلنا مِصْرَ نَحَرَجَ إلى صَعِيدِهَا واستأمنتُ  
إلى عامِرٍ ، لحالٍ كانت بيني وبينه ، وقتل ببوصير الأشمونين .

\*  
\* \*

---

(١) السواد : مجتمع العسكر .

(٢) نفست عليه بالرأى : المعروف نفست عليه الشيء : لم أره أهلاً له .

(٣) سربه : نفسه .

(٤) تَمَادَى : تَمَادَى .

(٥) خيرك : زيدت ليستقيم الكلام .

ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر متقلداً بها عمل المعونة<sup>(١)</sup> أهدى  
إليه أحمد بن محمد بن مدبر من دق<sup>(٢)</sup> مصر ودوابها والرقيق المحلوب إليها  
ما مقداره عشرة آلاف دينار . فرد ذلك عليه ، وذكر أنه لا حاجة  
له بشيء منه . فنقل ذلك على ابن مدبر . وقال : ما ينبغي أن يثق  
السلطان<sup>(٣)</sup> بمن لم يكن لعشرة آلاف دينار في عينه قدر على طرف  
من أطراف مملكته .

ولما مضت أيام بعث<sup>(٤)</sup> إليه : قد كنت أنفذت إلى  
طائفة من برك فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها . وقد

---

(١) عمل المعونة : يراد به معونة الخليفة في حكم مصر ، وذلك أنه لما تولى  
المعتز بالله وقتل المستعين قلد المعتز بالله باجك ولاية مصر على أن يلتمس من يخلفه  
عليها ، فقبل له إن أحمد بن طولون هو الثقة الأمين فقلده خلافة وضم إليه الجيش .  
ورحل ابن طولون إلى مصر يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٢٥٤  
مقلداً للقبصة دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها مثل الاسكندرية وغيرها .

(٢) الدق : الدقيق ، ويراد به كل بديع الصنعة محكمها .

(٣) السلطان : الخليفة .

(٤) بعث إليه : أي بعث أحمد بن طولون إلى ابن مدبر .

بلغنى أن عندك مائة رجلٍ من مَوْلدى الغور<sup>(١)</sup> وبنى إليهم أمس حاجة . قال ابن المدبر : قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى !  
يُرْدُّ الأَعْرَاضَ والأَمْوَالَ وَيَسْتَهْدِي الرِّجَالَ .

وكان حسين بن شعرة<sup>(٢)</sup> مضحك المتوكل على الله<sup>(٣)</sup> قد أنضوى<sup>(٤)</sup> إليه فحَمَى به ضياعه وأملاكه . ووقف على استئصال ابن مدبر لأحمد ابن طولون ، وأخرج حكايته في تزمته وكلامه<sup>(٥)</sup> فيضحك ابن مدبر ومن حضره . فاتصل ذلك بابن طولون فأحضره ثم قال له : بلغنى أنك تتنادر<sup>(٦)</sup>

(١) الغور : جبال وولاية بين هرات وغزنة ، وهى بلاد واسعة موحشة .  
وفى سيرة أحمد بن طولون للبلوى فى وصف مجيئه إلى مصر : ونظر ابن طولون بين يدي أحمد بن مدبر مائة غلام من مولدى الغور قد انتخبهم وجعلهم عدة وجمالا وكان لهم خلق حسن وطول أجسام وبأس يعرفون به شديد .

(٢) سماه البلوى الحسن بن شعرة .

(٣) فى البلوى . وكان يعنى أيضا .

(٤) انضوى . انضم .

(٥) وأخرج حكايته الخ ، التزمت : الوقار ، أى وأخرج التشبه به ومحركاته فى مبالغته فى وقاره وتصنعه فى كلامه مخرج الهزء والسخرية .

(٦) تتنادر بى : تسوق النوادر للسخرية منى ، وتعمل على أن يتفكك الناس بالضحك على . وكثيرا ما يستعمل الأدباء هذا الفعل وهو ليس فى المهجمات بهذا المعنى ، والذي فى التاج : فلان يتنادر علينا أى يأتينا أحيانا .



بي، ولك في الناس مندوحةٌ فاحذرني، فأنك إن وقعت لم ينفعك ابن المدبر  
ولا غيره . فحمد هذا واعتذر إليه منه . ثم أنصرف إلى ابن المدبر  
وقال : ياسيّدني ! لو شاهدت أحمد بن طولون يؤنّبني ! فقال :  
ما قال لك ؟ قال : اضبر حتى أريك حكاية صورته ومعاتبته . ثم  
تلبس <sup>(١)</sup> وجلس يحكيه ويقتص <sup>(٢)</sup> ما لقيه به . ثم اتصل ذلك  
بأحمد بن طولون فأمسك عنه وتبع غوائله <sup>(٣)</sup> .

واضطربت الرعية لنزاع السعير <sup>(٤)</sup> ، وقد بلغ ثلاثة أراذب حنطة بدينار .  
فركب <sup>(٥)</sup> وتقدم بعقوبة القماحين ، وازدحمّت النظارة من السطوح  
عليه . فوقع مَرَكْنٌ <sup>(٦)</sup> فيه رِيحَانٌ إلى الأرض بمزاحمة من

---

<sup>(١)</sup> تلبس : تلبس بالثوب اختلط به ، والمراد الثف بثبابه على هيئة تشبه هيئة  
ابن طولون . وفي السيرة للبلوي : فلما عاد إلى ابن مدبر دخل خزانة الكسوة ولبس  
منها مثل ما كان على أحمد بن طولون .

<sup>(٢)</sup> يقتص : يقصّ ، ففي التاج : اقتص الحديث : رواه على وجهه .

<sup>(٣)</sup> تبع غوائله . ترقب ما يتزله به من الدواهي .

<sup>(٤)</sup> نزاع السعير : ارتفاعه .

<sup>(٥)</sup> فركب : أي ابن طولون .

<sup>(٦)</sup> مَرَكْنٌ : آنية كبيرة كالإجانة تغسل فيها الثياب وترزع بها الرياحين .

تَشَوَّفَ إِلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ . فَسَحَّ كَفَلَ دَابَّةً <sup>(١)</sup> أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ .  
فَسَأَلَ عَنِ الدَّارِ : لِمَنْ هِيَ ؟ فَقَالُوا لِحُسَيْنِ بْنِ شَعْرَةَ ! فَأَخْضَرَهُ  
وَضْرَبَهُ ثَلَاثَةَ سَوَاطِئَ <sup>(٢)</sup> ، وَطَافَ بِهِ <sup>(٣)</sup> . وَكَانَ مَا أَوْقَعَهُ بِهِ مِنْ أَجْلِ  
مُتَقَدِّمِ سَوَالِفِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُفْلِحِ الْحُسَيْنُ بْنُ شَعْرَةَ بَعْدَهَا .

وَزَادَ أَمْرُ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ فِي الْقُوَّةِ وَزِيَادَةَ الْمَالِ وَوُفُورَ الْكِفَايَةِ حَتَّى  
تَهَيَّبَهُ ابْنُ مَدْبَرٍ ، فَخَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الطَّرْسُوسِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ  
يَقُولُ لَهُ <sup>(٤)</sup> : يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أَسْتَدُّكَ اللَّهُ إِنْ تَعَرَّضْتَ <sup>(٥)</sup> لِي ، وَلَا تَرَسَمْتَ  
عِدَاوَتِي <sup>(٦)</sup> ، فَقَدْ آجَهَدْتُ فِي اسْتِصْلَاحِكَ فَلَمْ أَصِلْ إِلَى ذَلِكَ .

---

(١) فسح الخ : في السيرة للبلوي : فوثب الفرس وتتره من سرجه ولولا ثبوته  
في ظهره لرماه على الأرض .

(٢) ثلاثه : في السيرة للبلوي : نحساة .

(٣) وطاف به : أي أمر بأن يطاف به في الأسواق تشهيراً له .

(٤) له : لابن مدبر .

(٥) إن : ما .

(٦) ترسمت عداوتي : رسم الأثر اقتفاه وتبعه ، وفي الأصل : بعداوتي .

فقال له ابن مدبّر : والله ما أُرِدُّ أَمْرَكَ فيما أتقلّده ، وإني فيه كالمقيم  
من قبلك ، فأى شيء أنكرت عليّ حتى أتجنّبه ؟ فقال : أنكر عليك  
المكاتبة إلى الحضرة <sup>(١)</sup> وقد قلّد <sup>(٢)</sup> بك البغي . فحلف له ابن المدبّر  
أنه لا يكتب إلا بشكره . وصرف ابن المدبّر عن مضر بأبي أيوب  
ابن أخت أبي الوزير ، فلما أجمع <sup>(٣)</sup> الشخوص عنها ، قال له أحمد  
ابن طولون : يا أبا الحسن ! لو أردت بك سوء القدرت عليه ،  
وأحتاج إلى أن تجدد تلك اليمين ، فحلف له بالمخرجات إنّه لا يالو  
حرصاً في تزيين آثاره ، وتطبيب أخباره ، وأشهد عليه الله بذلك ، وخرج  
عن مضر متقلداً للشام ، فأقام مع ماجور <sup>(٤)</sup> .

فحدثني نعت مولاة أحمد بن طولون وأم ثلاث بنات كن له ،  
فقال : كنت عند مولاى بائنة فسمعتة يحلم في نومه ، فخفت أن

(١) الحضرة : دار الخلافة .

(٢) قلّد بك : جمع بك .

(٣) أجمع : عزم على .

(٤) ماجور : المشهور أما جور التركي وكان متقلدا أعمال الشام .

أَنبَههُ فِينَكَرَ عَلَيَّ هَذَا ، فَانْتَبَهَ وَجَلَسَ وَمَسَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : ” خَيْرٌ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ “ ، فَسَأَلْتُهُ عَمَّا رَأَى ، فَقَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ مَدْبَرٍ قَائِمًا  
فِي وَسَطِ بَرِّيَّةٍ ، وَمَعَهُ قَوْسٌ مَوْتَرَةٌ وَسِهَامٌ ، وَأَنَا تَجَاهَهُ قَائِمٌ ، وَمَعِيَ  
جَمِيعُ السِّلَاحِ إِلَّا الْقَوْسَ ، وَبَيْنَنَا نَهْرٌ ، فَكَأَنَّهُ يُسَدُّ السَّهْمَ نَحْوِي  
وَيَرِمِي فَأَخْطَأَنِي ، وَكَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ : لَوْ رَمَاكَ يَوْمَهُ كَلَّهَ لَمَا أَصَابَكَ  
بِهِ لِأَنَّهُ عَاهَدَكَ ، وَمَا يُضِرُّ هَذَا الْفِعْلُ غَيْرَ نَفْسِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ أَشْتَدُّ  
عَلَى أَنَّهُمَا كَهْ فِي الرَّمِي لِي ، وَلَيْسَ فِي يَدِي غَيْرُ سَيْفٍ وَشَرِيخٍ وَمَا  
أَشْبَهُهُمَا ، لَا تَعْمَلُ فِي الْبُعْدِ . وَقَدْ حَالَ النَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعُبُورِ إِلَيْهِ .  
فَأَنَا عَلَى هَذَا ، حَتَّى نَضَبَ النَّهْرُ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ قَطْرَةٌ ، فَعَبَّرْتُ إِلَيْهِ ، فَكَأَنِّي  
كَلَّمَا كُنْتُ قُرْبَتْ مِنْهُ يَصْغُرُ حَتَّى صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ تُوَارِيهِ الْكَفُّ ،  
فَأَخَذْتُهُ بِيَدِي أَسْتَطْرِفُهُ<sup>(٢)</sup> ثُمَّ أَلْقَيْتُهُ مِنْ قَامَتِي عَلَى رَأْسِهِ فَمَاتَ . فَتَأَوَّلْتُ  
سِهَامَهُ الْمَكَاتِبَةَ فِي وَالتَّحْرِيطِ عَلَيَّ ، وَالنَّهْرَ الَّذِي مَنَعَنِي مِنْهُ مَقَامَ مَا جَوَرَ  
بِدِمَشْقَ ، وَنَضُوبَهُ مَوْتَ مَا جَوَرَ ، وَصَغْرَةَ قَدْرَتِي عَلَيْهِ ، وَاحْتِيَازَهُ

(١) شَرِيخٌ : الشَّرِيخُ النَّصْلُ لَمْ يَرْكَبْ عَلَيْهِ قَائِمُهُ .

(٢) اسْتَطْرِفُهُ : أَجَدَهُ غَرِيْبًا طَرِيْفًا .

في كفى قبضي عليه ، وقول القائل في السهام إنها تُحطُّك أن الله  
لا يعينه على<sup>(١)</sup> .

فحدثت هذا الحديث سعداً الفرغاني غلام أحمد بن طولون فقال لي :  
ما سمعت بهذا إلا منك . والذي عندي من خبره مطابق لهذه الرؤيا .  
وذلك أن الحسن بن مخلد<sup>(٢)</sup> برم<sup>(٣)</sup> بكيد الكتاب وانتقاض الأولياء<sup>(٤)</sup> ،

(١) كان ابن طولون يؤمن بصدق رؤياه . حكى القاضي التنوخي أن محمد بن  
سليمان قال : نزلت إلى مصر وأنا في زى صغار الأتباع ، فاتصلت بلؤلؤ الطولوني  
فأجرى على دينارين في كل شهر وصيرني مشرفاً في إصطبله ، فلما كان في بعض  
الأيام أحضرني وقال : ويحك من أين يعرفك الأمير ؟ يعني أحمد بن طولون .  
فقلت : والله ما رأني قط . فقال دعاني الساعة فقال : معك رجل أشقر أشمل  
يقال له محمد بن سليمان فأبعده عنك ، فاني رأيت البارحة وفي يده مكنسة يكذس  
داري بها . فتوق ويحك ولا تتعرف إلى أحد من حاشيته . ومضت بعد ذلك شهور  
ثم دعاني ثانية فقال : ويحك ماذا بليت به منك ؟ دعاني الأمير فقال : أليس أمرتك  
بصرف محمد بن سليمان فأخرجه من البلد الساعة فاني رأيت في النوم أيضاً وفي يده  
مكنسة وهو يكنس بها دوري وحجري .

ومحمد بن سليمان هذا هو الذي أزال ملك الدولة الطولونية .

(٢) كان من وزراء الدولة العباسية ، وكانت صلته وثيقة بابن طولون ، ثم نفاه  
الخليفة إلى الرقة متهما إياه بالإساءة إلى الأولياء والكتاب ، فكتب إلى ابن طولون  
كتاباً يرغب فيه في المقام عنده .

(٣) برم : ستم ومَل .

(٤) الأولياء : أولياء الأمور ، العمال .

فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام بمصر. فكتب إليه أحمد بن طولون: إنما أنا وليك<sup>(١)</sup>، ومقام صنيعه من صنائعك. وصوب رأيه فيما آثره. فحج من بغداد وثني عنائه إلى مصر فمنعه صاحب البذرة<sup>(٢)</sup> فأنفذ كتباً إلى أحمد بن طولون فكان أول ما صدر منها إلينا أربعين كتاباً جميعاً بخط ابن المدبر، يُعظم فيها أمر أحمد بن طولون. ويقول: إنه قد عزم على أن يجلس خليفة، ويصفه بكل غدر. فعجب منها ابن طولون. ثم مات ماجور، واحتاز دمشق والشام، وأنفذني إلى الرملة فقبضت عليه وأشخصته إليه، فأقام مدة في حبس ضيق وجفوا مما جرت به عادته حتى ذهب بصره ومات<sup>(٣)</sup>.

\*  
\*  
\*

(١) الولي: المحب والنصير.

(٢) البذرة: الخفارة، والمراد هنا خفارة حدود المملكة.

(٣) في السيرة للبلوي: فحبسه في حجرة من داره مكرماً، ولم يدر ابن مدر ما عثره به الحسن بن مخلد، وقرره له عنده.

وحدثني سهل بن شَيْفٍ ، قال :

رَجَعْتُ [ مَرَّةً ] مع أحمد بن محمد بن مَدْبَرٍ إلى داره فاستقبلته  
أمرأة ، فقالت أيها السيد ! نحن مائة عَيْلٍ على فلانِ الْمُتَقَبِّلِ <sup>(١)</sup> ،  
وقد ضاع شَمْلُهُ لحبسه ، فَأَتَيْ دَعْوَةَ تَعْرُجٍ إلى الله منا فيك ! فقال  
وهو متهزئٌ : إذا عزمتم على هذا فليكن الدعاء في السَّحَرِ فإنه أُنْجِعُ له .  
قال لي سهل : فارتعتُ من الكلمة ؛ فما مضى له شهر حتى تقلد  
محمد بن هلال <sup>(٢)</sup> الخراج وصرفه عنه .

واجتمعاً عند أحمد بن طولون فاهتدى محمد بن هلال إلى ما لم يُظَنَّ  
أنه يقفُ عليه ، لأنه أوَّل ما ناظره قال : رزقُ الخراج كذا وكذا ،  
وأرزاقُ الدواوين <sup>(٣)</sup> المضافة إليه كذا وكذا ، فهل قبضت جملة هذه

(١) المتقبل : هو الذي يتقبل عملاً أو تادية مال للسلطان في مقابل أجر معين .

(٢) قال البلوي : وكان ابن هلال قد تقرب من قلب أحمد بن طولون وتعبد  
له ، وكان له بمصر محل ونبل ، فسأله أن يكتب إلى الحضرة يطلب له الخراج ،  
فلموضوعه منه ولما في نفسه من ابن مدبر سارع إلى ذلك فوردت عليه الكتب بتقليد  
ابن هلال .

(٣) وأرزاق الدواوين : يراد بالدواوين أنواع الضرائب الأخرى غير خراج  
الأرض .

الأرزاق ؟ قال ابن المدبّر : نعم ! ما حضرني كتابُ أمير المؤمنين  
باطلاق جميع الرزق لك ، لأنه يجوزُ أن يكونَ استعملك على جميع  
الأعمال برزق الخراج وحده . فانقطع<sup>(١)</sup> [ إلى ] ابن المدبّر وطالبه  
بالمال . فقال : ما يلزمني . ورد<sup>(٢)</sup> إلى يد محمد بن هلال ، فألبس  
جُبّةً كانت على بعض الساسة<sup>(٣)</sup> وأقيم في الطريق على كُفاسة ،  
وختمت<sup>(٤)</sup> الجبّة في عنقه .

فكان أوّل من وافاه المرأة التي قال لها يكون دعاؤك في السحر  
هو أنجع له . فقالت : جزاك الله يا أبا الحسن خيراً ! فقد نفعتنا  
بأكثر مما ضررتنا ! لأننا جربنا ما أشرت به فوجدناه أنجع شيء  
يُتمَس ، فبكي ومن حوله من المتوكّلين به ، وأنصرفت المرأة  
داعية له .



(١) انقطع : أي عهد بن هلال .

(٢) ورد : أي ابن المدبّر إلى ابن هلال مرّة أخرى .

(٣) الساسة : خدام الخليل ونحوها .

(٤) ختمت : لعلهم في هذا الزمن كانوا يحنمون المجرمين بخاتم خاص .



وكان محمد<sup>(١)</sup> بن أبي الساج ، قد هادن نُمَارُويَةَ بنَ أَحْمَدَ  
ابنِ طُولون ، وحلّف بِالْمُخْرِجاتِ إِنَّه لا يَسْأَلُه ولا يُجَهِّزُ إِلَيْه جيشاً  
أبداً ، وحلّف عنده ابنه المعروف بـداودَ رهينَةً ، فسكن نُمَارُويَه  
إلى هذا . ثم تواترت الأخبارُ بِتُجْيِيشِه عليه ، وما آثره من المسيرِ  
إليه ، فدعا بابنه وقال : قد نقض أبوك ما بيني وبينه . فقال :  
ياسيدي ! ما عرف لي أباً غيرك ، فرق له وأجازَه وأقرَّ أثرته<sup>(٢)</sup> ثم توجه  
إلى ابن أبي الساج فالتقى بالثنية .

(١) هو محمد بن أبي الساج ، ولي إمرة الأهواز وحرب صاحب الزنج من قبل  
الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ هـ وقد رغب في ضم الشام إلى ملك بني العباس عقب  
وفاة أحمد بن طولون سنة ٢٧٠ هـ ولكنه لم يوفق في مسلكه : خالف إسحاق  
بن كنداج وحرابه وكانا متفقين على فتح الشام معا . ثم خرج على الخليفة العباسي ودعا  
نُمَارُويَه وهادنه ، ثم انتهى أمره بالحرب من نُمَارُويَه بعد وقعت جرت بينهما  
فأكرمه الموفق وخلع عليه بعد أن قبل توبته وأخرجه معه لحرب الخارجيين من  
أهل الجبل ، وقد توفي باذربيجان سنة ٢٨٨ هـ .

(٢) هو أبو الجيش نُمَارُويَه بن أحمد بن طولون ، ولي مصر بعد وفاة أبيه  
وله من العمر عشرون عاماً ، وقد اتسع الملك في أيامه فكان له من الفرات إلى بلاد  
النوبة . قتل بدمشق سنة ٢٨٢ هـ (الأعلام جزء ١ - )

(٣) أقرَّ أثرته : وافق على إيثاره إياه على أبيه . وفي الأصل ، ( وافرأ بره )  
هكذا بدون تقط .

فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم  
بن طباطبا<sup>(١)</sup> [ وكان معه ] . قال :

لما تراءى الجمعان أمر بالقاء حصير الصلاة فَأُلْقِيَتْ ، ونزلت معه  
فصلتي ركعتين ، فلما استتمهما أدخل يده في خُفِّه فأخرج منه خُطًّا  
ابن أبي الساج الذي حلف فيه بوكيد الأيمان إنه لا يجاربه . فقال :  
اللهم إني رَضِيتُ بما أعطانيه من الأيمان بك ، ووَثِقْتُ بكفايتك  
إيأى غدرة ، و [ إن ]<sup>(٢)</sup> بحُفِّه وأجترانه على الحنث بما أكدّه لي اغتراراً  
بجلمك عنه ، فأدلتني عليه<sup>(٣)</sup> .

ثم ركب فرأيت ميمنة نحارويه قد أنهزمت وتبعتها ميسرته ،  
فحمل في شردمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج ، وهو في غاية من  
الوفور ، فأنهزموا بأسرهم ، فوقف على نَشِير<sup>(٤)</sup> وأطفتُ ومن حضره  
به ، فاستأمنتُ إلينا عدَّةً كثيرة<sup>(٥)</sup> . فقلت له : إن مقامنا أيها الأمير مع

(١) هو الشريف الحسني ، كان سيّداً فاضلاً جواداً ، وكان له جاه ومنزلة ، توفي  
سنة ٣١٥ . (النجوم الزاهرة) .

(٢) ريدت ( إن ) على الأصل ليستقيم الكلام .

(٣) فأدلتني عليه : المعروف : أدلتني منه أي أجعل لي الغلبة عليه .

(٤) نشير : مكان عال .

(٥) فاستأمنت الخ : أي جاء إلينا عدد من جيش العدو يطلب الأمان .

هذه الجماعة خَطَرٌ . فأمرني بالمسيرِ بِهِمْ إلى مُسْتَقَرِّ سَوَادِهِ (١) فَسَرْتُ  
مَعَهُمْ ، وَأَنَا عَلَى رَقِيَّةٍ مِنْ طَمَعٍ فِيهِ أَوْكَيْدٌ لَهُ ، فَبَلَّغُوا نَهْرًا أَحْتَا جُوا إِلَى  
عُبُورِهِ ، فَرَأَيْتُهُمْ قَدْ خَلَعُوا الْخِطَافَ وَحَطَّوْا الرِّحَالَ وَسَلَكُوا سُلُوكَ  
الْمَطْمَئِنِّ فَانْتَبْتُ إِلَيْهِمْ .

..

وكان في حارتنا شابٌ قد قَدِمَ مِنَ الْعِرَاقِ ذِكْيُ الرُّوحِ هَادِيٌّ  
السَّعِيُّ (٢) ، يَذْكُرُ أَنَّهُ قَرَابَةٌ لِابْنِ يَعْفُرِ الْقَائِمِ كَانَ بِالْيَمَنِ (٣) .  
وكان بمصرٍ في دُونَ قَوْمِهِ (٤) . فَأَشَارَ عَلَيْهِ مَنْ شَاهَدَ ابْنَ يَعْفُرَ  
وَسَعَةَ أَمْرِهِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ لَهُ حِجَّةً (٥) مِنْ بَعْضِ أَهْلِنَا ،  
وَأَضْفَتْ إِلَيْهَا بَرًّا بِنِي بِنْحَمَلِهِ ، وَنَجَرَ فَلَقِيَ بِمَكَّةَ عَجُوزًا يَمَانِيَّةً جَالِيلَةً  
الْقَدْرِ فِيهِمْ ، فَعَرَفَهَا مَوْضِعَهُ فَقَالَتْ : أَنَا أَتَكْفَلُ بِمُؤْتِنِكَ وَتَحْمَلِكِ وَأَعْتَنِمُ  
هَذِهِ الْيَدَ عِنْدَ الْأَمِيرِ . وَحَمَلْتَهُ حَتَّى صَارَتْ بِهِ إِلَى عَشِيرَتِهَا ، فَقَالَتْ لَهُمْ :

(١) سواده : معظم جيشه .

(٢) هادي السعي : متأن قليل النشاط .

(٣) القائم كان باليمن : تعبير مألوف في ذلك العهد : أي الذي كان قائما باليمن

(٤) في دون قومه : غريبا .

(٥) فأخذت له حجة : جمعت له نفقت حجة .

إِنَّ ابْنَ يَعْفَرَ قَتَلَ مِنَّا فِي الْعَامِ الْمَاضِي رَجُلًا ، وَمَعِيَ قَرَابَةٌ لَهُ  
فَاقْتُلُوهُ بِهِ . وَاجْتَمَعَ الْحَيُّ وَتَسَلَّمَهُ أَوْلِيَاءُ الْقَتِيلِ . فَلَمَّا جَرَّدَ السِّيفُ  
أَضْطَرَبَ وَبَكَى . فَقَالَ أَوْلِيَاءُ الْقَتِيلِ : مَا نَرْضَى أَنْ نَقْتُلَ هَذَا  
بِصَاحِبِنَا ! صَاحِبِنَا شِبَاعٌ ، وَهَذَا جَبَانٌ . فَبِعَنَّا بِهِ إِلَى ابْنِ يَعْفَرَ وَقَالُوا  
لِرَسُولِهِمْ إِلَيْهِ : إِنَّا لَا نَرْضَى أَنْ نَقْتَادَ مِنْ هَذَا .

فَلَمَّا وَافَى ابْنَ يَعْفَرَ دَعَا لَهُ بِالسِّيفِ وَالنِّطْعِ لِيَقْتُلَهُ ، وَقَالَ : هَتَكْتَنِي  
فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ ! فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : إِنَّ هَذَا الْفَتَى نَحْرَجُ مِنْ فَاقَةٍ  
وَأَمِنَ إِلَى مَوْقِفٍ تُضْرَبُ فِيهِ عُنُقُهُ فَأَضْطَرَبَ ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُ الْأَمِيرُ مَنْ  
قَادَ الْجِيُوشَ وَتَطَعَّمَ بِحَلَاوَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِيهِ <sup>(١)</sup> وَتَمَكَّنَ مِنَ الرِّيَاسَةِ  
ثُمَّ عَدَلَ بِهِ طَبْعُهُ إِلَى الْخَوَرِ . وَالَّذِي أَرَاهُ لِلْأَمِيرِ أَنْ يَعْقِدَ لَهُ الرِّيَاسَةَ عَلَى  
جَمَاعَتِهِ وَيُنْفِذَهُ إِلَى مُهْمَاتِهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْفَضَائِلِ إِنَّمَا تَظْهَرُ  
بِحَسَنِ الْارْتِيَاضِ . فَفَعَلَ الْمَلِكُ مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ .

فَخَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرِ الْيَمَانِيُّ : أَنَّهُ دَرَجَ بِهَذَا التَّدِيرِ  
فَظَهَرَ مِنْ شِبَاعَتِهِ مَا لَمْ يَرِ فِي آلِ يَعْفَرَ مِثْلَهُ ، ثُمَّ غَزَا الْحَيَّ الَّذِي  
كَانَتْ تِلْكَ الْعَجُوزُ مِنْهُمْ فَقَتَلَ أَوْلَادًا كَانُوا لَهَا وَأَقْفَرَ بِهِ ذَلِكَ الْحَيُّ .

\* \*

(١) فِيهِ : الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْمَنْصِبِ الْمَفْهُومِ مِنَ السِّيَاقِ . وَالْأَوَّلَى حَذَفَ (فِيهِ) .

وحدثني يُوُسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ [والدي] . قال :

حدثني إبراهيم بن المهدي أنه دخل على الخيزران<sup>(١)</sup> أم الرشيد فوجدها جالسة في الدار المعروفة بها (وصارت إلى أم محمد بنت الرشيد بعدها) على نمط إرميني<sup>(٢)</sup> والنمط على بساط إرميني، وعن يمين النمط ويساره نمارق<sup>(٣)</sup> إرمينية، وعلى أعلى تمرقة منها زينب بنت سليمان بن علي، وعلى يسار النمارق أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء بني هاشم، إذ وقفت امرأة على طرف البساط فسلمت ثم قالت: يا زوج أمير المؤمنين أنا مربية زوج هشام بن عبد الملك ثم مروان بن محمد من بعده، نكبتها الزمن وزلت بها النعل، حتى أصارها إلى عارية ما تستتر<sup>(٤)</sup> به مما عليها. فتبينت الدموع تدور في عين الخيزران، وخافت زينب أن تدخلها

(١) الخيزران: زوج المهدي العباسي وأم الهادي والرشيد، يمانية الأصل، أخذت العلم عن الأوزاعي، توفيت في عهد الرشيد سنة ١٨٣ هـ.

(٢) نمط إرميني: النمط ظهارة الفراش، وإرمينية وقد تشدد الياء أربع كور متصل بعضها ببعض ببلاد الروم، يقال لكل كورة منها إرمينية، والنسبة إليها إرميني بفتح الحزنة. ولكن المؤلف جرى في النسب إليها على القياس لا على المسموع.

(٣) نمارق: النمرق والمرقة مثلثة النون: الوسادة الصغيرة.

(٤) ما تستتر: ما موصولة فاعل أصار. والمعنى أن الذي تستتر به من الثياب ممزق خلق صيرها كالعارية.

رَقَّةٌ ، فَقَطَعَتْ عَلَى مُرْيَةَ الْكَلَامَ بِأَنَّ قَالَتْ : يَا أُمَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ !  
اتَّقِي اللَّهَ أَنْ يَدْخُلَكَ رَأْفَةٌ بِهَذِهِ الْمَلْعُونَةَ فَتَتَّبِقُنِي مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ !  
ثُمَّ التَّفَتَتْ إِلَى مُرْيَةَ فَقَالَتْ لَهَا : بَكَ فِدَامَ مَا أَنْتِ فِيهِ يَا مُرْيَةُ !  
كَأَنَّكَ نَسِيتِ دَخُولِي عَلَيْكَ بِحِزَانٍ<sup>(١)</sup> وَأَنْتِ جَالِسَةٌ بَصْحَنَ دَارِ مَرْوَانَ  
عَلَى هَذَا النَّمَطِ ، وَتَحْتَهُ هَذَا الْبِسَاطُ ، وَعَنْ يَمِينِ نَمَطِكَ وَيَسَارِهِ هَذِهِ  
النَّمَارِقُ ، وَعَلَيْهَا أُمَّهَاتُ أَوْلَادِ جَبَابِرَتِكُمْ ، وَقَدْ مَنَلْتُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ  
الَّذِي أَنْتِ فِيهِ مَائِلَةٌ ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي اسْتِيْهَابِ جُثَّةِ  
إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ<sup>(٢)</sup> مِنْ مَرْوَانَ<sup>(٣)</sup> لَسَلًّا يُمَثِّلُ بِهِ ، وَقَوْلِكَ وَأَنْتِ  
كَالْحَلَّةِ<sup>(٤)</sup> فِي وَجْهِهِ : مَا لِلنِّسَاءِ وَالِدُخُولِ فِي أُمُورِ الرِّجَالِ ! ثُمَّ أَمَرَتْ

(١) حِرَانُ : مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَهِيَ قَصْبَةٌ دِيَارِ مِضَرَ . فَتَحَتْ أَيَّامَ  
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، عَلَى يَدِ عِيَاضِ بْنِ عُثْمَانَ ، وَبِهَا قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ . قَالَ سَدِيفُ :

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي جَلْدًا فَضَعُضُنِي قَبْرَ بَحْرَانَ فِيهِ عَصْمَةُ الدِّينِ

(٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، زَعِيمُ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .  
انْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ وَوَجَّهَ أَبَا مُسْلِمٍ الْخِرَاسَانِيَّ وَالْيَا عَلِيَّ شَيْعَتَهُ بِخِرَاسَانَ ، ثُمَّ قَبِضَ  
عَلَيْهِ مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ وَبَجَنَهُ بِحِزَانَ وَقَتْلَهُ فِي الْحَبْسِ .

(٣) وَقَوْلِكَ : مَعْطُوفٌ عَلَى دَخُولِي عَلَيْكَ .

(٤) كَالْحَلَّةِ : مَا بَسَتْ .

بإخراجي من دارك بغلظة ، فلجأتُ إلى مروان فوجدته على حالٍ أشدَّ تعظفا على رَحِمِهِ مِنْكَ . وقال لي : لقد ساءتني وفاةُ ابن عمي وما دَبَّرْتُ المثلَّةَ <sup>(١)</sup> [به] وقد خيَّرني بين إطلاقِ تجهيزه له وبين تسليمه إليّ ، فاخترتُ تسليمه ، وأمر له بجهازٍ فقبلته منه .

قال إبراهيم : فالتفتتُ مرَّيةً إلى زينب فقالت لها : كأنك يا بنتَ سليمان حمِدتِ لي عاقبةَ أمرِي في قطيعتي رَحِمِي ، فأردتِ أن تزَيِّني قطيعةَ الرَّحِمِ لأمِّ أمير المؤمنين ! ثم التفتت إلى الخيزران فقالت : قد صدقتِ زينبُ فيما ذكَّرتِ عني ، وذلك الفعلُ مني أحلني هذا هذا المحلَّ . والسعيدُ من اتعظ بغيره . وانصرفت .

فبعثتُ إليها الخيزران ما أعاد إليها [ حالها ] وكفَّ اختلالها .

\*  
\*  
\*

وحدثني يوسفُ بنُ إبراهيم والدي ، أنه سمع بطوس رجلاً <sup>(٢)</sup> يُحدِّث إبراهيم بن المهدي : أن نَقْفُورَ <sup>(٣)</sup> الملك لما تأدَّى

(١) المثلَّة : التمثيل بالقتيل والتنكيل به .

(٢) رجلاً : سيأتي في هذه القصة أن اسم هذا الرجل بطرس .

(٣) كان أبي أن يدفع الخراج إلى الرشيد فخاربه الرشيد وخزب بلاده ثم صالحه على خراج يحمله إليه في كل سنة ، ومات نقفور سنة ١٩٣ بعد أن حكم سبع سنين .

إليه الخير بوفاة الرشيد ، جعل ذلك اليوم عيداً للروم ، ثم جعل عيداً  
أعظم منه في اليوم الذي تأدى إليه وقوع الشرّيين محمد الأمين<sup>(١)</sup>  
والمأمون ، ثم عيداً ثالثاً في الوقت الذي بلغه خروج أبي السرايا<sup>(٢)</sup> ،  
ثم خرج إلى البرجان<sup>(٣)</sup> ليُحاربهم فقتل . فسأل بطارقة<sup>(٤)</sup> الروم

---

(١) هو محمد الأمين الخليفة العباسي ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه الرشيد  
سنة ١٩٣ هـ وبمهدمنه ، وقد أعلن سنة ١٩٥ خلع أخيه المأمون من ولاية العهد  
فكان هذا سبباً في وقوع حرب بينهما انتهى أمرها بتغلب المأمون وقتل الأمين  
سنة ١٩٨ هـ

(٢) أبو السرايا : هو السري بن منصور ، كان في أول أمره يكرى الحمير ، ثم  
قوى حاله بجمع عصاية لقطع الطرق ، فلما حدثت فتنة الأمين والمأمون اشترك  
فيها قائداً وخرطب بالأمير ، ثم شق عصا الطاعة في عهد المأمون واستولى على  
بعض البلاد ، ولم يزل شره يعظم وأمره يستفحل إلى أن قتله الحسن بن سهل  
وبعث برأسه إلى الخليفة المأمون سنة ٢٠٠ هـ (الأعلام جزء ١)

هذا ، وفيما يذكره المؤلف خطأ تاريخي لأن تقفور مات في السنة التي مات فيها  
الرشيد ، فلم يكن حياً حينما وقع الشر بين الأمين والمأمون سنة ١٩٥ ، ولم يكن  
حياً حينما خرج أبو السرايا على الدولة العباسية سنة ١٩٩

(٣) البرجان : صنف من الروم .

(٤) بطارقة : جمع بطريق : القائد من قواد الروم .



بطريقهم<sup>(١)</sup> اختيار رجل ليقلد مملكتهم فاتفق معهم على رجل من أبناء العرب يقال له اليون، فلكوه<sup>(٢)</sup>. وكان ذانكاية<sup>(٣)</sup> فدفع عنهم وقدة<sup>(٤)</sup> البرجان، وقوى اليون على ضبط المملكة، وكانت الروم في أيامه أعزّ منها في أيام نقفور، إلا أنهم أنكروا عليه بسط اليد بالهبات والعفو عن أسرى المسلمين.

ثم اجتمعت البطارقة الاثنا عشر في مجايس على نبيذ لهم، فتذاكروا أمره واستشنعوا فعله. وكان أغلظهم كدحا عليه<sup>(٥)</sup> ميخائيل البطريق<sup>(٦)</sup> الذي ملكهم وملكهم امرأة بعده<sup>(٧)</sup>. فبلغ اجتماعهم وما قالوا

(١) بطريقهم : يراد به القائد الأكبر .

(٢) لم يكن اليون من أبناء العرب . والذي تزعمه الروم هو أن نقفور من أبناء العرب .

(٣) نكاية : فتك وكيد .

(٤) وقدة : حدة ، بطش .

(٥) كدحا عليه : سعيًا في الكيد له .

(٦) مات سنة ٢٠٩ بعد أن حكم تسع سنين .

(٧) الذي ملك بعده ابنه نوفيل، ولما مات في سنة ٢٢٧ ملكت الروم زوجته وابنها ميخائيل .

اليون . فوجه في يوم سبت إلى ميخائيل فأحضره ثم دعا بتليس<sup>(١)</sup>  
من شعر بطول ميخائيل فأدخل رجلاه في قرارة التليس ، ثم أمر بالتليس  
فرفع وأقيم ميخائيل فبلغ رأس التليس إلى رأسه . ثم أمر أن يحشى  
رملاً حشياً ، فبلغ الرمل فم التليس . ثم أمر نخييط بشعر جمّة<sup>(٢)</sup>  
ميخائيل ، ودعا الطباخين فأمرهم أن يعدوا له طعاماً كثيراً مثل ما يعدُّ  
في الأعياد ، ثم قال للبطارقة ، وميخائيل بين يديه على تلك الحال : إذ انحن  
تقربنا<sup>(٣)</sup> في غد أقيمت ميخائيل في البحر . ثم تغدينا وجعلناه يوم سرور .

قال بطرس : فاجتمع البطارقة بعد أنصرفهم من عنده ، وقالوا :  
هذا العربي قد امتدت يده إلى ميخائيل ، ونخاف أن يجترئ على  
كافتنا . فأجمعوا على الأشتال على سيوفهم ، والدخول إليه وقتله .  
ففعّلوا ذلك . ثم جلسوا للمشاورة فيمن ينصب بمكانه ، واستشرف كل  
واحد منهم إلى أن يكون ملكاً . فقال أحدهم لسائر الجماعة : الصواب  
أن تملكوا ميخائيل ، فإنه يرى أنكم أنعمتم عليه بالحياة . فاستشرفوا  
إلى ذلك ، وراوا موضع السداد منه ، فأخرجوه من التليس وغسلوه ،

(١) تليس : كيس .

(٢) جمّة : مجتمع شعر الرأس .

(٣) تقربنا : قدمنا القرابين .

وأحضروا البَطْرِيقَ <sup>(١)</sup> وثيابَ المَلِكِ فألبسوه إياها ، وأعلموه أن اليونَ قد قُتِلَ ومَلَّكوه عليهم .

ثم صاروا إلى مجلسِ المملِكةِ والموائدِ منصوبةً ، فقالوا له : تَغَدَّ أيها الملكُ بالطعام الذي دبرَ اليونُ أن يأكله بعد قَتَلِكَ ! فقال ميخائيلُ : عارٌ بالملكِ أن يَظَعَمَ طعاماً ، وفي عنقه يَدٌ لإنسانٍ من أوليائه ورعيته ، قبل أن يكافئَه عنها ، وقد أحيتُموني بعد موتي ، ولستُ أظَعَمُ طعاماً حتى يُخَبِّرَنِي كُلُّ إنسانٍ منكم بجميعِ حوائجِه في مُدَّةِ عُمُرِه . فقال كُلُّ واحدٍ منهم ما تناهى إليه أملهُ مما يصل ميخائيلُ الملكُ إليه . فقضى جميعَ حوائجهم . وسألوه الأكلَ ، فقال : قد فرغنا ممَّا يجب لكم ، وبقي [ ما ] لله وللملكِ اليون ، ولا يُحسُنُ بي أن آكُلَ حتى أفعلَ ما يجب لهما . ثم قال للبَطْرِيقِ <sup>(٢)</sup> : ما جزاءُ من منعَ ما كُتِبَ عليه من شَمِّ النسيمِ وروحِ الحياة ؟ قال البَطْرِيقُ : يُمنَعُ النسيمَ وروحَ الحياة . فقال لهم : قد حَكَمَ عليكم البَطْرِيقُ بما لا يجوزُ خلافُه . وأمر بضربِ أعناقهم وابتدأ بطعامه .

\* \* \*

(١) البَطْرِيقُ : أى البَطْرِيقُ الأكبر .

(٢) للبَطْرِيقِ : لعله يريد كبير البطارقة .

ومما نقله ابن المقفع عن الفُرس وتعالّمه <sup>(١)</sup> العربُ : أنّ  
ملك الحبشة لما غلب على مملكة سيف بن ذى يزن <sup>(٢)</sup> خرج إلى  
كسرى مستصرخاً إليه مستجيراً به عليه . وكان ملك الحبشة يجرى  
على ترجمان كسرى رزقا مئيباً على تحريف دعوى المتظلمين منه .  
وكان لكسرى يومٌ في كل شهرٍ يركب فيه ويقرب من عامته ، ومن  
لا يصل إليه ممن انتجعه <sup>(٣)</sup> . فتوختى سيف بن ذى يزن ركوبه في ذلك  
اليوم ، فلما رآه قال : أسعد الله الملك ؛ أنا سيف بن ذى يزن ؛  
أغار على مملك الحبشة بفرط تعديهِ وسوء جواره فأخرجني من مملكة  
عمرتها أنا وآبائي مذ أكثر من مائتي سنة ! وأنا أسأل الملك أن يُجذني  
عليه ويردني بطوله <sup>(٤)</sup> إلى مملكتي ومملكة آبائي .

(١) تعالّمه : علمه .

(٢) من ملوك اليمنيين ودهاتهم ، ولد ونشأ بصنعاء ، ولما غزا بلاده  
ملك الحبشة مسروق بن أبرهة استنجد بقيصر ملك الروم فلم يلتفت إليه ، فقصد  
النعمان بن المنذر فأوصله إلى كسرى أنوشروان فساعده ونصره على الحبش ، وأبقى  
سيف جماعة منهم لإشفاقاً عليهم فأتمروا عليه وقتلوه بعد أن حكم نحسا وعشرين سنة .

(٣) انتجعه : قصده .

(٤) بطوله : الطول ، الفضل والقدرة والغنى والسعة .

فسأل التَّرجُمانَ عن قوله ؛ فقال يقول : أنا رجل من جِلَّة<sup>(١)</sup> العرب  
وقد اختلَّت حالي ؛ واضطرب شملي لشدة الفاقة ؛ وقد قصدتُ  
الملك مُستتراً به<sup>(٢)</sup> ؛ ومُستميراً منه . فأمر له بجائزة ، فرأى سيفُ بنُ  
ذِي يَزَنَ ما لا يُشبهه ما ابتدأه به . وصبر إلى اليوم الذي يسهل فيه كلامه ،  
وانتظره فيه . فلما رآه قال : أنا (أيد الله الملك) ذو نعمة وكفاية ،  
وإنما وفدت على الملك لأقتبس من عزه ؛ وأنتصر بقوته . فسأل  
التَّرجُمانَ عما قال . فقال : يقول أمرت بما يقصر عن حاجتي . فأمر  
له بجائزة أخرى . فوقف على تحريف التَّرجُمان لكلامه ؛ فانتظره  
في اليوم الثالث ، فلما رآه قال : أيد الله الملك ! إنَّ الغادر . . . !  
فأدى<sup>(٣)</sup> إليه هذا الحرف فقال<sup>(٤)</sup> الخائن . فرأى في وجه  
الملك الاستفهام . فقال : الكذاب . فأشار إليه الملك بيده : مَنْ  
هُوَ ! فأوماً إلى التَّرجُمان . فأحضر الملك تَرْجُماناً آخرَ فقص عليه قصته  
فضرب عُنُقَ التَّرجُمانِ وأحسن تلقى سيفِ بنِ ذِي يَزَنَ لما تبيَّن منه

(١) جِلَّة : يقال : جليل من جِلَّة ، ويقال قوم جِلَّة أى عظام سادة  
ذوو أخطار .

(٢) مستتراً به : مختمياً به .

(٣) فأدى : أى التَّرجُمان .

(٤) أى سيف بن ذِي يَزَنَ .

في التأني لإفهامه . ثم أحضره مجلسه . فسأل عن مقدار حاجته .  
وما الذي يؤثره من أصناف الناس . فقال له : أسأل الملك أن يُطلق  
لي من محابسه الكهول ، فاتهم أصبرُ في المعارك ، واسمَحُ بالنفوس .  
فأطلق له جملةً من [في] الحبس كهولاً بأسرهم ، فحملهم في مراكب  
وركب معهم حتى وافى مملكته . فلما نزل جميعهم أحرق المراكب  
واعتمد <sup>(١)</sup> ذلك سراً منهم ، فلها نظروا إلى المراكب قد احترقت .  
قال للرجال : إنه لا يحسنُ بكم التعذيرُ <sup>(٢)</sup> في القتال فتهلكوا ، ولكن  
جدوا جِدًّا من لانبجاة له في البحر . فجرد الجيشُ العناية ، وصدَّقوا حتى  
برزوا <sup>(٣)</sup> على من أقام بمملكته ، واحتازوا له طائفةً كبيرةً من أرض  
الجبشة ، وقهرَ ملكها واتقى جانبه .

\*  
\*

---

(١) اعتمد : قصد .

(٢) التعذير : مَدَّرَ تعذيراً : لم يثبت له عذر ، والمعنى لا يحسنُ بكم محاولة اعتذار  
لا يفيد .

(٣) برزوا عليهم : غلبوهم وفاقوهم ، وفي الأصل : بزوا .

وحدثني هارون بن مملوك . قال :

تقلد أبو الوزير خال أبي أيوب<sup>(١)</sup> الخراج على حال اضطراب من  
الأولياء<sup>(٢)</sup> ، واستعمل من فرط الاستقصاء على أرباب الخراجات ،  
وإخراج البقوط<sup>(٣)</sup> عليهم<sup>(٤)</sup> ما ثقلت به وطأته على الناس . وكان له  
كاتب ( ذهب عني اسمه ) في النهاية من الجزالة<sup>(٥)</sup> والضبط ، وكان  
يغزى إليه أكثر صنيع أبي الوزير . فقال لي هارون : فقصدته جماعة  
من الأولياء فأحس بالشر فيهم ، فأغلق الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى  
عرفهم فكتب بفحمة " ياسيدي ! قتلني فلان وفلان " وسمى  
جماعة رؤسائهم . وكسروا الباب ودخلوا إليه فقتلوه .

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن طولون الخراج في أول عهده بمصر .

(٢) الأولياء : من يتولون أعمال الوالي .

(٣) البقوط : جمع بقط "كسهم" وهو أن تعطى الرجل البستان لينزعه على  
أن يكون له الثلث أو الربع من غلته .

(٤) عليهم : أى الباقية عليهم .

(٥) الجزالة : حدة العقل وإصالة الرأي .

وركب أبو الوزير حتى شاهده ثم تأمل حائط مجلسه ، فوجد  
الكتاب بالفحمة فقبض عليهم فصدّقوه <sup>(١)</sup> ، وقتلوا به .

\* \*

وكان لرجلٍ من جِلّة كُتّاب الجيش بمصر يُعرَف بابن الأبرد  
رغبةً في وصفه بالنصح في أعمال السلطان . ولا بسّه <sup>(٢)</sup> محمد  
ابن أبا [القائد] <sup>(٣)</sup> فقدّم العناية به والتعصب له ، ومكّن له عند نُحمارويه  
مَحَلًّا ردّ إليه بعض أعماله من الخراج ، واحتاج فيه إلى كاتبٍ يحمِلُ  
عنه ، فارتاد رجلاً يُعرَف بنصر بن القاسم يُخلف [ابن الأبرد] <sup>(٤)</sup> فيما  
أسند إليه . فكان <sup>(٥)</sup> يسعى به إلى كاتب نُحمارويه ، فكتب يوماً

(١) فصدّقوه : في الأصل فصدقوا عنه .

(٢) لابسه : خالطه ، وعرف باطنه .

(٣) كان محمد بن أبا من بكار قواد ابن طولون ، أرسله مع جماعة من قواده  
إلى الاسكندرية لينصح ابنه العباس حينما خرج عليه ، وكان أحد القواد الذين  
وصى ابنه أبا الجيش بطاعتهم عندما استخلفه على البلد وذهب إلى الشام للقاء  
الخليفة المعتمد ، وبقى محمد بن أبا على إخلاصه وولائه لابن طولون إلى أن مات .  
(٤) هنا إظهار في مقام الإضمار ، والمأوف أن يقول : يخلفه فيما أسند  
إليه .

(٥) فكان : أي نصر بن القاسم .



رُفَعَةٌ تَشْتَمَلُ عَلَى مَا كَرِهَهُ ابْنُ الْأَبْرَدِ مِنَ التَّغْمِيزِ بِهِ <sup>(١)</sup> وَالِانْتِقَاصِ لَهُ . وَيَشِيرُ فِيهَا بِأَشْيَاءٍ تُفْسِدُ مَحَلَّهُ ! وَبَعَثَ بِهَا إِلَى كَاتِبِ نَحْمَارُويِهِ ؛ فَغَاطَ الْغَلَامُ وَجَاءَ بِهَا إِلَى ابْنِ الْأَبْرَدِ ، فَاسْتَعْرَضَ فِيهَا أَشْيَاءَ قَبِيحَةً وَفَارَقَ الْكَاتِبَ .

وَرَأَى <sup>(٢)</sup> الْكَاتِبُ أَنَّهُ قَدْ أَحْرَزَ بِمَا أَتَاهُ مِنَ السَّعَايَةِ مَكَانَةً عِنْدَ كَاتِبِ نَحْمَارُويِهِ . وَقُتِلَ نَحْمَارُويِهِ وَثَبَّتَ يَدُ كَاتِبَةٍ عَلَى الْأَمْرِ ؛ فَرَامَ نَصْرُ بْنُ الْقَاسِمِ أَنْ يَدْخُلَ فِي جَمَلَتِهِ ؛ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : مَنْ سَعَى إِلَيْنَا سَعَى بِنَا . فَمَاتَ نَصْرُ بْنُ الْقَاسِمِ كَمَا .

\* \* \*

وَسَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ <sup>(٣)</sup> يَقُولُ : وَجَدَ فِي أَخْبَارِ مِصْرَ الْمُسْنَدَةَ ؛ أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ الْعَاصِ <sup>(٤)</sup> عِنْدَ تَغْلِيهِ عَلَى

(١) التغميز به : غمز (بالتخفيف) بالرجل سعى به شرا .

(٢) ورأى الكاتب : وظن الكاتب .

(٣) في الأصل : سعيد بن عبد الله بن الحكم .

(٤) عمرو بن العاص : هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم ، وكان له شأن عظيم في الخلفاء بين عليٍّ ومعاوية ، توفي بالقاهرة سنة ٤٣ هـ (الأعلام جزء ٢)

مصر ، كان يتنكر ويخرج وحده متشبهًا بالرجل من عامته ليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين . فتأدى به السير راجلاً حتى لحق بطرف من الفسطاط فرأى جماعة قد التأمّت على سوءٍ فيه<sup>(١)</sup> . فقال لها : اعملوا بي كلّ ما تؤثرون من سوء ولا تردوني إلى يد الأمير ! فإني هربت منه . فقال بعضهم ردّوه إلى يد الأمير فإنه يقتله ويكون لكم بذلك عارفةً عند الأمير . فساقوه إلى دار الإمارة فأخذ يتصوّر<sup>(٢)</sup> ويتأبى في سياقته حتى قُرب من الدار ، فقام إليه الشرط<sup>(٣)</sup> فقال : لا يفوتنكم منهم أحد ! فجمعوا له فأتى على آخرهم ولم يعاود التنكر .

\* \*

وكنّت أعرف شيخاً في أيام نحارويه ، حلّو النادرة ، مليح الألفاظ ، يعرف بالدفاني . وكان معاشه من التوصل بكتب الولاية إلى معاملهم<sup>(٤)</sup> . فحدثني أنه خرج بكتب إلى الشرقية ، فالتقى مع رجلٍ في زى بعض المانية<sup>(٥)</sup> من الأطباء ، وهو على حمارٍ

(١) فرأى جماعة الخ : أى فرأى جماعة التفتت حوله لإيقاع الشر به .

(٢) يتصوّر : يتلوى ويضطرب .

(٣) الشرط : هم أعوان الوالى وحفظة الأمن الواحد شرطى .

(٤) معاملهم : من يعملون تحت إمرتهم .

(٥) المانية : هم أتباع ماني بن فاتك ويقال لهم الماتوة أيضا .

بُخْرَجِينَ ، وَكُنْتُ عَلَى حِمَارٍ ، فَاسْتَخْبَرْنِي عَنْ صِنَاعَتِي ، فَتَحَسَّنْتُ  
عِنْدَهُ <sup>(١)</sup> بَأَنْ قَلْتُ : أَنَا تَابِعٌ فِي الْغَلَّاتِ . فَطَمَعُ فِيَّ ، وَكَانَ مُبْنِجًا . فَقَالَ  
لِي : هَذَا مَوْضِعٌ طَيِّبٌ ، فَلَوْ أَكَلْنَا فِيهِ ! فَقَلْتُ . ذَاكَ إِلَيْكَ .  
فَأَخْرَجَ مِنْ أَحَدِ نُحْرَجِيهِ رَغِيفِينَ مَشْطُورِينَ <sup>(٢)</sup> ، فَوَضَعَ أَحَدَهُمَا بَيْنَ  
يَدَيَّ وَالْآخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . ثُمَّ أَخَذَ كَوْزًا مَعَهُ وَمَضَى يَسْعَى بِهِ . فَشَرِهَتْ  
نَفْسِي إِلَى الرَّغِيفِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَبْدَلْتُهُ حَتَّى صَارَ بَيْنَ يَدَيَّ ،  
وَصَارَ رَغِيفِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَاءَ بِالْمَاءِ ، وَابْتَدَأْنَا بِالْأَكْلِ فَمَا ابْتَلَعَ لُقْمَةً  
حَتَّى شَخَّصَ بَصْرَهُ وَتَمَدَّدَ . وَاجْتَازَ بِنَا جَمَاعَةً فَقَالُوا : مَا لِصَاحِبِكَ  
قَلْتُ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ ! فَقَالُوا لِي : أَنْتَ مُبْنِجٌ <sup>وَوَو</sup> بَنَجْتَ هَذَا الْمَسْكِينَ !  
وَسَاقُونِي .

فَكَانَ مِنْ لَطْفِ اللَّهِ أَنَّ خَلِيفَةَ مُوسَى بْنِ طُونِيقَ <sup>(٣)</sup> كَانَ يَبْلُدُهُمْ  
وَيُجَاوِرُنِي <sup>(٤)</sup> يَتَقَلَّدُ الْمَعُونَةَ ، فَسَاقَنِي الْقَوْمَ إِلَيْهِ ، وَالرَّجُلُ مَحْمُولٌ مَعَنَا ،

(١) فتحسنت عنده : أظهرت حسن حالتي .

(٢) مشطورين : المشطور والشطير الخبز عليه الكاخ .

(٣) في النجوم الزاهرة ابن طونيق بالراء . وموسى هذا كان على شرطة مصر آخر  
عهد الدولة الطولونية وقد قبض عليه حين زال ملكهم مع من قبض عليهم من  
بنى طولون وأتباعهم وسبق في الحديد إلى حلب .

(٤) يجاورني : يعطف عليّ ويواسيني .

وهم يقودون الحمارين ، وقالوا له : هذا مَبْنِجٌ وجدناه! فلما رآني  
ضحك إلى وقال : متى تعلّمت التبنيج ؟ قلت : اليوم ، وقصصت  
عليه خبري ، وأخرجت كتاب موسى بن طونيق في برّي ، ففتّش  
نُحْرَجَه فوجد فيه شطائر تبنيج وشطائر خالية ، ووجد معها أوتاراً  
للخنق وأجاراً للشّدخ ، فشَدخ رأسه بها ، وخنقه بتلك الأوتار حتى  
فاظ<sup>(١)</sup> .

وإذ وَفَيْنا ما وعدناك به من أخبار المكافأة على الحَسَن والقييح  
ما رجونا أن يكونَ ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير ، وَتَطَلَّب  
العارفة في الحَسَن . وزَجَرَ النفس عن مُتَابعة الشرِّ ، وإبعاده عن  
سورة الانتقام<sup>(٢)</sup> في القبيح . وقد قالوا : الخير بالخير والبادئ أخير ،  
والشر بالشر والبادئ أظلم ؛ رأيتُ أن أصل ذلك ( حَفِظَكَ اللهُ )  
بَطْرِفٍ<sup>(٣)</sup> من أخبار من ابتلي فصبر ، فكان ثمرة صبره حَسَن  
العُقْبَى ، لأنَّ النفس إذا لم تُعْن عند الشدائد بما يُجِدُّ قواها تولى

(١) فاظ : مات .

(٢) سورة الانتقام : حدّته وشدّته .

(٣) بطرف : جمع طرفة ويصح أن تقرأ بطرف ( بالتحريك ) أى بجزء .

عليها اليأس فأهلكها . وقد علم الإنسان أن سُفُورَ الحَالَةِ عن ضدها  
حَتْمٌ لا بُدَّ عنه . كما علم أن أنجلاء الليل يُسْفِر عن النهار . ولكن  
خَوَرَ الطَّيْبَةَ أَشَدُّ ما يلازم النَّفْسَ عند نزول الكوارث ، فإذا لم  
تُعَالَجْ بالدواء اشتدت العلة ، وازدادتِ المِحْنَةُ . والتفكُّرُ في أخبار  
هذا الباب مما يُسْجَعُ النَّفْسَ وَيُبْعِثُهَا على مُلازمة الصبر وحُسنِ  
الأدب مع الربِّ ( عزَّ وجلَّ ) بِحُسْنِ الظَّنِّ في موآتاة الإحسان

عند نهاية الامتحان .

والله وليُّ التوفيق .

## حَسَنُ الْعُقْبَى

[ومما سمعته أن ابني عمر الأخباري لما مات أبوهما ، وكان من رجال دولة المتوكل ، هم المتوكل بمصادرة أمواله . فعزما أن يجعلها وديعة عند شيخ كانا يريان فيه الصلاح وحسن المذهب ، فكانا يبعثان إليه <sup>(١)</sup> بالشئ بعد الشئ مما تخلف عن تلك الوديعة . وبعوز تخلف <sup>(٢)</sup> بذلك ، لها ولد يتشطر <sup>(٣)</sup> ويلعب بالحمام . فوردت عليهما بكرة <sup>(٤)</sup> دراهم ، وقد انتهى بهما السعي في الإيداع <sup>(٥)</sup> . فقالا للعجوز : صيرى بها إلى ابنك مع هذا الغلام حتى تودعيها لنا عنده ، ففضت بها ، والغلام معها .

(١) أضفنا العبارة التي بين قوسين ليتسق نظام الحكاية ، وقد كان في موضعها بياض بالأصل .

(٢) تخلف : تردد .

(٣) يتشطر : يعمل عمل الشطار ، وهم اللصوص .

(٤) بكرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

(٥) انتهى بهما السعي في الإيداع : كان هذا آخر ما يريدان إيداعه .

[ قالوا<sup>(١)</sup> ] فحدثنا الغلام قال : صرنا إليه ، وقد فتح باب البرج وأخرج فراخاً زغباً ، وهو ينظر إليها ، فأدينا الرسالة إليه . فقال : ليس لي خزانة ولا صندوق ، ولكن أجعلها في هذه المحضنة<sup>(٢)</sup> الخالية من البرج . قال : ففعلت وانصرفت . فأجمعنا<sup>(٣)</sup> على أنه يمزقها مع الغلمان وسباق الحمام .

ثم صلح ما كان التث<sup>(٤)</sup> من أمرنا ، واطمأنت نفوسنا مما كان أخافنا ، فبعثنا فيما كنا أودعناه الشيخ ، فقال للغلام : غلظت بي ، وليست الرسالة إلى . فلما رجع بالجواب إلينا تحيرنا وركبنا إليه ، فاستمر في الجحود وتضحك مما لقيناه به ، ورجعنا وقد لحقنا من فقد الوديعه أكثر مما كنا نخافه من النكبة<sup>(٥)</sup> . وميلنا<sup>(٦)</sup>

(١) زدنا ما بين القوسين ليتسق الكلام .

(٢) المحضنة : المكان الذي يحضن فيه الطائر البيض .

(٣) فأجمعنا : في الأصل جمعنا .

(٤) التث : اختلط واضطرب .

(٥) النكبة : أى في أموالنا بمصادرتها .

(٦) ميلنا : ميل بين الشئين ومايل : وازن .

بين مُطالبته بما نُذبه<sup>(١)</sup> به<sup>(١)</sup> على مقدار ما أودعناه ، ونُطمع من خِفناه ،  
وبين الإمساك عنه ، وتربص<sup>(٢)</sup> الأيام به ، فالت نفوسنا إلى الإمساك  
لما اجتمعت لنا الضمائر المُغادرة للعدل<sup>(٣)</sup> . واجتازت بنا العجوزُ  
فقلت : قد رددنا ما أودعناه<sup>(٤)</sup> وبقى أبني . واقتضت<sup>(٥)</sup> الغلام  
يحملُ البدرَةَ ، فبعثنا به معها .

فحدثنا الغلام قال : وافيناه بين يدي البرج فأدت العجوزُ إليه  
الرسالة . فقال للغلام : ادخلُ نُخذها من المحضنة التي خلقتها فيها .  
فصار بها إلينا الغلام ، وعليها ذرق<sup>(٦)</sup> الحمام ، فوزناها فوجدناها

---

(١) بما نُذبه به : الباء للتصوير أى بين مطالبته المصوّرة بأنها تؤدي إلى تنبيه  
الخليفة إلى ما أودعناه خفية .

(٢) تربص : انتظار .

(٣) لما اجتمعت لنا الضمائر الخ : يقول آثرنا الإمساك عن الشكوى حينما  
اجتمعت لنا وأتانا النفوس التي نبذت العدل والإنصاف . وفي الأصل : الصغائر  
وقد رجحنا أن تكون الضمائر .

(٤) قد رددنا ما أودعناه : اعتقدت العجوز أنها استردا وديعهما التي كانت  
عند الشيخ لأنهما لم يخبراها بخبره .

(٥) واقتضت الغلام الخ : أى وطلبت منا أن تذهب مع الغلام ليحمل البدرَةَ .

(٦) ذرق الحمام : نجوه ، وفعله من بابي نصر وضرب .



على ما كانت عليه ، فكثُر تعجبنا من أمانته وأخرجنا من البَدْرَةِ  
ألفِ ذرهم وتقدّمنا إلى الغلام بالمصير بها إليه ، فرجع الغلام إلينا  
فقال : رمى بها إلى وشبّني . فأثرنا ارتباطه <sup>(١)</sup> وقلنا للعجوز صيرى به  
إلينا الساعة . فوافانا ، فقلنا : انبسطنا إليك فانقبضت عنا ! فقال : الخيانةُ  
(أعزكم الله) أسهلُّ من أخذِ أجرةٍ على الأمانة . فقلنا : جزاك الله  
خييراً ! فقد وجدنا فيك ما لم نجد في غيرك . فقال : وتخلّف عنكم  
شيءٌ ممّا أودعتموه ؟ فقلنا : نعم ، فقال : عرفوني فإنّي أرجو أن  
أخذّه لكم بالطّفِ حيلةٍ . فرأيناه لما فيه من فضل النفس ، وكرم  
السجّية أهلاً لأن نبّه وجدنا ، فأخبرناه . فقال : ينبغي أن تتقدّما  
إلى بعض من تثقن به من غلمانك أن يتيقظ ، فلعلّي أن أأديه  
الليلة . فقلنا : وما تريد بذلك ؟ فقال : ما لا يجوز أن أأديه ، وأرجو  
عونَ الله عليه ، والتفريجَ عنكما به ، ففعلنا ذلك ، وما يتناول سُؤلاًنا  
إلى ما أتاه <sup>(٢)</sup>

(١) ارتباطه : عقد الصلّة بيننا وبينه واستخدامه فيما يحدّ من شئوننا .

(٢) وما يتناول سُؤلاًنا الخ : وما كان يمتد أملنا إلى ما أتاه من الحصول  
على الوديعة .

بجمع إخواناً له في عدّة كثيرة من الشطّار، واقنحتم على المُستودع  
وقال له : ما جئنا لنهبك ، ولا نتعرّض لشيء من مالك ، وما جئنا  
إلا لوديعة ابني عمر الأخباري ، فإن أديتها خرجنا وكأنّا ما دخلنا ،  
وإن بحدت واعتمدت بصياح ، قتلناك الساعة ، وسهل علينا عقوبتنا  
فيك ، وقتلنا بك ، لأنّا نرزق الشهادة في القتل والمثوبة ، إذ كُنّا نُجاهد  
عما اخترلته <sup>(١)</sup> . وضرب إلى لحيته <sup>(٢)</sup> وأعجّله . فقال : هي في هذه  
الخزانة ، ودعا بسلام فقال : أخرج جميع ما [أودعناه ابنا] عمر . فأخرج  
سقطاً كان فيه جواهر ، وسقطاً فيه أثواب وشي مذهب صحاحا ،  
وبدورا <sup>(٣)</sup> فيها مال . فقال : والله لئن خلقت شيئا لنظن <sup>(٤)</sup> دمك ،  
ولئن كنت أديت الأمانة لنكونن أولياءك ، والمقيمين بأمرك .

فوفى باب منازلنا ، فصاحوا بالغلام ، وهم يحملون الوديعة ،  
فوضعوها بين أيدينا وحدّثونا بحديثهم ، وقالوا : استعرضوا وديعتكم

(١) اخترلته : اقتطعته لنفسك .

(٢) وضرب إلى لحيته : أي وضرب ابن العجوز الشيخ موجها الضربة إلى  
لحيته .

(٣) وبدورا : جمع بدرة .

(٤) لنظن : لتهدرن دمك .

فنحن في الدهليز حتى تفرغاً وتُخبرانا : هل بقيَ منها شيء أم لا<sup>(١)</sup> !  
فلها عرضناها على ثبّتها<sup>(٢)</sup> عندنا ، ما<sup>(٣)</sup> غادرت شيئاً منه ، وعادت بما  
ردّ إلينا نعمتنا ، وانحسمت فاقتنا ، ولم نجد في الجماعة من قبل شيئاً  
مما بذلناه ، وانصرفوا .

\*  
\*  
\*

وحدثني أحمد بن أيمن ، قال :

كنت أكتب في حديثي للعباس بن خالد البرمكي . وكان طويلَ  
اللسان<sup>(٤)</sup> ، مخشّي الغضب . فإني لجالس بين يديه في داره بمدينة السلام  
حتى دخل علينا شابٌ حسنُ الصورة ، رثُ الهيئة ، فأكبَّ عليه<sup>(٥)</sup>  
فقال : ألسنت ابن فلانٍ صديقنا ؟ فقال : نعم يا سيدي ! فقال :  
قد كان حسنَ الظاهر ، جميل الهيئة ، فما بلغ بك إلى ما أرى ؟

---

(١) هل بقي الخ : التعبير السائق : أبقى منها شيء أم لا ؟

(٢) ثبّتها : الثبت : الدفتر أو القائمة .

(٣) ما : في الأصل فما .

(٤) طويل اللسان : يقصد المؤلف بطول اللسان ذرايته وقوة حجته

(٥) فأكب عليه : أقبل واتجه .

قال : كان تَجْمَلُهُ أَوْفَى من عَائِدَتِهِ<sup>(١)</sup> وتَوَفَّى فَكُنْتَ أَتْبَلَعُ بما يستعمله  
المُوفَى على جَاهِهِ<sup>(٢)</sup> ، إلى أن خان طبعى البارحة ولم أَطِقْ سَتْرَ مَا بِي ،  
فَقَصَدْتُكَ . فدعا بمائة دِرْهَمٍ وقال : تَمَسَّكَ<sup>(٣)</sup> بهذه إلى أن أَنْظَرَ  
لك في عَائِدَةٍ عَلَيْكَ من الشُّغْلِ<sup>(٤)</sup> .

فلما قام من عنده قال لِعِلاَمٍ يَثِقُ بِهِ : قُصَّ أَثْرَ هَذَا الْفَتَى ،  
فَانظُرْ مَا يَبْتَاعُهُ بهذه الدراهم ، وَأَخْصِصْهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ مَنْزِلَهُ ، وَأَعْرِفْ  
الْمَنْزَلَ وَصِرْ إِلَى . فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ! هَذَا غِلاَمٌ عَيْبَارٌ<sup>(٥)</sup>  
ابْتاعَ بِنَيْفٍ وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا سَمِيدًا<sup>(٦)</sup> وسكرا وعسلا ولحما كثيرا وحوانج  
الأعراس ، وأخذ طبآخا من طبائحي الأعراس ، وأحسب أن عنده  
دَعْوَةٌ ، وقد عَرَفْتُ مَنْزِلَهُ ، فقال : دعه .

(١) كان تجمله الخ : كانت مظاهره أعظم من موارده .

(٢) أتبلغ بما يستعمله الخ : اكتفى من القوت بما يصل إليه المشرف على نهاية جاهه .

(٣) تمسك بهذه : أمسك بها رمقك .

(٤) في عائد عليك الخ : أى فيما يعود عليك نفعه من العمل .

(٥) عيار : العيار فى اللغة الكثير المحبب والذهاب والذكى الكثير التطواف ،  
وقد استعملت الكلمة فى النشيط الذكى فى ارتكاب الجرائم المباهى بجرائمه .

(٦) سميدا : السميد . وبالبدال : الحوارى وهو الدقيق الأبيض من خالص

فلم تَمَضِ إِلَّا أَيَّامَ يَسِيرَةٍ حَتَّى وَافَى الْفَتَى ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَاسْتَثْقَلَ  
جُلُوسَهُ ، بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : يَا عَمِّي وَسَيِّدِي ! لَيْسَ يُشْبِهُ هَذَا اللَّقَاءُ  
مَا لَقَيْتَنِي بِهِ فِي الْأَوَّلَى ! قَالَ : كُنْتَ فِي الْأَوَّلَى رَاجِعًا لِصِلَاحِكَ ،  
وَأَنَا الْيَوْمَ آئِسٌ مِنْهُ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ظَنَنْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَخْبَرَنِي  
غَلَامِي أَنَّكَ أَنْفَقْتَ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ مَنْزِلَكَ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا . وَكَانَ  
حَقُّكَ إِلَّا تَزِيدَ عَلَى ثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ . فَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَ خَبْرِي لَقَدِمْتَ  
عُذْرِي . قَالَ : مَا خَبْرُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ مَعَ تَضَائِقٍ حَالِي أَمْسِكَ نَفْسِي  
عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَقْتَصِرُ وَأَهْلِي عَلَى الْبُلْغَةِ ، وَأَنَا سَاكِنٌ وَأَهْلِي فِي ظَهْرِ  
دَارِ فُلَانٍ (وَوَصَفَ رَجُلًا ظَاهِرَ الْبَسَارِ مِنَ التُّجَّارِ) وَكَانَ لَهُ طَاقَاتٌ  
فِي مَطْبَخِهِ تُفَضِّي إِلَى مَنْزِلِي ، فَأَوْلَمَ وَلِيمَةً لَا أَشْكُ فِي حُضُورِكَ إِيَّاهَا ،  
فَشَرِقَ مَنْزِلِي بِرَوَائِحِ الْأَطْعَمَةِ ، وَكَانَتْ الصَّبِيَّةُ مِنْ صَبِيَّاتِي تَخْرُجُ فَتَقُولُ :  
رَائِحَةُ جَدِّي يُسْوَى ! وَأُخْرَى تَقُولُ : رَائِحَةُ نُقَانِقٍ <sup>(١)</sup> تُثْقَلِي ! وَهَذِهِ تَقُولُ :  
” يَا أَبَةَ أَشْتَهِي مِنْ هَذَا الْفَالْوَدَجِ الَّذِي قَدْ شَاعَتْ رَائِحَتُهُ لُقْمَةً ! وَقَوْلُهُمْ <sup>(٢)</sup>

(١) نُقَانِقُ : وَهِيَ اللَّقَانِقُ بِاللَّامِ أَيْضًا ، وَهِيَ الْأَمْعَاءُ الْمَحْشُوءَةُ ، يَرَى بَعْضُهُمْ أَنَّ

الْكَلِمَةَ لَاتِينِيَّةَ الْأَصْلِ .

(٢) وَقَوْلُهُمْ : الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى أَوْلَادِهِ مِنْ بَنَاتٍ وَبَنِينَ .

يُقرِّحُ قلبي ، وأمّلتُ أن يدعوني فأتممّل التزليل<sup>(١)</sup> لهم ، فوالله ما رأني أهلاً لذلك ! فقلت : ولعلّه إذ نقضتُ عنده من منزلة من يدعون<sup>(٢)</sup> أن يبعثَ إليّ ؟ فوالله ما فعل ! فبتّ بليلاً لا يبيتُ بها المددوغ ، فأصبحتُ في الغداة ، فكنتَ أوثق<sup>(٣)</sup> في نفسي من سائر من بمدينة السلام . فلما أعطيتني تلك الدراهم اشتريتُ بها حوائج أصلح منها ما اشتهوّه ، فأكلوا أياماً منه ، وهم يدعون الله بالإحسان إليك<sup>(٤)</sup> ، والخلفُ عليك .

فقال له العباس : أحسنتَ بارك الله عليك ! ثم صاح يا غلمان :  
أسرّجوا لي ، ولبس ثيابَه وركب وركبتُ معه ، ودخل إلى

---

(١) التزليل : الزلة (بالفتح) اسم لما تحمل من مائة صديقك أو قريبك ، عراقية أو عامية . وقد صاح المصدر هنا من زلّل ، وقد كان يستعمل هذا الفعل في هذا العصر بصيغة المجرد . جاء في السيرة للبلوي في وصف أطمعة ابن طولون للفقراء والمستورين في كل جمعة : أنه كان يشرف على ذلك بنفسه حتى يأكلوا ، ويؤمرون ألا يخرج أحد أو يزلّ معه ما يقدر على حمله .

(٢) من يدعون : في الأصل : من يدعوني .

(٣) فكنتَ أوثق : أي كنت أقوى في نفسي من حيث التأميل فيك من سائر من ببغداد .

(٤) في الأصل : في الإحسان إليك .

صاحب الصنيع<sup>(١)</sup> فقال : دعوتنى وجماعةً وجوه بغداد إلى طعامٍ  
مقتننا الله عليه، وعرضت نعمتنا للزوال، وأنفسنا إلى احترام الأعمار<sup>(٢)</sup> !  
وقص قصة الفتى ، وقال : عزمت على أن أصدق عن كل من حضر  
وليمتك<sup>(٣)</sup> ، وتكون<sup>(٤)</sup> سبباً لتخلف الناس عنك ، والإمساك عن  
إجابتك أنحرى الليالى<sup>(٥)</sup> ، فقال : أنا أفدى إذا عنك بما غفلت  
عنه بخمسة دینارٍ ، قال : أحضرها فأحضرها ، فقال<sup>(٦)</sup> : اقبضها  
فقبضتها ، ثم ركب إلى جماعة فقال : أعطوني في معونة رجلٍ من  
أبناء النعم اختلت حاله ، فأخذ منهم خمسمائة دینارٍ أنحرى ، ورجع إلى

(١) الصنيع : الدعوة .

(٢) احترام الأعمار ، ذهابها : يقال احترام فلان بالبناء للفعول : مات واحترمه  
المنية : أخذته كتخزيمته .

(٣) عزمت على الخ : أى عزمت على أن أؤدى صدقه عن كل شخص حضر  
وليمتك حتى أدفع عنهم السوء ، لأنهم حضروا طعاما كان غيرهم أحق به .

(٤) وتكون سبباً : وتكون أنت بدفعى إلى هذا العمل سبباً لتخلف الناس عنك ،  
لأنهم لا يقدمون على طعام رجل يقصر فى دعوة من تجب دعوته .

(٥) أنحرى الليالى : يقال لا أفعله أنحرى الليالى أو أنحرى المنون أى أبدا .

(٦) فقال : أى العباس للنفى .

منزله ، وقد كان أمرَ الفتى<sup>(١)</sup> ألا يبرحَ منه ، فأدخله إليه ، وقال :  
فيم تهشُّ إليه من التجارة ؟ فقال في صناعة الأتماط<sup>(٢)</sup> فإنها صناعةُ  
أسلافنا ، ومن بها يعرفُ حقوقنا ، فدعا برجلٍ منهم حسنِ اليسار  
فأخرج إليه الألفَ الدينار التي أخذها ، فقال : هذا المأل لهذا  
الفتى فليكن في دكانك ، واشتر له بها ما يوصلُحه من المتاع وبصره به .  
ثم قال للفتى : احذر أن تُنفقَ إلا من ربح ! فأنصرف الفتى وقد ردَّ  
عليه ستره .

خلف لى أحمدُ بنُ أيمنَ : أن بضاعته تُمرت<sup>(٣)</sup> وأرباحه اتصَلت  
وعاملَ السلطانَ ، ودخل في جملة التجارِ وجلبتهم .

\*  
\*  
\*

---

(١) وقد كان أمر الخ : حينما ركب في طلب خمسمائة الدينار الأخرى .

(٢) الأتماط : جمع نمط : ظهارة الفرش وضرب من البسط .

(٣) مُمزت : في الأصل تُمزت ، وهو تحريف .



وحدثني أحمد بن أبي عمران عن مسلم بن أبي عَقْبَةَ عن  
أبيه عَقْبَةَ ، ( وكان عَقْبَةُ هذا مُصَادِقًا لِأبي يُوسُفَ القَاضِي وَتَرَبًّا<sup>(١)</sup> )  
له ) ، قال :

كان أبو يُوسُفَ قد انقطع إلى أنحاء الفقه فأحسن القول  
عن أبي حنيفة<sup>(٢)</sup> وكانت زيادته في العلم ، بمقدار نقصانه  
في الرزق ، وكان كُلُّ من يستعرض حاله بالكوفة ، يُشير عليه  
[بالنزوع] إلى بغداد ، ويرى أبو يُوسُفَ صواب ما يُشار به عليه  
فيُقَعِدُهُ نقصان حاله عن المركب الفاره<sup>(٣)</sup> ، واللبسة التي تُشبه من  
حلَّ<sup>(٤)</sup> محلّه من العلم ، وتزِع<sup>(٥)</sup> إليه من أقصى النواحي .

وكان له غلام كان لأبيه ، حاذق بعمل الجواشن<sup>(٦)</sup> والدروع وكثير  
مما يُحتاج إليه من آلة الحرب . وكان يأتيه في كل شهر بما يقوته

(١) ترابله : ولد معه ، قاربه في السن .

(٢) هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق  
أحد الأئمة الأربعة ، توفي ببغداد سنة ١٥٠

(٣) الفاره : المملح الكريم .

(٤) تشبه من حل : تليق بمن حل الخ .

(٥) وزع إليه : ومال الناس للأخذ عنه وقصدوه .

(٦) الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبس على الصدر لوقايته في الحرب .

في حاضرة الكوفة ولا يُعنيه على حَضرة السلطان . فرغب الغلام  
في عاملٍ<sup>(١)</sup> للمهدى على الكوفة<sup>(٢)</sup> (قد ذهب على اسمه) . فطلبه  
من أبي يوسف (وهو يومئذ من أصاغر رعاياه) فباعه منه بتسعين  
ديناراً ، وخرج عند ذلك إلى بغداد . فارتاد دابةً وثياباً .

وكان لعبد الله بن القاسم الغنوي أحد أصحاب الأعمش<sup>(٣)</sup> محلٌّ  
من المهدي ، ولم يكن في المجالس التي تنعقد ببغداد في الفقه أجلُّ  
من مجلسه . فدخل أبو يوسف مع كافة من دخل من غير تسليم  
على عبد الله ، ولا مقدّمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف حسنَ  
الصورة ، جميلَ الإشارة ، لطيفَ التخلُّص والاحتجاج ، فقبِلَ قلبُ  
عبد الله ، ولم يعرفه .

---

(١) في عامل : في خدمة عامل .

(٢) الكوفة : كانت مدينة العراق الكبرى وهي قبة الإسلام ودار هجرة المسلمين ،  
يقال إن أول من مصرها سعد بن أبي وقاص .

(٣) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ، تابعي مشهور ، أصله من بلاد الرى ،  
وكان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض ، توفي بالكوفة سنة ٢٤٨ هـ .

وجرت مسائل وأجوبة، كان حظ القياس فيها مقصراً، وكان الاحتجاج على ظاهر القول (١). فنكلم أبو يوسف فيها فأحسن الاحتجاج وجود، وأعانه على هذا طول لسانه، وحسن بيانه، ثم سألهم فقصروا عن الجواب، فأبان عدولهم (٢) برفق. فلما تقضى المجلس عاتبه عبد الله على تخلفه عنه، أو تعريفه مكانه، وسأله أين نزل، فأخبره. فرغب له عن الموضع الذي سكنه، ودعاه إلى منزل بالقرب منه. وقرّر خبره عند أبي عبيد الله كاتب المهدي، فوصله بالمهدي وأسنى رزقه. ثم قرّنه بالهادي فأقام معه مدة أيامه، وبلغ مع الرشيد ما لم يبلغه عالم بعلمه، ولا محبوب بمرتبته.

\*  
\*  
\*

---

(١) كان حظ القياس الخ: القياس في علم الأصول هو إلحاق شيء بشيء في الحكم لمشابهة بينهما، وكان أصحاب أبي حنيفة أصحاب استنباط وقياس. يقول إن المناقشة كانت تدور حول ظاهر النصوص، وكان حظ القياس والاستنباط ضعيفاً.

(٢) عدولهم: أي عن الصواب.

وحدثني عليُّ بنُ سَنَدٍ ( وكان انقطاعه في أيام الموفق والمعتضد <sup>(١)</sup> )  
إلى أحمد بن محمد بن إسحاق بن إسحاق ( وكان آل عبيد الله بن وهب  
يُحَدِّثُونَ [ عليه ] سِوَالْف <sup>(٢)</sup> مُنْكَرَةً . ( ولم يكن مع عبيد الله من  
سِوَاءِ الْمُبَادَاةِ <sup>(٣)</sup> مَا مَعَ الْقَاسِمِ ابْنِهِ <sup>(٤)</sup> ) . فَلَهَا حُسْنُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ  
إِسْطَاطٍ قَبِضَ عَلَيْنَا مَعَاشَرَ خَلْفَائِهِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَأَثْبِتْنَا فِي جَرِيدَةٍ <sup>(٥)</sup> .  
وَتَقَدَّمَ لِإِحْضَارِنَا إِلَى دَارِهِ ، فَيُنْسِنَا مِنَ الْحَيَاةِ .

وقال لي عليُّ بن سَنَدٍ : فلم يكن في جماعتنا أضعف حالاً مني ،  
ولا أقل ناصراً . فرأيت الموت ، وحملنا إليه ، وقد أخضر الجلادين والسياط

---

(١) المعتضد : هو أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أحد الخلفاء العباسيين ،  
بويج بالخلافة بعد وفاة عمه المعتضد سنة ٢٧٩ ، وكان شجاعاً ذا عزم مهيباً .  
وفي المؤرخين من يقول : قامت الدولة العباسية بأبي العباس وجددت بأبي العباس ،  
يريدون السقاح والمعتضد . توفي ببغداد سنة ٢٨٩ هـ . (الأعلام جزء ١) .

(٢) سِوَالْف : أمورا حصلت منه .

(٣) سِوَاءِ الْمُبَادَاةِ : يقال بادى بالعداوة : جاهر بها .

(٤) هو القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي . كان شاعراً وكان قليل الخبرة  
بأمور السياسة ، وإنما استوزره المكتفي لأنه أخذ له البيعة وحفظ عليه الأموال .

توفي سنة ٢٩١

(٥) جريدة : قائمة تدون بها الأسماء .

والموَكِّينَ بالمعابر<sup>(١)</sup>. قال : فُقِّدِمَ منا رجلٌ من جَلَّةِ أصحابِ أحمدَ بنِ  
بِسْطَامٍ فَضُرِبَ ، وأَخَذَ خَطُّهُ بِمَا أَدْلَمَ أَنَّهُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ  
رَجُلٌ ، ظَهْرُهُ إِلَيْنَا ، لَا نَعْرِفُهُ . فَلَمَّا فَرَغَ [ مِنْ ] أَمْرِهِ ، سَمِعْتُ الَّذِي بَيْنَ  
يَدَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : هَبْنِي عَارِفَتَكَ<sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ : ذَرُهُ حَتَّى يَرَى عِظْمَ  
مَا سَلِمَ مِنْهُ بِكَ<sup>(٣)</sup> . فَقَالَ : هُوَ يَرَاهُ غَدًا<sup>(٤)</sup> . فَقَالَ الْقَاسِمُ : سَلِمُوا  
عَلَى بَنِ سَنَدٍ ( لَا رِعَاةَ لِلَّهِ ) إِلَى صَاحِبِهِ أَبِي الْجَيْشِ ثَابِتٍ . فَرَأَيْتُهُ ، وَقَدْ  
قَبَّلَ يَدَهُ ، وَرَدَّتْ عَلَى الْحَيَاةِ بِشِفَاعَتِهِ ، وَأُطْلِقْتُ مِنْ غَيْرِ مُصَادَرَةٍ وَلَا عُقُوبَةٍ .  
فَلَمَّا رَجَعَ ثَابِتٌ إِلَى مَكَانِهِ ، وَسَارَ بِي رَسُولُ الْقَاسِمِ إِلَيْهِ ، قَالَ لِي : مَرَّ بِي  
اسْمُكَ فِي الْجَرِيدَةِ فَاسْتَوْهَبْتُكَ لِأَنَّ أَبَاكَ كَانَ مِنْ إِخْوَانِي بِخَزْيَتِهِ<sup>(٥)</sup>  
الْخَيْرِ عَلَى رِعَايَتِهِ وَالِدِي فِي .

\*  
\*\*

(١) بالمعابر : جمع معبر كبير ، وهو ما عبر به النهر (القارب) ولعلمهم كانوا بعد  
تعذيب المحكوم عليهم يقذفونهم في النهر ، ويجوز أنها محرفة عن المقابر أى إنهم كانوا  
يحضرون أصحاب المقابر لدفن من يموت بالتعذيب .

(٢) هبني عارفتك : أى هبني فضلا ومكرمة منك .

(٣) بك : بسبك .

(٤) غدا : أى حين يسمع بما جرى لأمثاله .

(٥) بخزيتته الخير : دعوت له بأن يجزى خيرا .

وحدثني محمد بن صالح الغوري قال :

كانت لي بضاعة أعودُ بفضلها على شملي<sup>(١)</sup> فافتقرتُ في معاملات  
في الصَّعيد وخرجتُ إلى من عاملته بجمعتها ، وكان مقدارها خمسمائة  
دينارٍ . وخرجتُ أريد الفُسطاط في رُفقة كثيرة الجمع . فلما كان منتصفُ  
طريقنا واني جمعُ من الصعاليك فسلبَ الناسَ جميعاً ، ودُهشتُ ، فرأيتُ  
منهم شاباً حسنَ الصورة . فقلت له : والله ما أملكُ غيرَ هذا الكيسِ  
فارفعه<sup>(٢)</sup> لي عندك فقال : وأين بيتك بالفُسطاط ؟ فقلت : في دور عباس  
ابن وكيد . فقال : ما أسمك ؟ قلت : محمدُ الغوري . قال : امضِ لشأنك .  
وجاء منهم من قلع ثيابي وسراويلي ، وانصرفوا عنا ، ولم أزد أن سوَّغتُ  
واحداً منهم جميعاً إما كان<sup>(٣)</sup> معي ، ودخلنا إلى الفُسطاط ونحن فقراء .  
فرجع كلُّ واحد منهم إلى ما تخلف له ، وبقيتُ ، ليس معي درهمٌ أنفقهُ .  
وإني جالسٌ على دَرَجَةِ المسجد<sup>(٤)</sup> بين المغرب والعشاءِ الآخرة حتى  
رأيتُ رجلاً قد وقَّفَ بي فقال لي : ها هنا منزلُ محمدِ الغوريِّ ؟ قلت

(١) شملي : أهل ومن أهل

(٢) فارفعه لي عندك : قصد بهذا التعبير أن يملق اللص وأن يفهمه أنه يودعه  
المال لأنه في الحقيقة كان يأتمن من عودته .

(٣) سوَّغت واحداً منهم الخ . سوَّغته إياه : أعطيته إياه .

(٤) المسجد : مسجد عمرو بن العاص .

أنا هو ، ولا والله ما اهتديتُ إلى الرجل الذي أعطيتُه المال ! لأنه  
كان عندي أول مالٍ ذاهبٍ<sup>(١)</sup> فقال لي : عَيَّنِي ! وأخرج الكيس  
فدفعه إلى فَرَدَّتْ عَلَيَّ جِدَّتِي ، وتطعمتُ الحياةَ . وكان بالقرب منا قائدٌ  
يُعرفُ بابنِ قَرا ، كنتُ معاملاً له ، وكان له محلٌّ<sup>(٢)</sup> . فسألتُ اللصَّ المبيتَ  
عندي ففعل . فأصبحتُ وصرتُ إلى ابنِ قَرا وقصصتُ عليه قصةَ  
الرجل . فقال لي : الطُف<sup>(٣)</sup> لي فيه ، فوالله لأُوهنَ باسمه ، ولأُكفأنه  
عنك ! فرجعتُ إليه فاخبرته . فوالله ما ارتاع ، ولا اضطرب ! ومضى  
معي . فأحسنَ تَلْقِيَه ، وخلعَ عليه ، وصيره سيارَةً<sup>(٤)</sup> لعمله وضمَّ ، إليه  
عدَّةً<sup>(٥)</sup> وافرة . ولم يزل في حيزه إلى أن تُوفِّي

\*  
\* \*

(١) لأنه كان عندي الخ : لأنه كان في اعتقادي أسبق مال إلى الضياع ،  
وذلك لليأس من الحصول عليه

(٢) محل : مكانة عظيمة .

(٣) الطُف لي فيه : قدمه لي في لطف ورفق .

(٤) سيارة : مصدر سار ، يدل على حرفة ، ويظهر أن المراد به حسن السير  
بالبلد أو العمل ، وقد كان ذلك عملاً من أعمال الشرطة ، وأطلقه هنا على  
العامل نفسه .

(٥) عدَّة : تقرأ بضم العين وكسرهما ، ولكل وجه .

حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه عن جده واضح .  
قال : كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر<sup>(١)</sup> عداوة<sup>١</sup>  
في أيام المنصور . وكان مصقلة بن حبيب ينقل عنه إلى جعفر  
ما يكره ، ولا يمكن المهدي أن يسطو على مصقلة ولا يمسه بسوء .  
فلما تولى الخلافة نذر دمه فاختنى .

حدثني مصقلة أنه نبأه موضعه الذي كان به فخرج مستترا يريد  
غيره ، فليحقه رجل من أعدائه ، وصاح في أصحاب الأرباع<sup>(٢)</sup> :  
هذا بغية أمير المؤمنين . فتسرع إلى الشرط ورأيت الموت عيانا .  
فبينما أنا في أيديهم اجتاز بي معن بن زائدة<sup>(٣)</sup> فصحت به :  
ياسيدي ! يا أبا المنذر ! أجزني أجاك الله . فقال للشرط  
والرجل المتشبه بي : خلوا عنه . فقال الرجل : ما ذا أقول  
لأمير المؤمنين ؟ قال : تقول له إنه عندي . ثم أمر بجملتي على جنبية<sup>(٤)</sup>

(١) مات في حياة أبيه المنصور .

(٢) الأرباع : رؤساء الأقسام بالبلد الموكول إليهم حفظ الأمن بها . وهو جمع ربيع (بضم فسكون) .

(٣) المعروف في التاريخ أن معن بن زائدة قتله الخوارج بسجستان سنة ١٥١  
وأن المهدي تولى الخلافة سنة ١٥٨

(٤) جنبية : الدابة تقاد إلى جنب الراكب .



من جنائبه، وسار بي إلى منزله، وقُدِّمَ طعامه فأكلتُ معه ومع ولده .  
فلما فرغنا من الطعام قيل له : وافي رسولُ أمير المؤمنين ، فقال  
لولده : اقضوا حقي عليكم بالآلِ تسلموا مضقلةً ، فقد استجار بي .  
فخلفوا له على ذلك وركب . فلما رآه المهدي قال : تجيرُ عليَّ  
يا معنُ ! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ! قال : ونعم أيضا ! قال :  
يا أمير المؤمنين ! قتلتُ في دولتك زهاءَ ثلاثين ألفِ عدوِّ ، ولا  
أستحقُّ أن أُجبر فيها عدوًّا واحدًا ؟ قال : نعم تستحقُّ ذلك ، قد  
وهبتك دمه . فقال : يا أمير المؤمنين ! ليس هكذا يُنعمُ مثلك  
بالحياة ، إذا تصدقتَ على أحدٍ بحياته فاجعلها في خفِضِ عيشٍ من  
نعمتك . قال : يُعطى ألفَ دينار، قال : يا أمير المؤمنين لا تستوي  
جائزتك وجائزة عبدك معنٍ ، هذا ما سمحتُ له به . فقال : ادفعوا  
إلى جار معنِ ألفي دينارٍ .

فحملتُ معي إلى منزلي ثلاثة آلاف دينارٍ وأمنتُ على نفسي .

\*  
\* \*

وحدثني ربيعة بن أحمد بن طولون<sup>(١)</sup> . قال : لما توفي  
نجمارويه قبض علي وعلى مضر وشيبان<sup>(٢)</sup> ابني أحمد بن طولون ،  
جيش<sup>(٣)</sup> بن نجمارويه ، وحبسنا بدمشق . فلما قفل إلى مضر حبسنا  
في حجرة من الميدان معه ، وكانت لنا في كل يوم مائدة نجتمع عليها .  
وكان في الحجرة رواق وبينان ، وجلسنا في الرواق ، فوائى خدم له فأدخلوا  
أخانا مضر في البيت ، وأغلقوا عليه الباب . فانفصل عنا ، وكانت المائدة  
تقدم إلينا ونمنع أن نلقي إليه منها شيئاً . فأقام خمسة أيام لا يطعم ولا  
يستغيث . ثم وافانا ثلاثة من أصحاب جيش . فقالوا : مامات أخوكم بعد ؟  
فقلنا : ما نسمع له حساً ، ففتحوا الباب فوجدوه حياً ، ورام القيام

---

(١) نفى إلى الاسكندرية حينما ولي هارون بن نجمارويه ، ثم كاتبه أهل مصر  
يطلبون إليه الحضور ليتولى عرش مصر ، فسبق جيشه ، فاشعر الناس إلا  
وهو بالجلب المقطم ، وكان يطمع في أن ينضم إليه الناس فلم يفعلوا ، فأخذ يقاتل  
وحده حتى كل وتكاثر عليه الجنود فاعتقل ، وضرب بالسياط حتى مات سنة ٢٨٤

(٢) ولي أمر مصر بعد قتل هارون بن نجمارويه سنة ٢٩٢ ولم يستقم له الأمر  
فبعث إليه محمد بن سليمان يؤمنه على نفسه وأهله ، فذهب إليه ثم فر تحت ستار  
الليل ، وبه انتهت الدولة الطولونية .

(٣) ولي مصر بعد قتل نجمارويه سنة ٢٨٢ وكان سعي السيرة ضعيف السياسة  
نفرج عليه كبار قواد دولته ، وقتل سنة ٢٨٣

فلم يصل إليه . ورماه الثلاثة بثلاثة أسهم في مقاتله فظفا<sup>(١)</sup> . وكانت  
الليلة التي دخلوا فيها ليلة جمعة ، وأخرجوه وأغلقوا الباب علينا .  
وأقننا يوم الجمعة والسبت فلم يقدم إلينا طعام . فظننا أنهم يسلكون  
بنا طريقه . فلما كان يوم الأحد سمعنا رجّة في الدار ، وفتح باب  
الحجرة ، وأدخل إلينا جيش بن نهمارويه ! فقلنا : ما خبرك ؟ فقال  
غلب أحمى على أمرى ، وتولى إمارة البلد هارون بن نهمارويه<sup>(٢)</sup> .  
فقلنا : الحمد لله الذي قبض يدك ، وأضرع<sup>(٣)</sup> خدك ! فقال : ما كان  
عزى إلا أن الحقا بأخيكا .

وأنفذ [هارون]<sup>(٤)</sup> إلى جماعتنا مائدة ، فلما طعمنا بعث إلينا خادما :  
أن جيشا كان قد عزم على قتلكما كما قتل أخاكما فاقتلاه وخذا بئرا كما  
منه وانصرفا على أمان . وبعث إلينا خدما فتنسروا إليه فقتل .  
وانصرفنا إلى منازلنا وقد كُفينا عدونا .

\*  
\*

(١) ظفا : مات .

(٢) ولى مصر سنة ٢٨٣ وهو صبي ، والأمر كله مردود إلى ابن أبالي ، ثم نخرج  
لقاتل محمد بن سليمان فانهمز بقتيس وتفرق عنه جنده ، فدخل خيمته عليه عماء شيبان  
وعدى وقتلاه سنة ٢٩٢

(٣) أضرع : أذل .

(٤) زيد ما بين القوسين ليتسق نظام الكلام .

وحدثني منصور بن إسماعيل <sup>(١)</sup> الفقيه . قال :

خرج رجل نعرفه بـنجارة ، قصده إلى الهند . فرجع إلينا بأنواع من  
الطيب كثيرة لها قيمة خطيرة ، وهو في نهاية السرور . فقلنا له :  
كم ربحت التجارة التي خرجت بها من عندنا ! فقال :

غرقتُ وسائرُ من كان معي ، فسلبتُ بحشاشة <sup>(٢)</sup> نفسي في جزيرة  
من جزائر الهند . فتلقاني قومٌ فيها وجاءوا بي إلى ملكهم . فقال لي :  
قد نعدت الموهبة <sup>(٣)</sup> الخارجة عنك فما معك من الموهبة الثابتة عليك ؟  
قلتُ : معي الكتاب <sup>(٤)</sup> والحساب . فقال الملك : ما بقي لك أفضل من الذي  
ذهب منك ! والصوابُ أن تُعلم ابني الكتاب بالعربية والحساب ،  
فأرجو أن نعوضك أكثر مما [ فقدته ] . وسلم إلى من ابنه أذكي  
صبي وأطفه . فتعلم في مدة يسيرة ما يتعلمه غيره في مدة طويلة .

(١) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التيمي ، فقيه شافعي أصله من رأس عين الجزيرة  
وقد رحل إلى مصر وسكنها إلى أن توفي سنة ٣٠٦ هـ . (الأعلام ج ٣)

(٢) حشاشة : الحشاشة بقية الروح في المريض والجريح ونحوهما .

(٣) الموهبة الخارجة عنك : يريد الموهبة الزائلة وهي المال .

(٤) الكتاب : الكتابة .

فلما رأى أنه قد توجه <sup>(١)</sup> واستحققت منه الإحسان ، صار إلى صاحب الملك . فقال : معى هدية من الملك إليك . وأدخل إلى بقرة فتيية . ثم قال : أدفعها لك إلى الراعى ؟ فقلت : افعل . وصغر في عيني أمر الملك على عظيم شأنه . فما مضى زمن قصير حتى جاء الراعى فقال : ماتت البقرة . واستقبلني كل خاصة الملك بالتغمم <sup>(٢)</sup> . ثم ظهر في ابنه تزييد <sup>(٣)</sup> ، فبعث إلى ببقرة فتيية أخرى فرددها إلى الراعى . فما مضت مدة يسيرة حتى وافى يبشروني ، فقال : قد حملت البقرة . فلما انتهى حملها وضعت ، فهتأني حاشية الملك بأسرهم . ثم جلس الملك مجلساً عاماً ، وأحضر التجارة التي رأيتوها معى . ثم قال :

” لم يذهب على ما يجب لك في تعليم أبني ، ولم أبعث بالبقرة الأولى لفضل البقرة عندي ، ولكن نزلت بك محنة في البحر أتت على مالك

(١) توجه : أى توجه إلى ما وجهته إليه من صنوف العلم .

(٢) التغمم : الهمس والكلام الذى لا يبين الدال على السخط والتذمر .  
وفى الأصل : التغمم ، وهو تحريف .

(٣) تزييد : تقدم فى العلم .

فامتحننتُ بالبقرة ما أنت عليه منها <sup>(١)</sup> . وعلمتُ أتى لو أعطيتك جميع ما ملكت يدي ، وقد بقي منها <sup>(٢)</sup> شيءٌ لضاع منك ، وهلك لديك . فلها أُخبرتُ أنها ماتت علمتُ أنك فيها <sup>(٣)</sup> . ثم امتحننتُ أمرك بالبقرة الثانية فلها أُخبرتُ أنها قد حملتُ علمتُ أنها قد انحسرتُ عنك . فسُررتُ لك بذلك . واستظهرتُ <sup>(٤)</sup> بانتظار الولادة . فلها ولدتُ شخصاً كاملاً صحيح الأجزاء علمتُ أنك قد فارقتُ محنتك . وهذا ما أعددتُهُ لك . ثم وصلني بطيب قومته بعشرين <sup>(٥)</sup> ألف دينار . وحملني في البحر فسلبتُ ، وزاد بأرض العرب ثمنه على ما قومته .

قال منصور: فرأيتُهُ قد أيسر بعد الخلة <sup>(٦)</sup> والتلفيق <sup>(٧)</sup> في المعاش .

\* \* \*

(١) ما أنت عليه منها : حالك من حيث اتصافك بالمحنة ألا تزال عالقة بك أم فارقتك ؟

(٢) وقد بقي منها : من المحنة .

(٣) فيها . في المحنة ، لم تتخلص منها .

(٤) استظهرت : استوثقت

(٥) في الأصل : قومته عشرين .

(٦) الخلة : الحاجة .

(٧) التلفيق في المعاش : جمع الرزق من طرق متعددة ، لأن طريقة واحدة لاتقوم بصاحبها .

وحدثني أبو محمد يحيى بن الفضل . قال : اختفى عند والدي كاتبٌ للفضل بن <sup>(١)</sup> يحيى بن برمكٍ عند إيقاع الرشيد بهم . وكان يواصل البكاء عليهم ، ولا يسمع الوعظَ فيهم . فقال له أبي : أنا أرجو أن يخلف الله عليك ولا يضيعك ! فقال : والله ما بكأني لما فاتني منهم ، وإنما بكأني بحلالة أخطارهم ، ونفاضة أقدارهم ، ولقد كان لصاحبي <sup>(٢)</sup> في الجمعة السالفة ما لم أسمع بمثله لقديم ولا حديث : قال لي : قد كثُر الزوار <sup>(٣)</sup> علينا فانظر مقدار ما انصرف وارفع إلى عدة من بقي من الزوار لا تقدم في برهم ، واحذر أن ترفع إلى رجلاً من أهل الشام ، لأنه كان يتشيع <sup>(٤)</sup> . فخرجتُ فألقيتُ من فضل عن المنصرفين أربعةً وثلاثين رجلاً . وجاءني رجلٌ من أهل الشام

---

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي وأخوه في الرضاع ، استوزره الرشيد مدة ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨ هـ . ولما فكك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧ هـ . قبض عليه وسجنه بالرقعة إلى أن توفي في سجنه سنة ١٩٣ : (الأعلام جزء ٢) .

(٢) لصاحبي : للفضل بن يحيى .

(٣) الزوار : المجتدون وطلاب الحاجات .

(٤) لأنه كان يتشيع : يرى رأى الشيعة وهم أصحاب علي بن أبي طالب . وكان الفضل يبغض أهل الشام لأنهم خذلوا علياً ونصروا معاوية .

كاملُ الأدب ، ظريفُ الشاهد ، فأعلمته ما تقدم به إلى<sup>(١)</sup> .  
فقال : يا أحمى ! أسألك أن تغالطَ بي وتثبتني في وسطِ الجريدة !  
ففعلتُ ذلك . فنظر إلى الأسماء ثم قال : ألم أتقدم إليك ألا يكونَ  
في الجريدة شامئٌ ؟ فقلتُ : وأين الشامئُ ؟ فوضع ( شهد الله ) يده  
على اسمه وحلق . ووقع بيده لكلِّ واحد غير الشامئ ، فما قصرَ بأحدٍ  
عن مائة دينار ، وأمرني بإطلاقها وإنفاقها فيهم . بغلستُ أفرقها ،  
ووافي إلى الشامئ فأرَيْته اسمه خالياً ، وحدثته حديثه . فقال : لو قُضِيَ  
شيءٌ لكان ! وأحسن الله جزاءك على ما قدمته من العناية بي !  
وانصرف . وقد غمّني أمره ولم يبقَ في الزوّار أحدٌ حتى أخذَ .

فأنا في منزلي قريباً من نصف الليل حتى وافاني رسوله<sup>(٢)</sup> ، فصرتُ  
إليه ، فقال : أويّت الساعة إلى فراشي واستعرضتُ بفكري شُغلَ  
الزوّار ، وما أمرتُ به لهم فحسنُ عندي ، ثم قبّحه في عيني حرمانُ  
الشامئ المسكين ، ورأيتُه نقصاً في مروءتي . فتقدّم في دفع مقدار  
ما وصل إلى جماعة الزوّار إليه . فقلت ياسيدي ! وصل إلى جماعة

(١) ما تقدم به إلى : ما أمرني به الفضل بن يحيى .

(٢) رسوله : رسول الفضل .



الزُّوَارِ نَحْمَسَةَ عَشْرَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهَذَا يَكْفِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ . فَقَالَ :  
وَاللَّهِ مَا نَفَى أَلْفُ دِينَارٍ بَعْمَهُ ، وَقَدْ رَأَى غَيْرَهُ يَأْخُذُ ، وَقِيَامِهِ عِنْدَكَ  
مَحْرُومًا . قُمْ فَادْفَعْ إِلَيْهِ النِّمْسَةَ عَشْرَ أَلْفًا ، وَلَا تَعْدِلْنِي ، فَالْخَطَأُ  
فِي الْجَمِيلِ أَحْسَنُ مِنَ الصَّوَابِ فِي الْقَبِيحِ ؛ وَلَيْسَ يَشْكُرُ النَّاسُ مِنَ  
الْبُرِّ إِلَّا مَا أَفْرَطَ ، فَأَمَّا مَا بَلَغَ الْحَاجَةَ فَنَسِيَ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ ، وَالْوَاجِبُ  
عَلَى مَنْ آثَرَ جَمِيلَ الذِّكْرِ أَنْ يَتَغَمَّ أَيَّامَهُ ، وَلَا يَسُوفَ بَشْيَءَ مِنْ فِعْلِهِ .

قال أبو محمد : فبكي والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى  
خفتُ عليه . وقال : ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من هذا  
الرجل !

قال الكاتب : فخرجتُ وبنثتُ الرُّسُلَ فِي طَلَبِ الشَّامِيِّ حَتَّى  
وَجَدُوهُ ، فَوَافَانِي وَقَدْ آنَحَطَّ أَكْثَرُ لَحْمِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . فَقَقَصْتُ  
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَشَكَرْنَا جَمِيعًا ، وَقَبَضَ الْمَالُ  
وَانصَرَفَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ .

وَسَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي . وَهُوَ يَقُولُ :

كَانَتْ بَنِي وَيِينَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ مَدْبَرٍ سِوَالْفِ<sup>(١)</sup> تُرْعَى وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا ،  
فَلَمَّا تَوَلَّى مِصْرَ رَأَى حُسْنَ ظَاهِرِي فَظَنَّ ذَلِكَ عَنْ أَمْوَالِ جَمَّةٍ لَدِي .  
بِحَدِّ بِي فِي الْمُطَالَبَةِ ، وَأَخْرَجَ عَلَيَّ بَقَايَا لِعَقُودٍ أَنْكَسَرَتْ<sup>(٢)</sup> مِنْ آفَاتٍ  
عَرَضَتْ لِضِيَاعِهَا ، وَلَمْ يَسْمَعْ الْاِحْتِجَاجَ فِيهَا ، وَاسْتَقْصَرَ مَا أوردتهُ  
و [ ظَنَّ ] أَنْ مَا كَانَ عَنْ حِيلَةٍ<sup>(٣)</sup> . فَاحْتَبَسَنِي مَعَ الْمُتَضَمِّنِينَ<sup>(٤)</sup> .  
فَكَانَ يَغْدُو فِي كُلِّ يَوْمٍ غَلامًا لَهُ يُحِبُّهُ<sup>(٥)</sup> يُعْرِفُ بِفَضْلِ ، فَيَكْتُبُ  
عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مَا يُؤَدِيهِ فِي يَوْمِهِ ، فَإِنْ شَكَأ أَنَّهُ لَا يَبْصِلُ إِلَى شَيْءٍ  
أَخْرَجَهُ فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ وَطُولِبَ أَعْنَفَ مُطَالَبَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ بِي إِحْلَاحُهُ  
حَتَّى بَغْتُ حَصْرًا<sup>(٦)</sup> دَارِي فَضْلًا عَمَّا فِيهَا ، وَعَرَضْتُ دَارِي فَتَنَعْنِي مِنْ

(١) سِوَالْفِ : صَلَاتٌ قَدِيمَةٌ .

(٢) أَنْكَسَرَتْ : لَمْ يُؤَدَّ كُلُّ مَا قَرَّرَ فِيهَا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ .

(٣) وَظَنَّ الْخَطَّ : أَيُّ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الَّذِي حَصَلَ مِنْ إِصَابَةِ الضِّيَاعِ بِالْآفَاتِ وَالْعِجْزِ  
عَنْ أَدَاءِ مَا لَهَا لِلْسُّلْطَانِ إِنَّمَا كَانَ اِحْتِيَالًا لِاحْتِقَاقِ وَقَعَةٍ ، فَيَكُونُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ  
(عَنْ حِيلَةٍ) خَبْرًا .

(٤) الْمُتَضَمِّنِينَ : الضَّامِنِينَ لِأَمْوَالِهِمْ هِيَ دِيُونُ عَلَيْهِمُ لِلدَّوْلَةِ .

(٥) يُحِبُّهُ : يُؤَدِي عَمَلَ الْحِجَابَةِ لَهُ .

(٦) حَصْرٌ : مَفْرَدَةٌ حَصِيرٌ .

بيعها ، ووجه إلى : فأين يكون حرمك ؟ فوافاني كاتبى فى يوم من الأيام فقال لى : يشهد الله أنا مانصل لك اليوم إلى ما يقيمك فضلاً عن شىء تؤدبه ! وأمسك فضلاً غلامه عن الدخول فى ذلك اليوم علينا وتعرف ما يؤدبه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفذ إلى توقيعا ، نسخته :

”يا أبا الحسن أعزك الله . قد ألويت<sup>(١)</sup> بما بقى عليك ، وهو سبعة عشر ألف دينار ، وآثرنا صيانتك عن خطة المطالبة هذه المدة . فإن أزحت<sup>(٢)</sup> العلة فيها وإلا سلمناك إلى أبى الفوارس مزاحم ابن خاقان<sup>(٣)</sup> ( أيداه الله ) وسببت به عليك لأصحابه<sup>(٤)</sup> .“

فكثبت إليه رقة أحاف فيها إنى ما أمك عدد هذا المال حب حنطة ، ولو كان لى شىء لصنت به نفسى . فان رأى السيد رعاية

(١) الويت : مطلت .

(٢) أزحت العلة فيها : أزالت علة المطالبة وهى المطل .

(٣) ولى مصر فى عهد المعتز بالله وتوفى بها فى المحرم سنة ٢٥٤ وكانت ولايته على مصر سنة وعشرة أشهر ويومين ، وكان من المتشددين فى الدين ، وهو أخو الفتح بن خاقان (النجوم الزاهرة) .

(٤) وسببت به عليك لأصحابه : وحوّلت ما عليك من المال إليه ليطالبك به

أصحابه .

السالف بيني وبينه ، وسَتَرُ مُحَمَّدًا كَانَ أَهْلًا لِمَا يَأْتِيهِ ، وَإِنْ سَلَّمَنِي  
إِلَى هَذَا الرَّجُلِ رَجَوْتُ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ مَنْ (١) لَا يُخْطِئُ مَنْ رَجَاهُ .

فَرَجَعَ إِلَيَّ بَعْضُ غُلَامَانِهِ ، وَمَعَهُ رُقْعَةٌ مَخْتُومَةٌ ، فَاسْتَرَكْبَنِي وَسَارِبِي  
إِلَى مُزَاهِمٍ . فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهِ الرُّقْعَةُ أَدَخَلَنِي إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ كَاتِبٌ لَهُ  
يُعْرَفُ بِالْمُرُوزِيِّ ، فَعَرَّفَنِي مُزَاهِمٌ وَلَمْ أَعْرِفْهُ . وَكَانَ أَبُوهُ فِي الْحَارَةِ الَّتِي  
فِيهَا دَارُ أَبِي بَسْرٍ مَنْ رَأَى (٢) وَرَبَّتَهُ أُمُّ امْرَأَةٍ لِي تُعْرَفُ بِمَيْمُونَةَ مَوْلَاةٍ  
أُمِّ مُحَمَّدِ بِنْتِ الرَّشِيدِ ، وَلَا أَعْلَمُ لِي بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : أَنْتِ كَاتِبُ  
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، أَيْدِ اللَّهِ الْأَمِيرِ ! قَالَ : كُنْتُ  
أُرَاكَ ، وَأَنَا صَبِيٌّ فِي حَارَتِنَا ، وَوَاللَّهِ مَا طَلَبَ ابْنُ الْمَدِيرِ أَنْ يَرُوجَ  
عَلَيَّ (٣) مَالًا . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ أَقْتَلَكَ بِالْمُطَالَبَةِ . وَقَدْ قِيلَتْ التَّسْيِيبُ (٤) ،  
وَرَأَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْرِفُهُ رُزُوحًا (٥) وَقُصُورًا يَدِيكَ

(١) فِي الْأَصْلِ : مَا .

(٢) مَدِينَةُ بِنَاهَا الْمَعْتَمَرُ سَنَةَ ٢٢٠ وَبَقِيَتْ حَاضِرَةُ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ نَحْوَ  
سَبْعِينَ سَنَةً .

(٣) يَرُوجُ عَلَيَّ : رُوجَ الشَّيْءِ : عَجَلَهُ .

(٤) التَّسْيِيبُ : الْحَوَالَةُ .

(٥) رُزُوحًا ؟ الرُّزُوحُ السَّقُوطُ لِإِعْيَاءِ أَوْ هِزَالٍ . وَالْكَلَامُ عَلَى الْحِجَازِ .

عن هذا المال . فإن سهل وإلا نَجَمَه على وعلى رجالى حتى  
يُقَاضُوا به<sup>(١)</sup> في كلِّ نَحْم . ثم قال للمرورى : هذا رجلٌ من مشايخى ،  
وأُمُّ زوجته ببغدادَ تولت تربيتى ، وقد استكثبته<sup>(٢)</sup> على أمورى  
وما أحتاج إلى قبالته<sup>(٣)</sup> من الضياع بمصر . وليس يُزِيلُكَ عن  
رَسْمِكَ . وأخذ خائماً قد كان يُحْتَمُّ به الكُتُبُ بحضرتَه فأعطانيه ،  
وسألنى عن العجوز التى ربته . فقلت : هى بمصر معى . وانصرفتُ  
من عنده إلى منزلى . فكان أولٌ من هنأنى بحجلى منه ابنُ المدبر .  
ورجعتُ إلى نعمتى معه فى مدّة يسيرة .

\* \*

وحدثنى أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب<sup>(٤)</sup> . قال :  
كان إبراهيم بن الأعمى المهندسُ قد تقاصرت يده ، واختلت حاله ،  
فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ، ورَفَعَه إلى من أوصله إلى

(١) يقاضوا به : يطالبوا به .

(٢) استكثبته : جعلته كاتباً .

(٣) قبالة : القبالة هنا الانتفاع بأرض الدولة فى مقابل جزء من غلتها .

(٤) كان مصرباً وكان عالم زمانه فى علوم الرياضة ، تخرج عليه كثيرون ، وله  
مصنفات جلييلة ( أخبار العلماء للقفطى ) .

المأمون . قال أبو كامل : لحدّثني سنّد بن عليّ<sup>(١)</sup> فقال : سألت  
المأمون محمداً وأحمد ابن موسى بن شاكر المنجم<sup>(٢)</sup> عن منزلة  
إبراهيم بن الأعمى في الهندسة فقالا : منزلة ضعيفة ، وفيه عامية .  
فقال المأمون للسندی بن شاهك أحضرنى إبراهيم بن الأعمى .  
فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون تهيّبه فلم تبد منه كلمة . قال :  
فرايتُ انقطاعه<sup>(٣)</sup> قد سرّ ابن موسى ، وقالوا للمأمون : قد عرفنا أمير  
المؤمنين أنه ليس بحلّ من يدخل إليه . فقلتُ يا أمير المؤمنين : لولا أنك  
تبسّطنا بمناجاتك والمواظبة عليها لكنا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من  
كلامك . فأما تقصير هذين به في الهندسة فإني أشهد سيدي أمير  
المؤمنين أتى من بعض تلاميذه ، وعليه ابتدأت قراءة الهندسة . فأمر  
بإيصاله إليه مع خاصته وأجرى عليه ما وسّعه .

---

(١) المنجم المأموني ، فاضل خبير بتفسير النجوم وعمل آلات الأرصاد ، وكان  
يهودياً وأسلم على يد المأمون .

(٢) موسى بن شاكر : عالم في الهندسة هو وبنوه محمد وأحمد والحسن ، وكانوا  
جميعاً متقدمين في علوم الرياضة والهيئة وحركات النجوم وعلم الخيل والموسيقا .

(٣) انقطاعه : أي عن الكلام وإظهار مواهبه .

فقلت للسندی : متى قرأت الهندسة<sup>(١)</sup> . فقال : امتعضت<sup>(٢)</sup> والله  
فيما لحقه من تعسف هذين الرجلين . فنزلت<sup>(٣)</sup> هذا القول لأردّ به  
الإصغار عنه . فصلحت حاله ورجع إلى أفضل ما كان عليه .

..

وحدثني [ أبو كامل ] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا . قال :  
كان محمد وأحمد ابنا شاكر ، في أيام المتوكل ، يكيدان كل  
من ذكر [ بالتقدم ] في معرفة . فأشخصا سند بن علي إلى مدينة  
السلام وبعدها عن المتوكل ، ودبرا على الكندي<sup>(٤)</sup> حتى ضربه  
المتوكل ؛ ووجهها إلى داره فأخذها كُتبه بأسرها فأفرداها في خزنة  
سميت الكندية ، ومكن هذا لها استهتار<sup>(٥)</sup> المتوكل بالآلات المتحركة .

(١) متى قرأت الهندسة : أي على إبراهيم بن الأعمى .

(٢) امتعضت : غضبت .

(٣) فنزلت : نزلت الشيء أحلته ، والمواد من نزلت القول وضعته واخترعه .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب ، نشأ بالبصرة وانتقل إلى بغداد  
فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقا والهندسة والفلك ، وألف وترجم وشرح  
كتبا كثيرة يزيد عددها على الثمانيات . توفي سنة ٢٦٠

(٥) استهتار : الاستهتار شدة الولوع .

وتقدم<sup>(١)</sup> إليهما في حَضْرِ النهر المعروف بالجعفرى . فاسندا أمره إلى أحمد<sup>(٢)</sup> بن كثير الفرغانى الذى عمل المقياس<sup>(٣)</sup> الحديد بمصر (وكانت معرفته أوفى من توفيقه، لأنه ما تم له عمل قط) فغلط في فوهة النهر، وجعلها أخفض من سائرهِ . فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائرهِ . فدافع محمد وأحمد ابنا شاكر في أمرهِ . واقتضاهما<sup>(٤)</sup> المتوكل، فسعى<sup>(٥)</sup> بهما إليه فيه . فأنفذ مستحناً في إحضار سند بن على من مدينة السلام، فوافى، فلما تحقق محمد وأحمد ابنا شاكر أن سندا قد شخص أيقنا بالهلكة وييسا من رُوح الحياة .

---

(١) وتقدم إليهما : أمرهما المتوكل .

(٢) في تاريخ ابن خلكان أن الذى أنشأ المقياس أحمد بن محمد الحاسب القرصانى (ولعل القرصانى محرفة عن الفرغانى) ثم وصف ابن خلكان هذا المقياس وصفا دقيقا . انظر ترجمة ابن الرداد .

(٣) عمل المقياس الحديد : أمر المتوكل ببناء هذا المقياس سنة ٢٤٧ في ولاية يزيد بن عبد الله وهو المعروف بالحديد (التجوم الزاهرة) .

(٤) واقتضاهما : وطلبهما ليحاكهما .

(٥) فسعى بهما إليه : أى أحضرا إلى المتوكل للحاكمة . وقوله (فيه) أى بسبب هذا الأمر أو بسبب ابن كثير وغلطه .



فدعا المتوكل سندا . وقال [ له ] : ما ترك هذان الرديثان شيئا من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به ! وقد أتلفا جملةً من مالى فى هذا النهر ، فانخرج إليه حتى تتأمله وتخبرنى بالغلط فيه . فأتى قد آليت على نفسى إن كان الأمر على ما وُصف أن أصلبهما على شاطئه . وكل هذا بعين محمد وأحمد وسمعهما ، فخرج وهما معه .

فقال محمد [ بن موسى لسند ] : يا أبا أحمد ! ” إن قدرة الحر تذهب حفيظته ! ، وقد فررنا إليك فى أنفسنا التى هى أنفس أعلاقنا ، وما ننتكر أنا قد أسأنا — والاعتراف يهدم الاقتراف — فتخلصنا كيف شئت ” . قال لهما : أتما تعلمان ما بينى وبين الكندى من العداوة والمباعدة، ولكن الحق أولى ما أتبع . أكان من الجميل ما أتيتما إليه فى أخذ كتبه؟ والله لا ذكرتكما [ بصالحية ] حتى ترداها عليه ! فتقدم محمد بن شاكر فى حمل الكتب إليه، وأخذ خطه باستيفائها، فوردت رقة الكندى أنه تسلمها عن آخرها . فقال لهما : قد وجب لكما على ذمام<sup>(١)</sup> برد كتب هذا الرجل، ولكما على ذمام بالمعرفة التى

(١) ذمام : حق وحرمة .

لم ترعيها<sup>(١)</sup> في . والخطأ في هذا النهر يستتر مدة أربعة أشهر ، زيادة  
دجلة . وقد أجمع الحساب<sup>(٢)</sup> على أن أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ،  
وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر إبقاءً على أرواحكم . فإن  
صدق المنجمون أفئتنا الثلاثة ، وإن كذبوا وجازت<sup>(٣)</sup> مدته حتى  
تنقص دجلة وينضب النهر أوقع بنا ثلاثتنا .

فشكر محمد وأحمد هذا القول منه ، واستتر الأمر واسترقهما به ، ودخل  
إلى المتوكل فقال [ له ] : ما غلطا . وزادت دجلة وأجرى الماء  
فيه<sup>(٤)</sup> ، واستتر حال النهر ، وقتل المتوكل بعد شهرين من إجرائه ، وسلم  
محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا .

\* \* \*

---

(١) ولكما على ذمام بالمعرفة الخ : أى ولكما على حق بصله العلم التى تربطنا  
والتي لم ترعيها في .

(٢) الحساب : المنجمون الذين يحاولون معرفة الغيب بالنظر في النجوم وحساب  
مواقبتها وسيرها .

(٣) وجازت مدته : وتجاوز عمره المدة التى حددها المنجمون .

(٤) فيه : فى النهر .

وحدثني الحسن بن مسلم الأفریطشي ( ورأيتُه بعد أن علَّت سنُّه وبلغ المائتين . وكان صحيح التمييز ، سليم الحواس ) قال :  
ألحَّ غزونا على الروم ، وناهم منا مكروه عظيم ، فوجد<sup>(١)</sup> مملك الروم من هذا ، ونذر أن يُحربَ أفریطش<sup>(٢)</sup> ، ولو أنفق ذخائر مملكته ، فنظر إلى راهب محبوب تتعالم الروم زهادته . فأنزله من متعبده ، وضمَّ إليه أكثر جيوشه ، فوافي جمع لم يُحط بأفریطش مثله قط . ففرعنا إلى غلق الحصن ، وتسرع الروم إلى بناء مساكن لهم ، وخرجوا من المراكب ، وغلبونا على ميرة البلد وما يكون في جواره ، واشتدَّ الحصار ، ونزع السع<sup>(٣)</sup> ، وتعلق المأكول<sup>(٤)</sup> ، وشاع الجهد ، ثم زادت المكاره حتى أكل الناس ما مات من البهائم جوعاً ،

(١) وجد : حزن وغضب .

(٢) أفریطش : كريت ، جزيرة مشهورة ببحر الروم أول من غزاها جنادة ابن أمية الأزدي في سنة ٥٤ هـ في عهد معاوية ثم غزاها حميد بن معيوف الهمداني في خلافة الرشيد ، ثم غزاها في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي سنة ٢١٢ إلى أن تملكها أرمانوس في عهد المطيع سنة ٣٤٩

(٣) نزع السع : أسرع في الصعود ، يقال نزع الفرس سننا إذا جرى طلقاً .

(٤) تعلق المأكول ، يقال تعلق ضرع الناقة : ارتفع لبنها ، فتعلق المأكول :

قلته وامتناع وروده .

وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له<sup>(١)</sup>. فقال لهم شيخٌ : إني قد أراكم  
قد حرمتم التوفيقَ في قوتكم وضعفكم . والصوابُ أن تقبلوا مني  
ما أشير به عليكم . قالوا : قل . قال : تزكوا لله<sup>(٢)</sup> من قبيح  
ما يجهلكم عليه تظاهرُ النعمة والسلامة ، وأخلصوا له إخلاصَ مَنْ  
لا يجدُ فرجةً إلا عنده ، وافصلوا صبيانكم من رجالكم ، ورجالكم  
من نسائكم . فلما ميزهم هذا التمييزَ صاح بهم : عجبوا<sup>(٣)</sup> بنا إلى الله .  
فعجبوا عجةً واحدةً ، وبكى الشيخُ وبكى أكثرُ الناس . ثم قال : عجبوا  
أخرى ولا تستغلوا بغير الله . فعجبوا عجةً أعظمَ من الأولى وبكى  
الناسُ أيضا . ثم عجبَ الثالثةَ وعجبَ الناسُ معه .

وقال : تشرفوا<sup>(٤)</sup> من الحصنِ فإني أرجو أن يكونَ للهُ قد قرَجَ  
عنا . فحلفَ لي الحسنُ : إني تشرفتُ مع جماعةٍ فرأيتُ الرومَ قد  
قوضوا [رحالهم<sup>(٥)</sup>] وركبوا مراكبهم . وفتحَ بابَ الحصنِ فوجدوا

(١) له : الضمير يعود على الجمع المحيط بالمدينة .

(٢) تزكروا : تطهروا وأصلحو نفوسكم . وفي الأصل اتركوا ، وهو تحريف .

(٣) عجبوا : ارفوا أصواتكم .

(٤) تشرفوا من الحصن : تشرف المرء أوالمكان العالی علاه ، وقد ضمن

الفعل معنى تطلعوا .

(٥) رحالهم : مساكنهم .

قوما من بقاياهم فسألوهم عن حالهم . فقالوا : كان عميد الجيش  
بأفضل سلامةٍ إلى اليوم حتى سَمِعَ ضَجَّتَكُمْ في المدينة ، فوضع يدهُ  
على قلبه وصاح : " قلبي قلبي " . ثم طفا (١) . فانصرف من كان  
معه إلى بلد الروم .

ونخرجنا عن الحصن فوجدنا في تلك الأبنية من القمح والشعير  
ما وسع المدينة وأعاد إليها خصبها [ وكفينا ] جماعتهم من غير قتال .

\* \* \*

قال أبو جعفر :

ولما غلب ابن الخاليج على مِصر ونواحيها لم يكن بمصر أسوأ قدرةً  
على أسباب (٢) أبي عليّ الحسين بن أحمد الماذرائي (٣) من أحمد بن سهل

(١) طفا : مات .

(٢) أسباب : عمال وأتباع .

(٣) كان أبو عليّ الحسين بن أحمد وأبو بكر محمد بن عليّ من كبار رجال دولة ابن  
طولون ، وقد دبرا أمور دولته في الرجال والمال ولهما في الكتابة وتدير شؤون المملكة  
معرفة ودراية والماذرائي نسبة إلى ما ذرايا قرية بالبصرة ، وفي النجوم الزاهرة : أنه  
كان هو وعيسى النوشري على رأس الجند الذين قدموا مصر للقضاء على الدولة  
الطولونية ، وقد تولى خراج مصر بعد ذلك ، ثم توفي بدمشق سنة ٣١٤ هـ وكان كاتباً  
فاضلاً .

بن شَيْفٍ ، فلم يمض ، شهوراً حتى انهزم ابن الخليج وظفر به وحمل  
إلى العراق ، ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد بن  
بسطام إلى مصر متولياً بالأمانة على الحسين بن أحمد<sup>(١)</sup> وكاشفاً لما  
جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليج وأصحابه<sup>(٢)</sup> .

فقرّر أبو عليّ أمر المتضمنين<sup>(٣)</sup> بالحضرة عند أبي العباس ،  
فعرض بسهل بن شَيْفٍ ولم يدع سوءاً إلا ذكره به . فقال  
أبو العباس : سيعلم ما يجري عليه مني ! واتصل [ الخبر ] بسهل  
ابن شَيْفٍ فاستطير قلبه ، وكسف بالله . وأحضر مع جماعة أجلبوا<sup>(٤)</sup>  
من الكُتّاب مع ابن الخليج . فلما دخلوا عليه كاد يقوم إلى سهل بن  
شَيْفٍ ، ثم رفعه حتى كان أقرب إليه من أخص أصحابه . ودعا

---

(١) متولياً بالأمانة الخ : أي إنه تولى ليكون أميناً على الحسين ، وهي وظيفة كان  
يقصد بها ضمان متولى الخراج . جاء في السيرة : وأقر أحمد بن طولون أبا أيوب  
على الخراج من قبله ، وجعل عبد الله بن دشومة أميناً عليه .

(٢) وكاشفاً الخ : أي ومزيلاً لما جرى على الضياع من الاغتصاب والمصادرة  
وغيرهما في حكم ابن الخليج .

(٣) المتضمنين : المدينين للدولة بالخراج وما فرض عليهم من الغلات .

(٤) أجلبوا : أجلب : توعد بشرو جمع الجموع للناوأة ، والمعنى تجمعوا مع ابن  
الخليج وناصروه .

ابن حُبَيْشِ فَسَارَةً ، فنَظَرَ إِلَى سَهْلٍ ، وقال لأبي العَبَّاسِ : الأَمْرُ  
على ما وَصَفْتَ ، ثم أَطْلَقَ سَهْلًا مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فسأله أبو علي :  
هل تَعْرِفُهُ قَبْلَ هَذَا ؟ فقال : لا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهُ وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ <sup>(١)</sup> أَشْبَهُ  
النَّاسِ بِأَبِي .

وأَفْرَخَ <sup>(٢)</sup> رُوعَ سَهْلٍ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَلِطْفِهِ . وما زال حَفِيًّا بِهِ حَتَّى مَاتَ .

\* \*

قال : وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْخَلِيجِ لِحِمَايَةِ ضِيَاعِ <sup>(٣)</sup>  
كَانَتْ فِي يَدِي . فَلَمَّا تَمَخَّضْتُ <sup>(٤)</sup> دَوْلَتَهُ اخْتَفَيْتُ وَنَهَيْتُ وَخَفْتُ  
الإيقاعَ بِي ، واعتور <sup>(٥)</sup> ضِيَاعِي الْعِبَّالُ ، وَأَضَاقَتْ <sup>(٦)</sup> حَالِي . فاجتمع  
الخوفُ وَالنَّاقَةُ ، فرأيتُ بَعْدَ قَدُومِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ بَسْطَامٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ  
يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي ، وَأَنَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَلَّتِي وَخَوْفِي . فَكَانَتْ

(١) ورد عليّ منه : رأيت فيه .

(٢) أفرخ روع سهل : ذهب خوفه .

(٣) لحماية ضياع : المراد من حماية الضياع الإشراف عليها والانتفاع بنصيب  
من غلاتها .

(٤) تمخضت دولته : أي بالفتنة يقال تمخض الدهر بالفتنة : أتى بها .

(٥) اعتور : تداول وأخذ .

(٦) أضاقت حالي : ذهب مالي ، يقال : أضاق فلان : إذا ذهب ماله .

يقول : أنا أتكلّم في أمرك حتى تعودَ إلى محبتك . فلها أصبحتُ  
قصصتُ الرؤيا على مَنْ كنتُ مختلفيا عنده، وكان حاذقا بالعبارة<sup>(١)</sup> .  
فقال : يجرى لك فرجٌ بذكرِ أبيك<sup>(٢)</sup> . وطلب أبو العباسُ بنُ بسطام  
الدستورات<sup>(٣)</sup> القديمةَ ليعتبر<sup>(٤)</sup> منها عبرَ الضياع<sup>(٥)</sup> فأخرج إليه ما كان  
لسنةِ خمسين ومائتين وما قبلها . فرأى فيها اسمَ والدي في ضياعٍ  
كثيرة . فقال : من هذا يوسفُ بن إبراهيم ؟ فقال له أبو علي :  
هذا صاحبُ إبراهيم بن المهدي ، ورضيعُ المعتصم<sup>(٦)</sup> . قال  
أبو العباس : وصاحبُ كتابِ الطيخ ؟ قال أبو علي : نعم . قال فله  
ولدٌ ؟ قال : نعم في ناحيتي . قال : نَحُدْ لي منه كتابَ الطيخ وكتابَ

(١) بالعبارة : عبر الرؤيا عبرا وعبارة فسرهما .

(٢) بذكر أبيك : بسبب ما ذكره له أبوك .

(٣) الدستورات : الدستور : قانون الجماعات ، والمراد به هنا السجلات المحتوية  
على أوصاف الأراضي وحدودها والمشرفين عليها .

(٤) يعتبر : يتدبر ويتأمل .

(٥) عبر الضياع : العبر الشاطئ ، والمراد بعبر الضياع حدودها وكل  
ما يتعلق بها .

(٦) المعتصم هو ثامن الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة  
أخيه المأمون وبعهد منه ، وهو باني مدينة سامراء حين ضاقت بغداد بجنده ،  
وقد توفي بها سنة ٢٢٧ هـ . [ الأعلام جزء ثالث ] .



أخبار إبراهيم بن المهدي ، وصربه إلى حتى يقرأهما عليّ ، قال :  
أفعل .

وكان إسحاق بن نصير يعرف موضعي . فقال له <sup>(١)</sup> : أحتاج إلى  
أحمد بن يوسف . قال : تؤمنه وعلى إحضاره ! فكتب له أماناً  
بخطه وحلف فيه ألا يسوءني ، ولا يطالبني . فخرجت إليه وأحضرتهُ  
الكتابين ، وفرج الله عني بأضعف سبب .

\*  
\*

وحدثتني أم أسية قابلة أولاد نمارويه بن طولون ( وكان  
لها دين ، ومذهب جميل ، ومحل لطيف من نمارويه ) وقد تذاكرنا  
لطف الله ( عز وجل ) في أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم :  
أنه تزوجها وأختها أخوان . فاقبلت حال زوجها أختها ، وأدبرت  
حال زوجها . قالت : وتوفى زوجها بأسوأ حالة ، وخلف لها  
بنات ، وتعذر عليها تجهيزه من آخلاله . وتوفى زوجها أختها ، وقد  
خلف <sup>(٢)</sup> من العين والمسكن والأواني لوكد أختها .

(١) فقال له : أي قال أبو علي لإسحاق بن نصير .

(٢) خلف : المفعول به محذوف وتقديره " كثيراً " أو نحوها .

قالت: فكنتُ أجاهد في مؤونة ولدي ، وإذا وقف أمرى صرتُ  
إلى أختي فقلت : أقرضيني كذا وكذا استحياءً من أن أقول لها :  
هبي لي . ودخل شهر رمضان ، فلها مضى نصفه اشتهاً<sup>(١)</sup> على صبياني  
حلواء في العيد ، فصرتُ إلى أختي فقلتُ لها : أقرضيني ديناراً  
أعملُ به للصبيان حلواء في العيد . فقالت : يا أختي تَغِيظِيَنِي  
بقولك : ” أقرضيني ” وإذا أقرضتُك من أين تُعطيني ؟ أمن غلة  
دورك أو بُستانك ؟ ! لو قلتِ هبي لي كان أحسن . فقلتُ لها :  
أفضيك من لطف الله تعالى الذي لا يُحْتَسَبُ<sup>(٢)</sup> ، وجوده الذي  
يأتي من حيث لا يُرْتَقَب . فتضاحكت وقالت : يا أختي ! هذا  
والله من المنى ، والمنى بضائع النوكي<sup>(٣)</sup> ! فانصرفتُ عنها أجرُ رجلٍ  
إلى منزلي .

وكان في جوارنا خادمٌ أسودُ لبنت اليتيم امرأةٌ بحارويه . فلها  
بلغتُ حارتنا قال لي : في جوارنا امرأةٌ تُطَلِّقُ<sup>(٤)</sup> قد أوجعتُ

(١) اشتهاوا على صبياني : لغة ضعيفة .

(٢) يحتسب : يظن ويقدر .

(٣) النوكي : الحمقى .

(٤) تطلق : بالبناء للعلوم ، أصابها المخاض .

قلبي ! ادخلى إليها فليس لها قابلة . قالت أم آسية : ووالله ما عانيت  
مخوضةً <sup>(١)</sup> قط ! فدخلت إليها فمسحت جوفها وأجلستها كما كان  
القوابل يُجاسنني في طلقي ، فولدت من ساعتها . فلما أمسك <sup>(٢)</sup>  
صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها . فقلت : قد ولدت . فعجب  
من سرعة أمرها ، وظن أن هذا شيئاً قد اعتمده <sup>(٣)</sup> بحذق صناعة ،  
ولطف في مهنة ، فمضى إلى سته <sup>(٤)</sup> بنت اليتيم وكانت مقرِّباً <sup>(٥)</sup> بأول  
ولدٍ حمل لأبي الجحيش ، وقد عرض عليها قوابل استنقلتهن . فقال :  
في جوارنا قابلةٌ أحضرناها لمرأة في حارتنا تطلق فوضعت يدها  
على جوفها فسقط ولدها . ووصفني بما لا يوجد في قدرة أحدٍ إلا  
بالله <sup>(٦)</sup> عر وجل . فقالت للخادم : إذا كان غدٌ <sup>(٧)</sup> بجفني بها . فأتى  
الغلام ودعاني إلى مولاته فأجبتُ بانسراج صدرٍ وثقة بالله تعالى .

(١) مخوضة : تعانى الولادة .

(٢) أمسك : امتنع واحتبس .

(٣) اعتمده : قصده .

(٤) سته : سيدهته وهى مولدة ، وأول ما وجدت هذه الكلمة في هذا العصر .

(٥) مقرِّباً : قربت ولادتها .

(٦) بالله : بمعونة الله .

(٧) في الأصل : غدا .

فاستخفَّت رُوحِي وَقَالَتْ : إِلَى التَّمَامِ (١) تَقْدِيرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .  
ثُمَّ شَكَّتْ مَغْسًا (٢) تَجَدُّهُ الْمُقْرِبُ ، فَأَدَخَلْتُ يَدِي فِي ثِيَابِهَا وَمَسَحْتُ  
جَوْفَهَا وَعَجَجْتُ (٣) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سُرِّي بِتَوْفِيقِي (٤) ، وَكُنْتُ  
أُدْعُو ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِهَا يَتَوَهَّمُ أَنِّي أَرْقِي (٥) ، فَسَكَنَ مَا وَجَدْتَهُ  
وَتَبَرَّكَتْ بِي ، وَدَخَلَ إِلَيْهَا نَحْمَارُويَه ، وَقَالَ : مَا وَجَدْتِ ؟ فَقَالَتْ مَغْسًا  
فِي جَوْفِي فَوَضَعْتُ قَابِلَةً أَرَدْتُهَا (٦) يَدَهَا عَلَيْهِ فزَالَ مَا أَجِدُهُ ،  
وَأَخْرَجْتَنِي إِلَيْهِ ( وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ حَرَمِهِ (٧) ) . فَقَالَ لِي : أَرْجُو أَنْ  
يُخَلِّصَهَا اللَّهُ ( عَزَّ وَجَلَّ ) بِبِرِّكَتِكَ .

قَالَتْ أُمُّ آسِيَةَ : وَدَخَلْنَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .  
وَقَدْ تَمَسَّكْتُ مِنَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ ( عَزَّ وَجَلَّ ) بِمَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ

(١) إِلَى التَّمَامِ : الْوَصُولُ إِلَى تَمَامِ الْوَلَادَةِ .

(٢) مَغْسًا : الْمَغْسُ ، وَيَمْرُكُ : كَالْمَغْنَصِ بِالصَّادِ ، وَجَعٌ فِي الْبَطْنِ .

(٣) عَجَجْتُ : الْأَصْلُ فِي الْعَجِّ رَفْعُ الصَّوْتِ وَضَمُّهُ مَعْنَى الْإِتِّجَاءِ .

(٤) بِتَوْفِيقِي : أَي دَاعِيَةَ بِتَوْفِيقِي .

(٥) أَرْقِي : رَقِيَ الْمَرِيضُ وَنَحْوَهُ يَرْقِيهِ رَقِيًّا : عَوَّذَهُ بِكَلِمَاتٍ وَأَدْعِيَةٍ لِإِزَالَةِ الضَّرْعَةِ

(٦) أَرَدْتُهَا : اخْتَرْتُهَا .

(٧) الْحَرَمُ : مَا يَجْمَعُ الرَّجُلُ وَيُقَاتِلُ دُونَهُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَكَانَ النِّسَاءِ مِنَ الْقَهْرِ .

مَنْ سَاحَ فِي الْجِبَالِ <sup>(١)</sup> ، خَوْفًا مِنْ شِمَاتَةِ أُخْتِي بِي . فَلَمْ تَمْضِ إِلَّا  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى مَخَضَتْ <sup>(٢)</sup> فَأَجْلَسْتُهَا عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلَادَةِ ( وَكَانَ  
مِقْدَارُ طَلْقِهَا سَاعَتَيْنِ ) فَوَلَدَتْ ابْنًا أَسْهَلَ وَوَلَادَةٍ ، وَأَبُو الْجَيْشِ يَقُومُ  
وَيَقْعُدُ وَيَذْهَبُ وَيَجِيءُ . فَلَمَّا وُلِدَتْ وَكَانَتْ تَتَوَقَّعُ مِنَ الْوِلَادَةِ أَمْرًا  
عَظِيمًا ، فَلَمَّا <sup>(٣)</sup> أُلْقَتْه : قَالَتْ لِي : هَذَا <sup>(٤)</sup> الطَّلُوقُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .  
فَقَبَّلَتْ - يَعْلَمُ اللَّهُ - عَيْنِي مِنَ الْفَرَحِ . وَصَاحَ نَحْمَارُويَه : أَخْبِرْنِي  
يَا مَبَارَكَةَ كُبُخْبِرْهَا . فَقُلْتُ : وَحَيَاةَ الْأَمِيرِ إِنَّهَا فِي عَافِيَةٍ ، وَقَدْ وُلِدَتْ غُلَامًا  
سَمَوَى الْخَلْقِ بِحَمْدِ اللَّهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَلْحَ أَبُو الْجَيْشِ  
فِي النَّظَرِ إِلَيْهَا لِقَرِطٍ إِشْفَاقَهُ عَلَيْهَا . فَاسْتَوْقَفْتُهُ إِلَى أَنْ نَقَلْتُ حَوَائِجَ  
الْوِلَادَةِ ؛ وَقُلْتُ لَهَا يَا سَيِّدَتِي ! اضْحَكِي فِي وَجْهِهِ كَمَا <sup>(٥)</sup> تَرَيْنَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ  
إِلَيْهَا ضَحَكَتْ فِي وَجْهِهِ ؛ فَتَقَدَّمَ بِصَدَقَةٍ بِمِائَةِ كَثِيرٍ عَنْهَا وَعَنْ وَلَدِهِ .

(١) وقد تمسكت الخ : تمسكت اعتصمت بما لا يصل إليه من ساح في الجبال  
تريد بذلك الزهاد والعباد الذين هجروا الدنيا حبا لله ورغبة في رضاه من الإخلاص .

(٢) مخضت كسمع ومنع وعنى مخاضا ( بالفتح والكسر ) أخذها الطلق .

(٣) كترت "مأ" على أسلوب الحديث والمشافهة .

(٤) هذا الطلق الأخير .

(٥) كما ترينه : أى عندما ترينه ، وقد سبق أن استعمل المؤلف " كما " بهذا المعنى

و يظهر أنه من تعبيرات العصر .

وقالت لى أم آسية: لما كان يوم الأُسبوع (ووقع قبل العيد بيوم واحد) أمرت لى بخمسمائة دينار؛ وحصل من أتباعها ألف دينار.

فحصل لى ألفان وخمسمائة دينار . وخلعت على وسائر حشمها أكثر من ثلاثين خلعة . وحمل إلى مما أعد للعيد ثلاث موائد خاصة . وانصرفت إلى منزلى فأرسلت إلى أختى مائدة ، ووافتنى مهتة ، وقد تقاصر طولها<sup>(١)</sup> ، فأريتها ما حصل لى من المال والخلع والطيب، وقلت لها: يا أختى! أنكرت على قولى: "أقرضينى!" ومن هذا كنت أفضيك<sup>(٢)</sup> . فلا تستصغرى من كان الله مادته ، وعليه مدار ثقته وتعويضه .

واكتسبت هذه المرأة بحملها من أبى الجيش مالا كثيرا ، وقضت  
لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة .

\*  
\*  
\*

(١) طولها : الطول (بفتح وسكون) الفضل والقدرة والغنى والسعة ، ويصح أن تقرأ بضم الطاء أى تواضعت .

(٢) ومن هذا كنت الخ : أى وكانت نيتى أن أفضى دينى من هذا الذى كنت أرجوه من فضل الله وكرمه .

وحدثني شجاع بن أسلم الحاسب . قال :

قلت لسند بن علي : من كان سبيك <sup>(١)</sup> إلى المأمون حتى اتصلت به  
وكنت [من جُلسائه] من العلماء <sup>(٢)</sup> . فقال : أحدثك به ، كان والدي  
يتكسب بصناعة أحكام <sup>(٣)</sup> النجوم مع قوم من أسباب <sup>(٤)</sup> السلطان  
يودونه ويحبونه ، وتعلق قلبي بعد فراغي من قراءة كتاب أقليدس <sup>(٥)</sup>  
بكتاب المجسطي <sup>(٦)</sup> . وكان في أيام المأمون بسوق الوراقين رجلاً  
يعرف بمعروف ، يورق <sup>(٧)</sup> هذا الكتاب ويبيعه بعد تكامل خطه  
وأشكاله وتجليده بعشرين ديناراً . فسألت والدي ابتياعه لي . فقال :

(١) سبيك : وسيلتك .

(٢) من العلماء : بيان لمن .

(٣) أحكام النجوم : علم الهيئة ، أو معرفة المستقبل من النجوم .

(٤) أسباب السلطان : عماله .

(٥) كتاب أقليدس : كان أقليدس من حكماء اليونان ، وقد ألف كتابه في الهندسة ،  
ويسمى علماء الإسلام هذا الكتاب بالأصول ، وأول من نقله إلى العربية الجمّاج  
بين مطر الكوفي ، ثم نقله إسحاق بن حنين ثم ثابت بن قرة .

(٦) المجسطي : كتاب وضعه بطليموس في علم الهيئة وحركات النجوم وترجم  
إلى العربية ليعين بن خالد بن برمك .

(٧) يورق : يستعمل المؤلف التوريق بمعنى النسخ للبيع .

أَنْظِرْنِي<sup>(١)</sup> يَا بَنِيَّ إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لِي شَيْءٌ أَخْذُهُ إِمَامًا مِنْ رِزْقٍ ، وَإِمَامًا مِنْ  
مِنْ فَضْلٍ<sup>(٢)</sup> ، وَأَبْتَاعُهُ لَكَ (وكان لي أخ لا يشتهي مما [تقدمتُ]  
أنا فيه من العلم شيئاً، إلا أنه كان يخدمُ أبي في حوائجه و [يظهر]<sup>(٣)</sup>  
الإشفاق عليه .

فلما سَوَّفَنِي أَبِي بِالْكِتَابِ وَطالَتِ الْمُدَّةُ فِيهِ . رَكِبْتُ مَعَهُ لِأُمْسِكِ دَابَّتَهُ  
فِي دُخُولِهِ إِلَى مَنْ يَدْخُلُ إِلَيْهِ ، وَلِي إِذْ ذَاكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً . فَفَرَجَ  
إِلَى غِلْمَانٍ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، فَقَالُوا : أَنْصَرِفْ فَقَدْ أَقَامَ أَبُوكَ عِنْدَ مَوْلَانَا .  
فمَضَيْتُ بِالدَّابَّةِ فَبَعْتُهَا بِسَرَجِهَا وَجَلَامِهَا بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثِينَ دِينَارًا ،  
وَمَضَيْتُ إِلَى مَعْرُوفٍ فَاشْتَرَيْتُ الْكِتَابَ بِعِشْرِينَ دِينَارًا . وَكَانَ لِي بَيْتٌ  
أَخْلُو فِيهِ . وَجِئْتُ إِلَى أُمِّي فَقُلْتُ لَهَا : قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكُمْ جَنَايَةً ،  
وَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهَا الْقِصَّةَ ، وَحَلَقْتُ لَهَا إِنْ شِئْتِ<sup>(٤)</sup> أَبِي عَلَيَّ حَتَّى  
يَمْنَعَنِي مِنَ النَّظَرِ فِي الْكِتَابِ لِأَنْخُرَجَنَّ عَنْهُمْ إِلَى أْبَعْدِ غَايَةٍ ، وَرَدَدْتُ  
عَلَيْهَا فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ . وَقُلْتُ لَهَا : أَنَا أَغْلِقُ بَابَ هَذَا الْمَنْزِلِ الَّذِي

(١) أَنْظِرْنِي : تَهَيَّأْ عَلَيَّ وَأَخْرَجْ مَطَالِبِي .

(٢) مِنْ فَضْلٍ : مِنْ مَطَاءٍ .

(٣) زَيْدٌ مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ .

(٤) شِئْتِ : شِئْتَ السَّكِينِ أَحَدَهَا ، وَيُرِيدُ مِنَ الشِّئْتِ هُنَا التَّحْرِيزَ .



لى ، وأرضى منكم برغيف يُلقى إلى كما يُلقى إلى المحبوس إلى أن أقرأه  
جميعه . فتضمنت<sup>(١)</sup> لى بتسكين فورته ، ودخلت البيت وأغلقتُه من  
عندى<sup>(٢)</sup> . فمضى أخى إلى والدى فى الموضع الذى كان فيه فأسّر  
إليه الخبر ، فتغير وجهه ، وتلجلج فى حديثه ، فقال له من كان  
عنده : قد شغلت قلبى وقلب من حضر بما ظهر منك فبحقّى  
عليك إلا أخبرتنا بماذا ؟ قال : فحدثه . فقال : هذا والله يسرنا فى ولدك  
فاتعد فيه بكل جميل . ثم استحضر من اضطبله بغلاً أفره من بغل  
أبى ، وسرجاً خيراً من سرجه . وقال لأبى : اركب هذا البغل  
ولا تكلم أبناك بحرف .

قال سند : وأقيمت ثلاث سنين كيوم واحد ، لا يرى لى أبى  
صورة وجهه ، وأنا مجتهد حتى استكملت كتاب المجسطى ، ثم خرجت  
وقد عملت أشكالا مستصعبات ، ووضعها فى كفى ، وسألت هل  
للهندسين والحساب موضع يجتمعون فيه ؟ فقبل لى : لهم مجلس

(١) فتضمنت : أصل تضمن : التعمد بنفسه : يقال ضمنته الشئ فتضمنته

عنى ، ولكن المؤلف استعمله بمعنى ضمن يقال ضمن الشئ وبه كفه .

(٢) من عندى : من الداخل .

في دار العباس بن سعيد الجوهري<sup>(١)</sup> ترب المأمون ، يجتمع فيه  
وجوه العلماء بالهيئة والهندسة . فحضرتُه ، فرأيت جميع من حضر  
مشايخ ، ولم يكن فيهم حدُّثُ غيري ، لأتَى كنتُ في العشرين سنةً .

فقال العباس : مَنْ تكونُ وفيهِ نظرتُ ؟ فقلتُ : غلامٌ يحبُّ  
صناعة الهندسة والهيئة . قال : ما قرأت . قلتُ : أقليدسَ والمجسطي  
قال : قراءة إحاطة ؟ قلتُ : نعم ، فسألني عن شيءٍ مستصعب  
في كتاب المجسطي كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كُمِّي ، فأجبتُه  
فعجب وقال : من أفادك هذا الجواب ؟ قلتُ : استخرجته قريحتي ،  
وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مرَّ بي في ورقٍ معي . قال :  
هاتِه فلما رآه اغتاضَ واضطرب . ثم قال لبعض من بين يديه من  
غلمانِه : السَّفَطُ<sup>(٢)</sup> . فبغى به فنظر إلى خاتمه فوجده بحاله ، ثم فضَّه  
وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يُقابل بها الورق الذي كان معي ، فكان  
الكلامُ فيما معه أحسنَ وصفاً من الكلام الذي معي ، والمعنى واحدٌ .

(١) خير بحساب الفلك وعمل آلات الأرصَاد ، صحب المأمون وندبه إلى  
مباشرة الرصد في جملة المتولين لذلك بالشمسية ببغداد .

(٢) السَّفَط : وعاء كالجوالق أو القفة كانوا يضعون فيه الكتب .

فقال : هذا شيءٌ توليتُ تبييته من كتاب المحسّطى ، فلما أحضرته  
توهّمتُ أنه سُرق منى حتى تبيّنتُ اختلافَ اللفظين مع اتفاق  
المعنى ، ثم أمرَ أن يُقطعَ لى أقيسةً ، ويرتادَ لى<sup>(١)</sup> منطقةً مذهبةً ،  
ففرغ من جميع ذلك فى تلك الليلة ، وأدخلَ بى إلى المأمون .  
وأمرنى<sup>(٢)</sup> بملازمته وأجرى لى أنزالاً<sup>(٣)</sup> ورزقا .

..

وحدثنى أحمد بن أبى يعقوب قال :

حدثنى أبى أن جبريل بن بختيشوع<sup>(٤)</sup> كان يخلف<sup>(٥)</sup> الاطباء فى دار  
الرشيد ، وكانت به نزاهةٌ وبه فاقةٌ شديدة ؛ ورزقه يومئذ ثلثمائة درهم فى كلِّ  
شهر . فوقع الرشيد فى غشيةٍ لم يتقدّمها علّةٌ . فأجمع الاطباء على أنه تالف ،

(١) يرتاد لى : يطلب لى .

(٢) أمرنى : أى المأمون .

(٣) أنزال : جمع نزل : (بضم فسكون) وهو الأجر الشهرى أو السنوى .

(٤) هو جبريل بن بختيشوع طبيب الرشيد وجليسه ، خدم الأمين بعد وفاة  
الرشيد ، ولما ولى المأمون سجنه ثم أطلقه ورفعته إلى مثل مكانته فى عهد الرشيد ،  
توفى سنة ٢١٣ هـ ودفن بالمدائن (الأعلام ج ١) .

(٥) يخلف الاطباء : يأتى بعدهم فى المنزلة ويقوم بعملهم إذا غابوا .

وأخبر ابن بختيشوع فقال : ما له إلا علاج واحد ، وهو أن يحجموه .  
 فقال محمد الأمين : أخاف أن أخطر به . ثم قال : قد أئسنا منه ،  
 والصواب أن نمتحن هذا<sup>(١)</sup> فيه . فأحضروا الحجام بجمع الدم  
 في أخدعيه<sup>(٢)</sup> وهو مستلق . ثم أخرج من دمه محجمتين<sup>(٣)</sup> ففتح  
 الرشيد عينيه ، وأستدعى طعامه وأكل ونام . فلما أنتبه اقتص عليه  
 المأمون ما جرى عليه [ أمره ، وأذن ] للداخلين في تهنئته بالسلامة .  
 فلما أكتملوا قال لهم : يا معاشر الأمراء والأطباء إنما ارتبطتكم<sup>(٤)</sup>  
 لحراسة نفسي ، وقد حدثت على حادث لم يُغن عني فيه بعد الله  
 ( عز وجل ) إلا هذا الغلام ! ونصيبه مني تزر ونصيبكم وافر ،  
 فاعدلوا ميل المملكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيباً من إنعامي  
 عليه ، وإحساني إليه ، حتى يكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم  
 عليه<sup>(٥)</sup> به في حسن الدفاع عني .

(١) هذا : أي الحجم .

(٢) أخدعيه : الأخدع : شعبة من الوريد في جانب العنق .

(٣) محجمتين : المحجمة : وطاء يحجم به . والمراد ملء محجمتين .

(٤) ارتبطتكم : عيبتكم وخصصتكم بخدمتي .

(٥) عليه : أي على كل رجل منكم .

فتسرع الناس إلى جبريل ، فأعطوه الضياع والدور والأموال ،  
وما برج حتى كان أيسر من في المملكة ، وتربت النعمة لديه وولده  
حتى وازت نعم الخلفاء .

\*  
\* \*

وحدثني عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان عن أبيه عن جده قال :  
كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الحدوى علي ، وحالي  
حال لا تنهض بما يحتاج إليه المقتصد ، وقد لزممتي يمين لا كفارة  
لها في ترك النبيذ <sup>(١)</sup> .

فكان جماعة الكتاب يجلسون ماجلس الوزير ، وهو يومئذ الفضل  
ابن الربيع ، فاذا أنصرف إلى منزله أنصرفوا إلى ما عقدوا عليه أمرهم  
من الاجتماع ، وأقيم وحدي في الديوان إلى أن يغلق . فبكرت إليه  
في يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرب الوزير فيها إلى الشرب ،  
لتشاغل الرشيد في دعوة لزبيدة ، فلم يبق في ديوان الإنشاء غيري .  
فإني بجالس حتى دخل إلي خادم من خاصة الرشيد فأخذ بيدي  
وأدخلني إلى الرشيد . فلما مثلت بين يديه ، قال : اقرأ هذا الكتاب .

(١) في ترك النبيذ : حلف على ترك النبيذ .

فقرأته فينته وأعرَبته<sup>(١)</sup> . فقال : أُجِبْ عنه بين يدي . فأجبتُ  
عنه بأحسنِ معانٍ ، وأجودِ لفظٍ ، فقال : إقرأه عليّ ، فقرأته .  
فقال لمسرور الكبير : ألف دينار<sup>(٢)</sup> ، بقاء بها . فقال : ادفعها إليه  
وقُلْ للفضلِ يصرفُ إليه ديوانَ الإنشاء<sup>(٣)</sup> ، فهو أحقُّ به ممن  
غادره . ثم قال لي : خذ هذا المالَ وسأنظرُ لك في الوقت بعد  
الوقت ما يزيد في اصطناعي لك . فلا يُفسدِ الغني ما أصلحته الفاقة  
من حسن ملازمتك ، واسترذني . أزدك .

قال عمرو<sup>(٤)</sup> فاجتهد الفضلُ بنُ<sup>(٥)</sup> الربيع أن يشركَ بيني وبين  
مَنْ كان يتولَّى الإنشاء فلم يُطلقْ له الرشيد ذلك . وأفردني به حتى  
فرقت الأيام بيننا .

(١) أعرَبته : وضَّعته وأفصحته عنه .

(٢) ألف دينار : أي أعطه ألف دينار .

(٣) يصرف إليه ديوان الإنشاء : يتولى رياسته .

(٤) قال عمرو : أي راوياً خبر جده .

(٥) الفضل بن الربيع : هو الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد بعد عهد  
البرامكة ووزير الأمين بعد وفاة الرشيد ، وقد عاش في عهد المأمون مهملاً مجفواً  
توفي بطوس سنة ٢٠٨ هـ (الأعلام جزء ثان) .

## خاتمة

قال أبو جعفر . قال بزُّجَمَهْرُ : " الشدائدُ قبل المواهب تُشْبِه الجوعَ قبل الطعام : يحسُن به موقعه ، ويلذُّ معه تناوله " .

وقال أفلاطون : الشدائدُ تُصْلِح من النفس بمقدار ما تُفْسِد من العَيْش ، والتَّرفُ<sup>(١)</sup> يُفْسِد من النفس بمقدار ما يُصْلِح من العَيْش .  
وقال : حافِظ على كُلِّ صديق أهدته إليك الشدائدُ ، وآله عن كلِّ صديق أهدته إليك النعمة . وقال أيضا : التَّرفُ كالليل ، لا تتأملُ فيه ما تُضدِّره وتتناوله ، والشدَّةُ كالنهارِ ترى فيها سعيك وسعى غيرك .

وقال أَرْدَشِيرُ<sup>(٢)</sup> : الشدَّةُ حُلٌّ ترى به ما لا تراه بالنعمة . وملاك<sup>(٣)</sup> مصلحة الأمر في الشدَّةِ شيئان ، أصغرهما قوَّة قلب صاحبها على ما ينوبه ، وأعظمهما حسنُ تفويضه إلى مالكه ورازقه . وإذا صمدَ الرجلُ بتمكره نحو خالقه علم أنه لم يمتحنه إلا بما يُوجبُ له مَثُوبَةً ،

(١) الترف : التمتع .

(٢) كان ملكا من ملوك الفرس حازما صائب التفكير كتب لابنه سابور عهدا ليكون له ولين بعده نبراسا وناموسا لضبط المملكة . ملك نحو أربع عشرة سنة .

(٣) ملك : ملاك الشيء قوامه الذي يمسك به .

أَوْ يَمَحِّصُ<sup>(١)</sup> عَنْهُ كَبِيرَةً ، وَهُوَ مَعَ هَذَا مَعَ اللَّهِ فِي أَرْبَاحٍ مُتَّصِلَةٍ ،  
وَفَوَائِدٍ مُتَّابِعَةٍ .

فَأَمَّا إِذَا أَشْتَدَّ فِكْرُهُ تَلْقَاءَ الْخَلِيقَةِ كَثُرَتْ رِذَائِلُهُ ، وَزَادَ تَصْنَعُهُ  
وَبَرِمَ بِمَقَامِهِ فِيمَا قَصَرَ عَنْ تَأْمِيلِهِ ، وَاسْتَطَالَ مِنَ الْمَحْنِ مَا عَسَى أَنْ  
يَنْقِضِي فِي يَوْمِهِ ، وَخَافَ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَا لَعَلَّهُ أَنْ يُخْطِئَهُ .

وَإِنَّمَا تَصَدَّقُ الْمُنَاجَاةُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَعَلَّهُ بِمَا فِي السَّرَائِرِ ،  
وَتَأْيِيدُهُ الْبَصَائِرُ ، وَهِيَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَشْبَاهِهِ كَثِيرَةٌ الْأَذْيَةِ ،  
خَارِجَةٌ عَنِ الْمَصْلُحَةِ .

وَلِلَّهِ تَعَالَى رَوْحٌ<sup>(٢)</sup> يَأْتِي عِنْدَ الْبِأْسِ مِنْهُ<sup>(٣)</sup> ، يُصِيبُ بِهِ مِنْ  
إِشَاءٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَإِلَيْهِ الرَّغْبَةُ فِي تَقْرِيْبِ الْفَرْجِ ، وَتَسْهِيلِ الْأَمْرِ  
وَالرَّجُوعِ إِلَى أَفْضَلِ مَا تَطَاوَلَ إِلَيْهِ السُّؤْلُ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

\* \*

(١) يَحْصُ عَنْهُ : يَخْلُصُهُ مِمَّا يُشَوِّبُهُ .

(٢) رَوْحٌ : رَاحَةٌ وَرَحْمَةٌ .

(٣) مِنْهُ : أَيُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَفَرْجِهِ .



## فهرس الكتاب

صفحة	
ج	تقديم .....
١	خطبة المؤلف .....

### المكافأة على الحسن

٥	قصّة خالد القسرى والديوانيان .....
٨	» ما شاء الله بن مرزوق ومتضمن .....
١١	» أحمد بن دعيم وأعرابيين .....
١٥	» موسى بن مصلح ومحبوس .....
٢٥	» اسماعيل بن اسباط والخناق .....
٢٥	» مسلمة بن عبد الملك ومجد بن علي أبي الخلفاء .....
٢٩	» اسحاق بن نصير ووراق .....
٣٢	» ابن الزرق والقاسم بن شعبة .....
٣٤	» هارون بن ملول واسحاق بن ابراهيم .....
٣٧	» المؤلف مع نفر من القيسية .....
٤١	» المؤلف مع عباسي من ولد المأمون .....
٤٣	» يحيى بن نجة وعمرو بن فوج .....
٤٨	» يوسف بن ابراهيم ومن كان يحسن اليهم .....
٥٠	» المؤلف وبعض التجار .....
٥٣	» أحمد بن بسطام وصاعد .....
٥٦	» نجاح بن سلمة واسحاق بن تميم .....
٦٠	» مجدي بن يزيد ومسافر .....
٦٤	» أبي حبيب المقرئ وعبد رعى النعم .....
٦٦	» أحمد بن أبي عصمة وأحمد بن أبي طغان .....
٦٨	» النصراني المصري والهارب من المتوكل .....



صفحة	
١٣٩	قصة أحمد بن المدبر ومتقبل
١٤١	« نخارويه ومحمد بن أبي الساج
١٤٣	« أحد أقارب ابن يعفر وعجوز يمانية
١٤٥	« امرأة هشام بن عبد الملك وزينب بنت سليمان
١٤٧	« اليون وميخائيل ملكي الروم
١٥٢	« سيف بن ذي يزن وترجمان كسرى
١٥٥	« كاتب أبي الوزير وبعض العمال
١٥٦	« ابن الأبرد وكاتبه
١٥٧	« عمرو بن العاص وبعض أشرار مصر
١٥٩	« الدفاني والثماق
١٦٠	تمهيد المؤلف للقسم الثالث من الكتاب

### حسن العقبي

١٦٢	قصة ابني عمر الاخباري وأحد الشطار
١٦٧	« الفتي الملقب والعباس بن خالد
١٧٣	« أبي يوسف وابن القاسم الفنوي
١٧٦	« علي بن سند وأبي الجيش ثابت
١٧٨	« محمد القوري ولص
١٨٠	« مصقلة بن حبيب وممن بن زائدة
١٨٢	« أبناء أحمد بن طولون وهارون بن نخارويه
١٨٤	« التاجر وأحد ملوك الهند
١٨٧	« الشامي والفضل بن يحيى
١٩٠	« يوسف بن ابراهيم ومزاحم بن خاقان
١٩٣	« ابراهيم بن الأحمسي والسندی بن شاهك
١٩٥	« ابني موسى بن شاكر وسند بن علي
١٩٩	« غزاة أفریطش والشيخ الصالح
٢٠١	« مهمل بن شنيف وأحمد بن بسطام

صفحة	
٢٠٣	قصّة المزلّف وابن بسطام
٢٠٥	« أم آسيا القابلة واتصالها بقصر محاروبه
٢١١	« سند بن علي وابن سعيد الجوهري
٢١٥	« جبريل بن بختيشوع والرشد
٢١٧	« عمرو بن عثمان الكاتب والرشد
٢١٩	خاتمة الكتاب



رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق  
في يوم ٢٤ ذى الحجة من سنة ١٣٥٩  
(٢٢ من يناير سنة ١٩٤١) م

مدير المطبعة الأميرية

شجود الهادي إبراهيم

